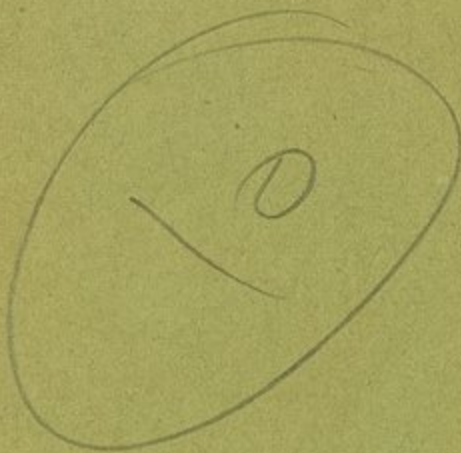


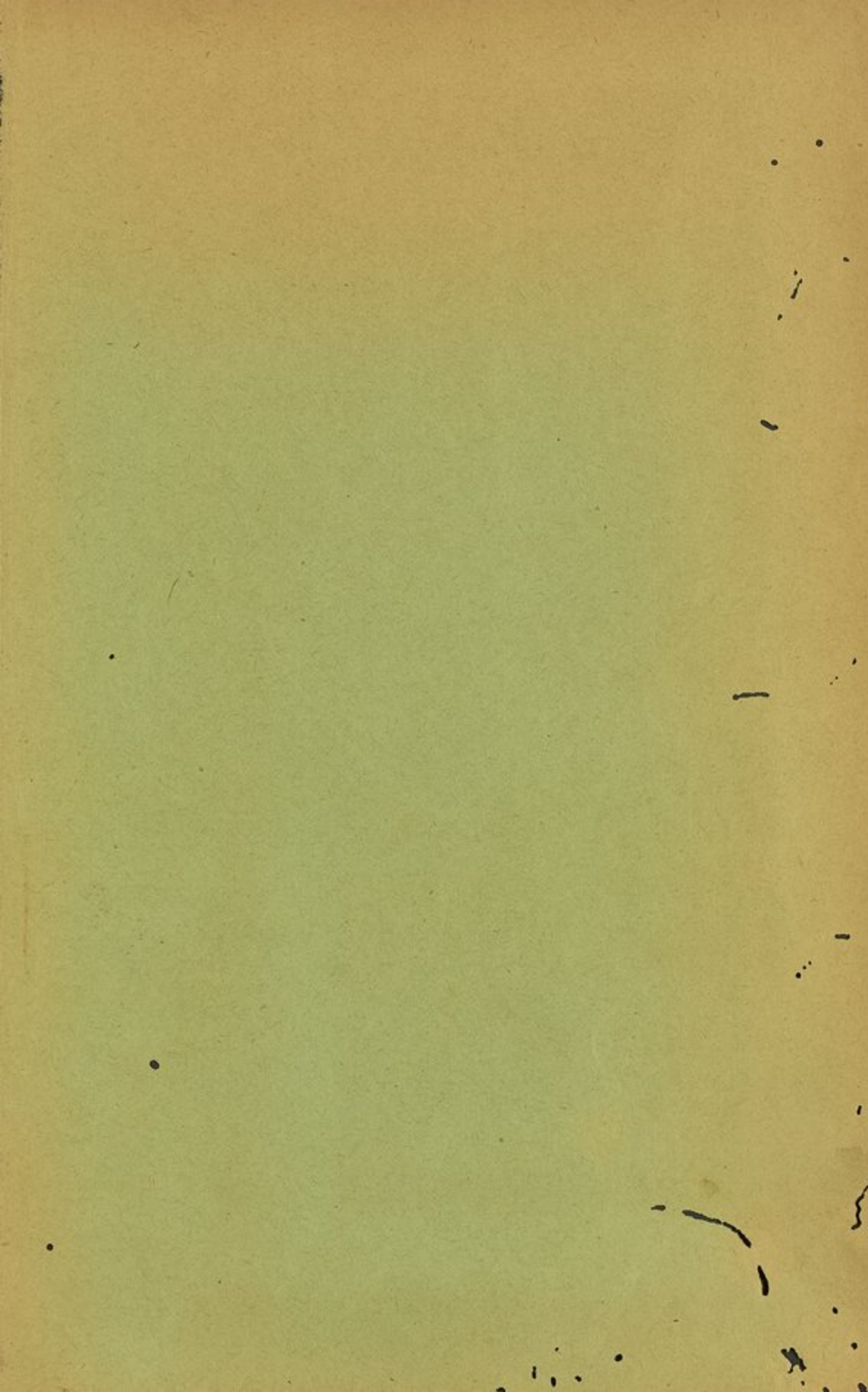
ccc.

Princeton University Library

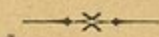


32101 077778957





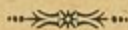
رحلة الحبشة



تأليف

صادق باشا المؤيد العظم فريق اول بالجيش العثماني
والمندوب العثماني السابق في بلغاريا

Sādiq Pāshā al-‘Azīm



تعريب

رفيق بك العظم و حقي بك العظم

طبع بمطبعة الجريدة بسراي البارودي بباب الخلق
سنة ١٣٢٦هـ — سنة ١٩٠٨م



فهرست

رحلة الحبشة

| صحيفة | |
|-------|--------------------------------------|
| ٣ | السفر من الاستانة |
| ١٣ | يوم السبت ١ مايس (مايو) |
| ١٨ | « الخميس ٦ » « الوصول الى جيبوتي |
| ٢٣ | « الجمعة ٧ » « جيبوتي |
| ٣٤ | « السبت ٨ » « القيام من جيبوتي |
| ٤٥ | « الاحد ٩ » « دريدوه |
| ٤٧ | الصومال |
| ٥١ | يوم الاثنين ١٠ مايس |
| ٥٩ | « الثلاثاء ١١ » « الوصول الى هرر |
| ٦٢ | هرر |
| ٧٠ | يوم السبت ١٥ مايس السفر من هرر |
| ٧٦ | موحلة (هرمايا) دورغو |
| ٨١ | يوم الاحد ١٦ مايس (مايو) مرحلة قارصا |
| ٨٤ | « الاثنين ١٧ » « بككا |
| ٨٩ | « الثلاثاء ١٨ » « جالفنو |
| ٩١ | « الاربعاء ١٩ » « دررو |

(RECAP)

2070

136

377

56

| | | | | | |
|----------------|---|------|----|---------------------------------|-----|
| طولو | » | مايو | ٢٠ | يوم الخميس | ٩٤ |
| ديه سو | » | » | ٢١ | الجمعة | ٩٨ |
| قوتني | » | » | ٢٢ | السبت | ١٠٠ |
| بددسا | » | » | ٢٣ | الاحد | ١٠٢ |
| قالسو | » | » | ٢٤ | الاثنين | ١٠٩ |
| لاغاها رديم | » | » | ٢٥ | الثلاثاء | ١١١ |
| قأحانو اها | » | » | ٢٦ | الاربعاء | ١١٥ |
| فنطالي | » | » | ٢٧ | الخميس | ١١٨ |
| تاديجا مالكا | » | » | ٢٨ | الجمعه | ١٢٢ |
| جوبا | » | » | ٢٩ | السبت | ١٢٦ |
| منا بللا | » | » | ٣٠ | الاحد | ١٢٨ |
| بالجي | » | » | ٣١ | الاثنين | ١٣٠ |
| حزيران (يونيو) | » | » | ١ | يوم الثلاثاء | ١٣٤ |
| عقاي | » | » | ٢ | الاربعاء | ١٣٦ |
| جولا | » | » | ٣ | الخميس | ١٣٩ |
| آديس آبابا | » | » | ٤ | الجمعه | ١٤٣ |
| | | | | مجل ماضي الحبشة | ١٤٧ |
| | | | | مختصر جغرافية الحبشة | ١٥٣ |
| | | | | أجناس الالهالي وتقسيمات الادارة | ١٥٤ |
| | | | | يوم السبت ٥ حزيران (يونيو) | ١٥٨ |
| | | | | الاحد ٦ | ١٦٧ |

| | صحيحة |
|---|-------|
| انواع العقوبات و (انا نفوس) | ١٦٩ |
| المحاكم | ١٧٠ |
| القانون الحبشي المسمى (فتانغوس) | ١٧٢ |
| (له باشاه) يعني الباحث عن السارق والمظهر له | ١٧٢ |
| ابششي ، بروهاينو ، افتانهاينو . ثلاث عرائس | ١٧٣ |
| لعريس واحد | |
| بضع كلمات على مدار حركات الحروب بين شيعة | ١٧٥ |
| التمهدي والاحباش | |
| الوقائع بين الاحباش وشيعة المهدي | ١٧٥ |
| موت النجاشي يوحانس في واقعة القلابات | ١٨٠ |
| يوم الاثنين ٧ حزيران (يونيو) متنوعة | ١٨٢ |
| تاريخ السنين | ١٨٦ |
| المذهب | ١٨٧ |
| انواع الزواج | ١٨٩ |
| الامراض والمداواة | ١٩٠ |
| الموسيقى | ١٩١ |
| يوم الثلاثاء ٨ حزيران (يونيو) آديس آبابا | ١٩٣ |
| العلائق الودية بين الاحباش والمسلمين في صدر | ١٩٣ |
| الاسلام | |
| مكاتبة النبي صلوات الله عليه مع النجاشي اصمحه | ١٩٦ |
| شتى | ١٩٧ |

صحيفة

- ١٩٩ يوم الاربعاء ٩ حزيران (يونيو)
- ٢٠١ بودا - اصابة العين - تضو تضو يعني عين
- ٢٠٢ لا تضيب موسيو ايلغ
- ٢٠٤ يوم الخميس ١٠ حزيران (يونيو) آديس آبابا
- ٢٠٦ لغة الاحباش
- ٢٠٩ يوم الجمعة ١١ حزيران (يونيو) آديس آبابا
- ٢١٠ الجندية
- ٢١٥ الخطبة التي ألقاها دجارديب قبل محاربته
للتغير بين بيوم واحد
- ٢١٦ وهذه خطبة اخرى
- ٢١٨ السبت ١٢ حزيران (يونيو) آديس آبابا
- ٢٢٣ جلالة الامبراطور منليك
- ٢٢٥ دافع المصائب والبلاء
- ٢٢٥ جلالة الامبراطورة تايو
- ٢٢٩ يوم الاحد ١٣ حزيران (يونيو) آديس آبابا
- ٢٣٢ « الاثنين ١٤ » « » « »
- ٢٣٥ امراء مقاطعة (شوا)
- ٢٣٦ راس وليه لا كول
- ٢٣٦ راس منغاشا انكيم
- ٢٢٦ راس قوقسا
- ٢٣٧ راس منغاشا ولد يوحانس

| | |
|-----|---|
| ٢٣٨ | يوم الثلاثاء ١٥ حزيران (يونيو) عتاقى |
| ٢٤١ | « الاربعاء ١٦ » « دوبي |
| ٢٤٣ | « الخميس ١٧ » « مابلا |
| ٢٤٥ | « الجمعة ١٨ » « تاديجامالسا |
| ٢٤٧ | « السبت ١٩ » « |
| ٢٥٠ | « الاحد ٢٠ » « له قارايا |
| ٢٥٢ | « الاثنين ٢١ » « له معو |
| ٢٥٤ | « الثلاثاء ٢٢ » « في الاحراش |
| ٢٥٧ | « الاربعاء ٢٣ » « في وسط الصحراء |
| ٢٥٨ | « الخميس ٢٤ » « غوط |
| ٢٦١ | « الجمعة ٢٥ » « حزيران (يونيو) نوما |
| ٢٦٤ | « السبت ٢٦ » « دريدوه |
| ٢٦٧ | « الاحد ٢٧ » « |
| ٢٦٧ | ترجمة براءة الوسام |
| ٢٦٧ | « الجواز |
| ٢٦٨ | « الكتاب الوارد من أفانغوس |
| ٢٦٩ | « « « من وزرودستازوجة افانغوس |
| ٢٧١ | يوم الاثنين ٢٨ حزيران (يونيو) لسفر الى جيبوتي |
| ٢٧٣ | « الثلاثاء ٢٩ » « |
| ٢٧٦ | « الاربعاء ٣٠ » « السفر الى السويس |
| ٢٧٧ | الوقائع الحربية بين الطليان والحبشة |

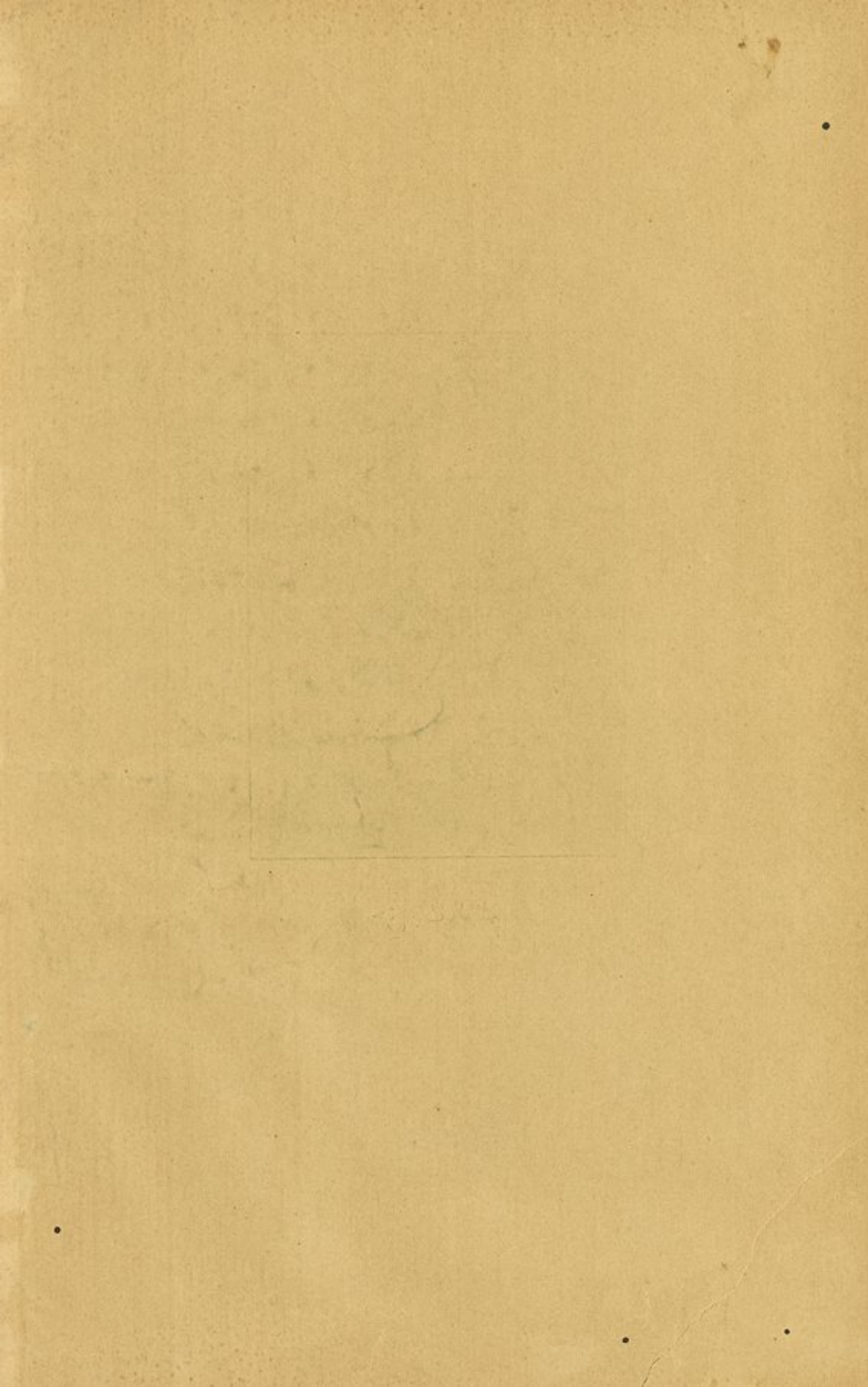
صحيفة

- ٣٠٩ واقعة ادوا
٣١٤ يوم الاربعاء والخميس ٧ و ٨ تموز
٣١٥ مشاهير الاحباش — لقمان الحبشي
٣١٥ بلال الحبشي
٣١٦ مهجع الحبشى — نفيح — شقران — ذو محجر
٣١٧ ذو مهدم — خالد بن رباح — ذو دجن — اسلم
يسار — وحشى بن حرب
٣١٨ عاصم — نائل — لقيط — يسار — جمال —
ابرهة بن صباح — اسلم ابو خالد
٣١٩ ايمن — أنجشة — بركة ام ايمن — سعترة — بركة
٣٢١ عفيرة بنت رباح — نبعة — عبد الله — حميس
الفقيه — عطاء بن رباح — ابرهة الحبشية
٣٢٠ اسامة بن زيد — ايمن بن عبيد بن عمرو — فيروز
الديلمي
٣٢٢ آمنة أم خالد القرشية — زينب بنت الحرث —
٣٢٣ زينب بنت عبد الله أبي سلمة — عائشة بنت
الحرث





حقي بك العظم





رفیق بک العظم



السفر الى الجزائر

السفر من الاستانة — تراجة بيره — ساعتان اطيقتان في نابولي — الوصول الى مرسيليا —
خادم القهوة — الوصول الى بورت سيد — مهارة ملاحى البحر الاحمر — الاستمرار على السبر

امثالاً للامر السلطاني الصادر باتدأبي لا يصل كتابه الى جلالة منليك الثاني
نجاشي الحبشة سافرت من الاستانة في الخامس عشر من شهر نيسان (ابريل) على
الباخرة اوره نوف من شركة مساجري ماريتيم الافرنسية قاصداً مرسيليا لاركب منها
أول باخرة تسافر الى جيبوتي . وكان في صحبتي البكاشى طالب بك من ضباط الفرقة
الثانية ومن ياوران الحضرة السلطانية ويس افندي أحد جواش بلوك المعية . وكانت
الباخرة المذكورة كبيرة جداً وعلى غاية من النظافة تقطع في الساعة ثلاث عشرة
عقدة . ولم يكن معنا من الركاب في الدرجة الاولى سوى ثلاثين راكباً نساء
ورجالاً لذا كان لنا مجال واسع للتمشي على ظهر الباخرة والراحة في بهوها

بلغنا جناق قلعة (الدردانيل) ليلاً فرست بنا الباخرة برهة يسيرة ريثما أعطت
البريد وأخذت غيره ثم مخرت بنا قاصدة أزميز . وكان البحر هادئاً والطقس جميلاً
جداً . وفي اليوم التالي (الجمعة) وصلنا ازميز في منتصف الساعة السابعة صباحاً وألقت
الباخرة مراسيها خارج الميناء وأخذت تشحن البضائع من قطن وزبيب وبيض وتين
مجفف بكثرة لنقلها الى مرسيليا فرأيت أن انزل الى المدينة لاجل آتمام بعض نواقص
السفر اللازمة لنا في سفرنا هذا . وقد كانت أمتعتي وأدواتي التي ادخرتها بعدساحاتي
وأسفاري لأواسط أفريقيا (مرة الى جنجوب ومرة الى كفرة) وأسيا الصغرى

(الاناضول) ورحلتي من دمشق الى الحجاز في مهمة مد الخط البرقي بين القطرين المذكورين كاملة تعينني عن أخذ مثلها الآن لكن الحريق الذي دمّر منزلي الكائن بالاستانة في العام الغابر أتلف كل هذه العدد فاضطرتني الى تجديد كل ما يلزم لمثلي في الأسفار و بعد أن مكثنا في أزمير اربعاً وعشرين ساعة اقلعت بنا الباخرة منها في الساعة السابعة ونصف صباحاً قاصدة ميناء (بيره) وبينما كنا نتناول طعام المساء تغير الطقس وأخذت الباخرة تتمايل بنا ذات اليمين وذات اليسار فانقبضت الصدور وترك الركاب المائدة من نصف الاكل وجعلوا يتسلّلون الى غرفهم واحداً تلو آخر ومع كثرة معاناتي لركوب البحار وما صادفته فيها من الانواء العظيمة لم أعتد الصبر على الدوار فاضطرت للذهاب الى غرفتي ايضاً ونمت من الساعة الواحدة بعد الغروب (على الحساب الشرقي)

وفي يوم الأحد التالي وصلنا الى ميناء (بيره) ولم تلبث الباخرة ان ألت مراسيها وأخذت الجواز الصحي حسب العادة حتى امتلأت بسامسة الفنادق وتراجمة السياح وأصحاب القوارب واخذوا يحومون حول الركاب ويكلمونهم بلغات متعددة كالانكليزية والافرنسية والرومية فكنت أتحيل من كلام من كانوا نصيبي من هؤلاء النوتية ان من يخاطبني بالتركية انما يخاطبني بالافرنسية ومن يخاطبني بالافرنسية انما يخاطبني بالتركية وكان كل من هؤلاء النوتية يبذل جهده ويظهر من فصاحة اللسان ما عنده لاقناع الركاب بالنزول الى البر والذهاب الى (اثينا) عاصمة اليونان والتفرج عليها وقد أراني احد التراجمة بطاقة احد رفاقي من الياوران وقد كان مرّ بهذه الميناء وهو ذاهب لقضاء مهمة كان انتدب اليها وزار (اثينا) وضواحيها مع الترجمان المذكور وعلى ظهر البطاقة كتابة بتوقيع صاحبها تشهد بحسن حال الترجمان . ولما رأيت هذه الكتابة نزلت الى البر مع رفيقي بصحبة ذلك الترجمان لزيارة عاصمة اليونان وركبنا مركبة مكشوفة من الجنس المعبر عنه (لاندو) لتتمكن من الوقوف في الطريق عند الحاجة ومشاهدة الآثار كما يجب

وكننا كلما مررنا بأثر قديم ومحل مشهور يقف صاحبنا بنا خطيباً ويحملق بناظريه ويشير الى اليمين والشمال بيديه مسترسلاً في سرد تاريخ ذلك الأثر مشخصاً حالة اصحابه بشكل مستقرب وبيان مغل زائد عن الحاجة وكيفما كان الحال قد قضينا في (اثينا) ثلاث ساعات عدنا بعدها الى (بيره) ثم قصدنا الباخرة ولما بلغناها وجدنا الدرجة الثالثة مملوءة بالركاب وفي الساعة السادسة أفلعت بنا من (بيره) والاشاعة دائرة بين الركاب ان نوءاً شديداً سيحدث في الليل ولما جاء الليل كذب تلك الاشاعة ولم يحدث النوء بل بالعكس كان الهواء لطيفاً والبحر هادئاً وقضينا الليل في راحة وعلمت ونحن على طعام المساء شيئاً أحببت ذكره هنا وهو :

كنت أعهد بالاورو بين الشره الى اكل لحم الخيل وكثيراً ما رأيت في باريز ألواحاً على حوائت بعض الجزارين مكتوباً عليها (البغال السمينه) وفيها كثير من لحم البغال والخيل إلا اني ما كنت اعرف انهم يأكلون لحم الحمير ايضاً نعم ان المعلوم عقلاً ان ليس هناك فرق بين لحم البغال والخيل ولحم الحمير وربما تشابهت هذه اللحوم لان غذاء هذه الحيوانات واحد ومن اكل لحم الخيل والبغال يسهل عليه اكل لحم الحمير ايضاً انما موضع الاستغراب هو اني أعلم ان جنس الحمير قليل جداً في اوروبا وانه لا يوجد الا في حدائق الحيوانات في عواصم اوروبا الكبرى بين الحيوانات الغريبة ولم أسمع ان هذا الحيوان كثير في اوروبا لدرجة ان يؤكل لحمه حتى رأيت تلك الليلة على المائدة وذلك ان الموكلين بالطعام أتونا بنوع من التفانق (السجق) ذي منظر بهيج ولون جميل مقطع قطعاً مستديرة ولما لم أعرف جنس هذا الطعام ومن اي لحم عمل لم أتناول منه وكان بجاني قسيس ضخم الجثة سمينها يظهر من سيماء وصحته انه يجب المآكل النفيسة فلما رأني اكتفيت بالسردين والزبدة قال لي (كل يا سيدي من هذه التفانق لانها من أنفس ما صنع وهي معموله من لحم البغال والحمير معاً) ووافق الحضور على أقواله . أما انا فاعتذرت مع الشكر لهذا القسيس الكثير العناية بجهزانه

وفي صباح اليوم التالي الذي هو يوم الثلاثاء رأينا عن شمالنا جزيرة (استرومبولي) وقضينا وقتاً في مشاهدة الدخان المتصاعد من جبالها البركانية . وفي الساعة الخامسة افرنجية مررنا بين نابولي وجزيرة (كليري) . وهنا قرب جزيرة (كليري) نفق طبيعي جسيم يمر به من طرف الى طرف ويرى من الباخرة وكان الركاب يتحدثون بموت المسيو كروب صاحب معمل مدافع كروب في هذه الجزيرة وبزيارة الامبراطور ويلهلم امبراطور ألمانيا لهذه الجزيرة منذ عشرين يوماً ومكثه فيها نحو شهر من الزمان

وفي الساعة السادسة افرنجية دخلت باخرتنا ميناء (نابولي) المشيدة بيد القدرة وهي بيضية الشكل وتحيط بها الجبال من اطرافها ويرى الراكب من الباخرة جبل (فينزوف) الناري الشهير . ويوجد لهذا الميناء الطبيعي رصيف جسيم وجميل كلما اقتربنا منه نرى الزوارق الصغيرة مملوءة من المغنين والمغنيات مقبلين علينا لاستقبالنا وهم يغنون الأغنية المطربة وكانت تدنو أجمل تلك الفتيات ويدها المظلة (الشمسية) معكوسة اي ان اليد الى الاعلا لتتلقى بها النقود فيأخذ ركاب الباخرة برمي ما تجود به انفسهم من الدراهم لهؤلاء المساكين فكان كلما ازداد سقوط الدراهم الى المظلة يزداد سرور المغنين وكان دنو الشمس من الغروب ومنظر المدينة البهيج يمثلان صورة من أبداع الصور لا سيما تلك الزوارق التي كانت محيطة بالباخرة ويحمل بعضها انواع الزهور وبعضها انواع الفواكه وأخمسها الكرز وقد رأينا وقتئذ نوعاً من القرنفل المطبق لم ترعيني مثله قط . ولما دنت كل هذه الزوارق من الباخرة علت أصوات الموسيقى وازداد السرور ثم أخذت الفتيات المغنيات بالرقص في الزوارق حتى أقبل الركاب جميعهم الى شرفات الباخرة يشاهدون هذا المنظر البديع وهم مبهورون

ولما كانت الباخرة لا تقف ثمة أكثر من ساعتين أو ثلاث ساعات قدما كنتفيت بمشاهدة المدينة من الخارج هذا وقد جرت المعاينة الصحية في الباخرة بكل اعتناء وتدقيق وخرج أكثر ركاب الدرجة الرابعة الى البر لينقلوا الى باخرة أخرى . ولما

أرخت ليلى ستاره أخذت زوارق المغنين والمغنيات وبائعي الزهور والفواكه تسلس واحدا وراء الأخرى راجعة إلى حيث أتت واستولى السكون على أطراف الباطرة وظهرت المدينة بحلة بهية تسطع بالأنوار فتجذب إليها الأبصار وتعوّض النفوس من المسرة عما فاتها في النهار. ولما أتت الباطرة أخذ القليل من البضائع التي وردتها وانزال مثلها وقصد الركاب غرفهم لاجل النوم أقلعت بنا قاصدة مرسيليا

وفي يوم الأربعاء التالي أصبحنا والجو متلبد بالغيوم والبحر متلاطم بالأمواج والباطرة باهتزاز مستمر فلم يتمكن أغلب الركاب من الجلوس على المائدة وقت الظهر. وفي الساعة السادسة بعد الظهر مررنا أمام جزيرة (مونت كريستو) التي أخذها إسكندر دوماس الكاتب المعروف موضوعاً لأحدى قصصه الشهيرة وتركناها على يميننا. ولما كان البحر مستمراً في هياجه اضطر أكثر الركاب للالتجاء إلى غرفهم وملازمة سرهم قبل الوقت وقد كنت أنا من جملتهم أيضاً

وفي يوم الخميس رؤي البر وأخذت الباطرة تقرب من مرسيليا. وفي منتصف الساعة الرابعة دخلنا ميناء (جوليت) في الثغر المذكور. ولما صعدنا إلى البر أخذنا حقايبنا الصغيرة وتركنا ماعداها من الصناديق في الجمرع لعزمنا على سرعة السفر على باخرة أخرى ونزلنا في فندق (جنيف) الكائن في شارع (كابنيدر) الشهير الذي يباهي به المرسيليون أهل باريز ويعدونه من أجمل الشوارع وأعظمها يستطيع الإنسان أن يكتب كثيراً من الصفحات عن مناظر مرسيليا وموقعها وآثارها ولكن رحلتي هذه خاصة بالخبطة فقط لذا اكتفيت بسررد الأشياء والأحوال التي تستدعي دقة النظر كثيراً

بعد أن استرحت في الفندق بضع دقائق وتركت الحقايب الصغيرة هناك خرجت للبحث عن باخرة تسافر إلى جيون أو إلى عدن فذهبت لمكتب شركة (بنسولر) الانكليزية فاعلمت أنها تقوم في اليوم التالي باخرة قاصدة عدن ولدى سؤالي عن وجود باخرة تسير بين عدن وجيون أجابوني أنهم لا يقطعون بالعالم بوجود باخرة

تتردد بين جيوتي وعدن والاولى الاستعلام عن ذلك من وكالات الشركات البحرية في بورت سعيد . فلذا عازمت على السفر الى بورت سعيد على تلك الباخرة حتى اذا علمت ثمة ان ليس بين عدن وجيوتي بواخر للسفر امكث في بورت سعيد ريثما تمر منها باخرة قاصدة جيوتي

وفي يوم الجمعة صباحاً بينما كنت جالساً خارج احدى المتدييات اسرح الطرف في الغادين والرائحين اذ اتى خادم المحل وحل عري (التنته) وانزلها الى قرب الارض فسألت الخادم عن سبب ذلك فاوماً بيده مشيراً الى الساعة فرفعت نظري اليها فاذا هي السابعة ونصف ففهمت ان العادة في هذا المحل تنزيل (التنته) في هذا الميعاد منعاً لاشعة الشمس على ان الشمس كانت هذا اليوم غائبة ولم يكن من حاجة لتنزيلها وانما هذا الخادم الشبيه بالآلة ميكانيكية لم يدرك ذلك وذكرتي هذه الحكاية حكاية مثلها شاهدتها في برلين وذلك اني كنت مرة هناك اتنزه مع بعض رفاقي الضباط فاخذ الجو في التغير فجأة وظهرت علامم المطر فاضطررنا للالتجاء لمنزل أحد رفاقنا وكان قريباً الى المحل الذي كنا فيه وبعد قليل تدفقت السيول حتى حاكت الطرق الانهار وبيننا هي كذلك ذجاء الرجل المكلف من قبل البلدية برش الطريق راكباً على عجلة يجرها حصان فوقف أمام الحنفية الخاصة لملء عجلات الرش ووضع الماسورة وملاً خزانه العجلة بالماء وأخذ يرش الطريق مبتدئاً من المحل الذي كان وصل اليه الرش قبل نزول المطر غير مبال بأنهمار المطر عليه وغب هذا دخل علينا صاحب المنزل فسألناه عما يفعل هذا الرجل القائم برش الشارع مع نزول المطر فاجاب ان الرجل قائم بأداء وظيفته !

وقد كنا نقلنا كل ما معنا من الصناديق والحقائب من الجرك الى احدى بواخر شركة (بنسولر) التي أقلعت بنا من مرسيليا في الساعة الحادية عشرة صباحاً قاصدة بورت سعيد

• كنت عند ما قنا من الاستانة عجبت من عظم باخرة المساجري التي أقلنتنا

الى مرسيليا ولكن لما دخلت سفينة الشركة الانكليزية دهشت لعظمتها وظننت نفسي في منزل كبير ذي غرف كثيرة أو اني نازل في فندق قوتينتال أو فندق پراپالاس وقد عرفني وكيل الشركة في مرسيليا قبل مغادرة السفينة بمقتش هذه المصلحة المسافر معنا و بكميسر الباخرة لانهما كانا يتكلمان باللغة الافرنسية وأما غيرهما من مستخدمي الباخرة البالغ عددهم مائتين فلا يعلمون سوى الانكليزية وغريب جداً عدم اقبال الانكليز على اللغة الافرنسية مع ان المسافة بين عاصمة فرنسا وبين عاصمة الانكليز قريبة جداً حتى انه يستطيع الانسان ان يظفر صباحاً في باريز ويتناول طعام الغذاء وقت الظهر في الساحل الانكليزي والسيجارة اذا ابتداء المرء بها في البر الفرنسي قد لا يلقها من يده الا وهو في البلاد الانكليزية بعد ساعة ونصف ومن كان معنا من المسافرين الفرنسيين كانوا لا يعرفون الانكليزية فكأنوا يتبرمون مثلي من جهل القائمين بخدمة الركاب العارفين باللغة الفرنسيية ومن المعروف ان يكون خدام البواخر والفنادق ممن يتكلمون بلغات متعددة لوجود مسافرين من جميع البلاد

أما النظافة في الباخرة والنظام فعلى غاية ما يرام ويبلغ مجموعها ٢٠٥٢٧ طونيلانة وقوة عدتها ١٦٥٠٠ حصاناً وتسع الدرجة الاولى ٤٠٠ راكب والدرجة الثانية ١٨٠ راكباً واكل من هاتين الدرجتين بهو للطعام على حدة وتسع المائدة اربعمائة راكب في بهو الدرجة الاولى وجميع كراسيها ثابتة ولكن الركاب يتفرون على موايد صغيرة تسع الواحدة منها عشرة وبين كل كرسي وآخر من الفراغ ما يسع كرسيّاً آخر وسلام الدرجة الاولى متقابلة من الطرفين كسالم الفنادق الكبيرة ومفروشة بالطنافس الثمينة ومزينة باجمل الرياش والسقوف عالية حتى ان الانسان لو لم ينظر الى البحر لخليل له انه في قصر مشيد

والغرف التي للطعام والتي لشرب الدخان والمطاعة على غاية من الزينة ويوجد في الغرف مراوح كهربائية اذا ادبرت في الايام الشديدة الحرارة تغير هواء المحل وصار منعشاً

ويجلس الركاب على المائدة اربع مرات في اليوم ويأكلون في كل مرة ما يشتهون ويجد الراكب امامه في كل جلسة ورقة مطبوعة عليها اسماء انواع الطعام الكثيرة

والحجرات التي للاستحمام فيها ما يسر من الرشاشات المتنوعة وظهر هذه السفينة كبير جداً وقد يلعب عليه الركاب بالكرة المسماة (تنس) وكان بين البحارة والخدام كثير من الهنود فلوثنيون منهم يضعون على رؤوسهم قبعات كالافرنج والمسلمون يضعون عمامة طويلة حمراء اللون

وكانت باخرتنا حديثة النشأة وهذه هي المرة الثانية التي جرت فيها في اليم فكانت تقطع ١٦ عقدة في الساعة وعندها مزيد من الاستعداد لسرعة السير وكنا نعرف المسافة التي تقطعها هذه السفينة لانهم كانوا كل يوم يعلقون فيها خريطة يكتب عليها بخط احمر الطريق التي تسير عليها السفينة والجهة التي تبلغها وقت الظهر مع بيان الطول والعرض واليوم والتاريخ وبهذا كنا نستطيع ان نعرف متى تصل الباخرة الى المحل المقصود ولكل باب من ابواب الحجرات قفل ولكنه من غير مفتاح وأظن ان هذا الحال هو من قبيل الاحتياط أي انه اذا طرأ خطر فحائي على الباخرة فلا يشغل الراكب فتح الباب بل يجد السبيل سريعاً للخروج من الحجرة وقد طلبت من الخادم مفتاحاً لحجرتي فلم يفهم أو اظهر عدم الفهم

وقد تغير النوء في اليوم التالي واشتد الريح ولم تظهر الشمس ذلك اليوم وأصبحنا يوم الاحد والسما صافية ولم تزل كذلك حتى وصلنا بورت سعيد يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ نيسان (ابريل) في الساعة الثانية بعد الظهر ولما نزلت الى البر أخذت أسأل عن السفن التي تسافر من عدن الى جيبوتي فعلمت انه توجد باخرة صغيرة بين هذين الثغرين ولكن لخلل طراً عليها لا تسير في هذه الايام وانه لا بد للمسافر من ركوب السفن الشراعية للذهاب من عدن الى جيبوتي ولما علمت ذلك عدلت عن السفر الى عدن وأنزلت الامتعة من الباخرة وسلمتها الى مخزن الكرك الكائن على رصيف

الميناء ونزلت ومن كان معي في فندق البوستة لاني أخبرت أن صاحبه كان صاحب فندق في جيوتي وأقام هناك مدة طويلة وإنما لم أسافر على إحدى السفن الشراعية من عدن الى جيوتي لانها قوارب صغيرة لها أشرعة فليست جديدة ان يعتمد عليها المسافر وقد كنت ركبت واحدة منها من رابع الى جدة اذ كنت ناظر انشاء السالك البرقي الحجازي ولم أدرك ما هي هذه السفينة التي دخلتها ليلاً الا بعد ان أقلت بنا وبعدينا عن الساحل ولما طلع النهار أبصرتها فاذا هي ملفقة من ألواح خشبية بغير نظام حتى ان الماء كان يدخلها من كل جانب فيضطر اثنان من البحارة ان يشغلا برفع الماء على الدوام بالسطول (الجردل) ودينا نحن سائرون عليها اذ تمزق الشراع فلم يوجد عند البحارة ابرة وخيط لخياطة الشراع فاعطيت للجنود الذين كانوا معي ما يلزم لرتق هذا الفتق ولا نكران لمهارة البحارة العرب في فن الملاحه فقد كانت هذه السفينة الشراعية سائرة قرب الساحل مارة من بين الشعوب الكثيرة في تلك الجهات حتى ان الركب اذا ألقى بصره على سطح البحر يرى انه سائر على شبه غابات وكان الربان في مقدم السفينة منتبهاً يكلم البحار الواقف على دفة القارب بصوت عال يقول له : شمالك ويمينك ويحذره من مصادمة الشعوب وكان يقول : خذ حذرک من شعب كذا أو وصلنا الى محل كذا أو مررنا بمحل كذا والبحار الممسك بدفة القارب يدير حركات السفينة التي كانت تسير بالريح بسرعة ثنتي عشرة عقدة

ولذلك تفضطر البواخر التي تدنو من سواحل البحر الاحمر لاخذ دليل من العرب خوفاً من المصادمات والبواخر التي لا تأخذ أدلاء تفضل السبيل فتغرق أما زوارق العرب الصغيرة فهي لوح خشبي طويل وسطه المحفور لا يسع سوى شخص واحد فقط فيركبها العربي الساحلي في النهار فيذهب للصيد عليها في البحر وعند ما يرجع في المساء يحملها على كتفه كما هو دصغير ويأتي بها الى كوخه الخميمرواذا حصل نوء وهو عليها في البحر يقلبها على وجهها ويركب عليها كما يركب على حصان ولا يوجد في داخل هذا الزورق شيء سوى مجداف صغير جداً وليس على الرجل من الملابس سوى فوطه في وسطه

وبما اني رأيت ما ذكرته رأي العين لم تمل نفسي الى ركوب قارب من القوارب
 المذكورة في سواحل عدن وفي مدخل البحر المحيط الهندي
 ان المسافر الى الحبشة لا بد له من المرور ببلاد الصومال الفرنسية ولذلك قد
 تكرم حضرة الموسيو كونستان السفير الفرنسي في الاستانة بكتب توصية الى جناب
 والي الصومال والى سفير فرنسا في عاصمة الحبشة بوصيما بالبعثة السلطانية خيراً
 وتفضل بارسال الكتب المذكورة مباشرة الى القنصلية الفرنسية في بورت سعيد
 لاستلامهم من هناك فاشكره وأشكر الموسيو « لدو » ترجمان السفارة الذي بذل المهمة في
 ارسال هذه الرسائل الى بورت سعيد وقد استلمت هذه الرسائل من جناب الموسيو
 يوسف خوري النائب عن القنصل الذي كان مسافراً وصادف ان بارجة فرنسية
 كانت على وشك المرور بالتقال بعد بضعة أيام مسافراً للهند الصينية مارة في طريقها
 على جيوتي فيها لي الموسيو يوسف كل ما يلزم لسفري عليها بصفة ضيف وكان السفر
 من بورت سعيد في اليوم الاول من شهر مايس (مايو) الشرقي

وقبل سفر البارجة جرى التزاور والتعارف بوساطة الموسيو يوسف خوري بيني
 وبين جناب الميرالاي الموسيو غبرات قائد البارجة المذكورة وقد حكى لي انه
 قبل بضع سنين كان قائد البارجة التابعة للسفارة في الاستانة وانه نال من تعطفات
 الحضرة السلطانية بعض الوسامات السامية وأثنى على حضرة السفير الموسيو كونستان
 وذكركم محبته واحترامه له وأظهر سروره العظيم من سفر البعثة السلطانية على بارجته
 وبذلك جعل لساني ينطلق بشكره وبشكر الموسيو يوسف خوري الذي اكرمني غاية
 الاكرام ولولا هذه البارجة لاضطرت ان امكث في بورت سعيد منتظراً الفرج في
 وقت لا أمل فيه بحضور باخرة تسافر الى جيوتي بالنظر لاعتصاب بحارة البواخر
 كلهم في مرسيها





الميرالاي الموسيو جبران قائد البارجة الافرنسية , لا فودر)

يوم السبت ١٠ ايس (مايو)

السفر على البارجة المنهارة (لافودر) — اكرام القائد والضباط لنا — وصف البارجة —
ذكرى طريق الحجاز — السمك الطيار — الحر في البحر الاحمر

في الساعة الثامنة من صباح هذا اليوم أرسل قائد البارجة قارباً بخارياً فآخذ
أمتعتنا الى البارجة وفي الساعة الحادية عشرة أرسل زورقاً بخارياً آخر فركبناه وركب
معنا الموسيو يوسف خوري ليشيعنا الى البارجة فلما وصلناها استقبلتنا حضرة قائدها
وضباطه من السلام بكل تجلّة واكرام و بعد مصافحة الضباط أوصلني الميرالاي الى
المحل المخصص لاقامتي كما ان أحد الضباط أوصل طالب بك الى حجرته وخصص
حجرة أخرى لياسين افندي

والمحل الذي عين لاقامتي فيه اكبر بهو في البارجة وغرفة للطعام خارج هذا
البهو وأخرى للنوم وحمام وقد أقام القائد امام دائرتي واحداً من الجنود البحارة للخدمة
و بعد ان غيرت ملابسي صعدت على ظهر البارجة

وهذه البارجة تسمى (لافودر) أي الصاعقة ومجملها ستة آلاف طونيلاته
وقوة عدتها ١١٥٠٠ حصان وطولها ١١٨ متراً وعرضها ١٦ متراً وهي غاية في الزينة
والنظافة والمدافع والبنادق الموجودة فيها تحظف الابصار من شدة المعان وفيها
ورشة جسيمة كاملة العدد لاصلاح ما يلزم لها وسرعتها ١٦ عقدة في الساعة
ويمكن ان تسير ١٩ عقدة في الساعة وهي مسلحة بستة عشر مدفعا وعدد بحارتها
أربعمائة وهي مقلّة الى الهند الصينية طور بيلين كبيرين وأربعة طراويل من الجنس
الصغير

سافرنا من بور سعيد في منتصف النهار بالقوة المعينة لسير السفن في القنال أي
بمعدل خمس عقد في الساعة وكنا نرى عن شمالنا كثيراً من الملاحات وعن يميننا

السكة الحديدية الممتدة الى السويس والترعة الحلوة المتفرعة من النيل
وكنا كلما صادفنا في طريقنا باخرة تقف نحن حتى تمر الباخرة أو تقف هي حتى تمر
بارجتنا وقرب المساء رأينا بارجة هولندية ذاهبة الى البحر الابيض المتوسط فلما قربت
منا أخذت موسيقمها تعزف بالتشيد الفرنسي سلاماً وتحية للبارجة الفرنسية
والسفن التي تمر من القنال تستأجر من الشركة مصاييح كهربائية جسيمة شديدة
النور والضياء جداً تعقلها على مقدمها لروية طريقها الى مسافة كبيرة فيجعل الليل نهاراً
ويوم الاحد وصلنا الى السويس ورسست البارجة بضع دقائق ريثما أخذت
الوقادين المستأجرين ليقوموا بإيقاد النار في مواقد البارجة لان الوقادين الاوربيين
لا يتحملون شدة الحرارة في البحر المحيط الهندي والبحر الاحمر لذا تستخدم البواخر
المسافرة لهاتيك الجهات الوقادين الوطنيين

البارجة كنا نسرّح الطرف على سواحل القنال واليوم نرى عن جانبنا سواحل
خليج السويس ونشاهد جباله وهضابه وفي الليل خرجنا من خليج السويس ودخنا
في البحر الاحمر واذ ذلك أخذت الحرارة تزداد زيادة مستمرة فاضطرت ان انزع
ما علي من ا كسية الصوف وان ألبس الا كسية البيضاء كما فعل ضباط البارجة
انه لا يسوغ لي ان أشكو من المدة التي قضيتها في باخري المساجري والبنسولر
لكن « والحق يقال » كنت أعظم انشراحاً في سفري على هذه البارجة لشغف
الفرنسويين باكرام ضيوفهم اكراماً فوق العادة فقد كنت أرى جميع الموجودين
بالبارجة من القائد الى الجندي لا يضيعون فرصة لجلب سرورنا وكونا نشاهد كل يوم التمرينات
الحربية البحرية والرياضية التي كان يقوم بها البحارة فينقضي الوقت من غير ان نعلم
ولما دخلنا البحر الاحمر أخذت الحرارة تزايد كلما قطعنا مسافة الى الجنوب
وكانت الريح على عادة البحر الاحمر تهب على الدوام من الشمال الى الجنوب فلا تعدل
الحرارة وانما كانت تساعد على سرعة البارجة

وكانت المراوح الكهربائية تجدد هواء البهو وتجعله دائماً طرياً الاحجرات

النوم فاني كنت أنام وفي إحدى يدي المروحة وفي الاخرى المنديل لمسح العرق وقد كان قائد البارجة هذا المضيف اللطيف استأذنتي مراراً أن يضع مروحة كهربائية عندي في غرفة النوم ولكني كنت أجيئه كل مرة مع الشكر له بأنه لا لزوم لاختيار هذا التعب وان غرفتي ليست حارة لدرجة ان يتعب فيها الانسان

كنت كل يوم أضع الخريطة أمامي وأتبع خط سير البارجة ولما كانت تمر بنا بمحاذاة ثغور الاقطار الحجازية مثل ينبع ورايح وجدة كانت تُتمثل نصب عيني جميع تلك البقاع والقلاع التي على طريق الحج وأبقي ساعات متذكراً تلك الايام التي خلت في هاتيك البلاد النائية حيث كنت متجولاً كالعرب الرحل تحت الخيام مدة ستة شهور عند ما كنت مأموراً بمد السلك البرقي الحجازي ومعني الكوكبة العسكرية الفنية . وقد كنت وقتئذٍ ألفت الاقليم والمناخ وعرب البوادي وكثيراً ما كنت أستحضر مشايخ العربان المتعادين ليتناولوا الطعام معي وكانوا كأنهم ليس بينهم شيء من العداوة حتى اتني عند ما كنت في مدين صالح دعوت رؤساء قبائل (اليدا) و (الفقير) و (بلي) وطابت منهم ان يعقدوا الهدنة (ويسمياها العرب العطوة) فيما بينهم فاجابوا طلي وعقدوا الهدنة لمدة سنة وسبب توسطي للهدنة بين هؤلاء القبائل هو احتياجنا لمساعدتهم في مد السلك البرقي اذ ان السلك يمر من البلاد الضاربة فيه قبيلتا اليدا والفقير فكنا محتاجين لجمال عرب هاتين القبيلتين لتمكن من نقل ما يلزم لنا من الذخائر ولوازم الجنود وأعمدة الخشب والاسلاك وكنا مضطرين لجمال قبيلة بلي لنقل ألني عمود انزلت في ميناء الوجه يمرون بها من اراض جبلية صعبة المسالك الى قرب مدين صالح التي تبعد عن الساحل اثنتي عشرة مرحلة فتقرر بهذه الهدنة ان تنقل كل قبيلة من القبائل المذكورة لوازمنا ضمن حدودها وقد قاموا بهذا العمل حق القيام فأنعمت الحضرة العلية السلطانية عليهم بالرتب والوسامات السنية وألبس مشايخهم الخلع السلطانية في احتفال فخم اقيم لذلك بين ذوي المدافع وعزف الموسيقى وأصوات العربان والاهالي صاعدة الى السماء بالدعاء

وحصل بايصال السلك البرقي المذكور الى المدينة فوائد للناس . منها وهي أولها
التخاطب مع سكان مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وارتباطها مع باقي المعمورة من
أنحاء الدنيا ومنها ان المسافرين مع قافلة الحج ما كانوا يتجاسرون على التباعد عن
القافلة ولو قليلاً فالذي كان يتأخر لتعب او غيره كان يضل في الصحارى المقفرة فيدركه
الموت من الجوع والعطش . أما الآن فان المسافر الذي يتخلف عن القافلة يمكنه
أن يهتدي بأعمدة السلك البرقي القائم كل واحد منها مقام دليل في تلك البوادي .
وقد رأيت عند ما كنت في وظيفة معاون ناظر انشاءات السكة الحديدية الحجازية
ان كثيراً من الفقراء الذين لا يودون انتظار القافلة يذهبون على أقدامهم محاذين
السلك البرقي ومزودين ما يلزم لقوتهم من القلاع السلطانية

كنت كتبت عند ما كنت بالوظيفة المار ذكرها كثيراً بخصوص تلك البلاد
وهي رحلة كبيرة ولكن احترق ما كتبه أيضاً ولم يبق من كل ذلك الا ما علق
بالذهن . لذا رأيت ان أشرح في رحلتي هذه بمناسبة سفري الى بلاد كائنة أمام
القطر الحجازي كل ما يعن بفكري من السوانح الخاصة بتلك البلاد المباركة

بينما كنت جالساً على ظهر البارجة اكتب هذه السطور سمعت على وجه الماء
اصوات طيور فالتفت فرأيت طيوراً مرت على وجه الماء ولم تبعد الا قليلاً حتى توارت فيه
وحينئذ التفت الى أحد ضباط البارجة وكان ينظر اليها مثلي فسألته عن ذلك فاجاب
ان هذا سمك طيار يوجد في المحيط الهندي بكثرة ولم يتم الضابط كلامه حتى خرج
سرب من تلك الأسماك من الماء وأخذ في الطيران على وجه الماء بسرعة السهم وبعد
أن قطع خمسين متراً غاص في الماء ثم خرج ثم غاص ثانية واستمر كذلك هنيهة
ثم اختفى عن النظر . وقد استغربت جداً هذه الأسماك الطيارة لأنني لم أرها من قبل
مررنا اليوم الساعة السادسة بعد الظهر أمام جزيرة جبل الطور وفسارها .

وتركناهما عن يسارنا وفي الساعة التاسعة وصلنا الى أمام فنار زبير ودلنا ذلك على اننا
 اقتربنا كثيراً من البحر المحيط الهندي وكان الجو في هذه الليلة حاراً رطباً فجعل
 العرق يسيل من أعضائنا ولم تغتنا المراوح الموجودة في أيدينا شيئاً . وقضيت معظم
 تلك الليلة على ظهر البارجة مستلقياً على كرسي من الكتان مفكراً في حالة الطقس في
 جيبوتي وحرارتها الشديدة



يوم الخميس ٦ مايس (مايو) الوصول الى جيبوتي

الوصول الى جيبوتي — النزول الى البر — زيارة والي جيبوتي وتصل الحبش — سرور
الاهالي الاسلامية — أين ينام الانسان تحت السماء براحة — ذكرى المدينة المنورة — اكرام
العرب وضيافتهم للوارد عليهم

أصبحنا اليوم فوجدنا البارجة تسير مقربة من مضيق باب المنذب وكثير من
طيور الماء تحوم حولها وفي الساعة التاسعة رأينا على يسارنا مدينة شيخ سعد وجزيرة
بريم وعن يميننا خليج (جون) رأس سحبان وأخذنا بعد ذلك تقطع أضيق محل
من مضيق باب المنذب والمسافة بين الساحلين هنا ثلاثة عشر ميلاً فقط وفي الساعة
الرابعة بعد الظهر وقفت البارجة أمام جيبوتي وألقت مراسيها في الميناء وقد حضر
كثير من غلمان الصومال السود ساجدين في البحر لاستقبال البارجة ولهؤلاء الصوماليين
مهارة عظيمة في الملاحة والسباحة حتى اننا كنا نلقي في البحر بعضاً من الدراهم الصغيرة
الحجم فيلقون بأنفسهم وراءها ويأتون بها قبل أن تصل الى قاع الماء ولما أدت
آلة الرسم عليهم لأرسمهم أظهروا الخوف والجزع
و بعد رسو البارجة أمر القائد فأحضروا لنا زورقاً بخارياً يرأسه أحد الضباط
وقد كنا قبل وصولنا الى الميناء أخرجنا جميع أمتعتنا من المخزن ولم يبق الا النزول
الى البر

ولما أرف وقت النزول الى البر ودّعنا قائد البارجة وضباطه ومررنا من بين الجنود
المصطفة على ظهر البارجة لأداء التحية العسكرية وكان العلم العثماني مرفوعاً على الساري
الكبير كما أن القائد وضباطه كانوا مرتدين ا كسيتهم الرسمية وعند نزولنا في الزورق
البخاري واتجاهنا لتقاء المدينة أخذت مدافع البارجة تدوي تحية لنا
ولما وقف الزورق بنا على الرصيف الذي عليه دائرة الوالي (سراي الحكومة)

صعدنا لعند جناب الموسيو بومهور والي الصومال الفرنسي فوجدناه غاية في الرقة والल्पف والانسانية وقد اكرمنا غاية الاكرام وقدم لنا على عادة تلك البلاد القهوة بجامات كبيرة . وقد كنت شربت القهوة المثلجة في اسفاري في صحراء افريقيا والقطر الحجازي فوجدتها احسن شيء لتسكين سورة الحرارة

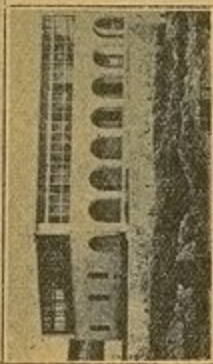
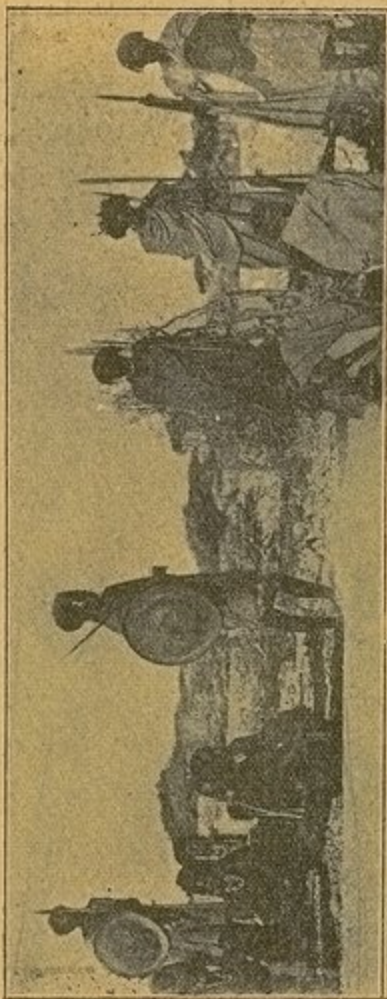
وبعد خروجنا من عند الوالي ذهبنا لعند آتو يوسف قنصل جلالة منليك نجاشي الحبشة في جيبوتي وقد كنت عرفته لما وفد على الاستانة وكان رئيساً لذلك الوفد الاول المرسل من قبل جلالة النجاشي . وعقب وصولنا ارسل الوالي بالتلغراف يبلغ وصولنا الى جيبوتي الى القناصل الموجودين في هرر والى السفير الفرنسي المقيم في آديس آبابا عاصمة الحبشة كما ان آتو يوسف عرف جلالة النجاشي وصولنا

نزلنا في الثغر المذكور بفندق (ده زاركاد) وهو النزل الوحيد هناك وصاحبه رجل فرنسوي ومنذ خرجنا الى البر أخذ الاهالي وكلهم من المسلمين يفدون علينا افواجاً مرحبين بنا بعبارات الاحترام والتعظيم ولم يكتفوا بذلك بل انتظرونا بينما كنا عند الوالي وآتو يوسف خارج المحل وعند ما خرجنا راققونا مهلين مكبرين واستمروا كذلك كما نخرج يراققونا من محل الى آخر ويتزهزون كل فرصة لظهار سرورهم العظيم من ورودنا لثغرهم فاذا طالبنا مركبة يجري العشرات منهم لاحضارها واذا سألناهم الطريق يقدم مئات انفسهم للقيام بخدمتنا وما كنا نحتاج لهم لان الوالي كان عقب وصولنا عين سكرتيره ليكون (مهمانداراً) لنا مدة اقامتنا في جيبوتي ولكن اعتذرت عن ذلك شاكراً انسانيته واكتفيت بحنود الشرطة الذين خصصهم لخدمتنا

وبعد قليل من وصولنا الفندق تكا كالمسلمون على بعضهم في الرذحة الكائنة أمام الفندق وأخذ يزداد عددهم كثيراً فكانوا لا يقنعون بروية الوفد المرسل من قبل خليفة الاسلام مرة واحدة بل كانوا يريدون ان يروه كثيراً على قدر استطاعتهم . واستمر الزحام على هذا المنوال أمام المنزل الى ما بعد العشاء .

واضطربنا الحر الى استعمال الثلج كثيراً فكنت ترى البعض منا يجتهد لتسكين حرارته
 بالقهوة المثلجة والآخر بالكازوزة والثالث بالليموناده . و بعد تناول طعام العشاء خرجنا
 الى الشرفة المحيطة بالفندق من كل جوانبه والقينا بنفسنا على الاسرة الموضوعة هناك من
 غير غطاء اذ يستحيل على الانسان ان ينام في الحجرات من شدة الحر . وقد اعتاد
 سكان البلاد الحارة أن يناموا في العراء ليلاً حتى اني كثيراً ما نمت في بيره جك
 واورفه وديار بكر والحجاز في العراء لا يظنني شيء سوى السماء . ووجدت النوم في
 العراء في المدينة المنورة احسن جداً منه في باقي البلاد المذكورة لان سطوح المنازل
 في تلك البلاد مكشوفة فالنائمون يرى بعضهم بعضاً وأما منازل المدينة المنورة فان
 سطوحها في الدور الثاني غرف بمجران عالية ولكنها لا سقف لها فيصعد الانسان
 بالسلم الواصل من الاسفل الى شبه دهايز بالسطح ومنه تفتتح الحجرات التي ليس
 لها سقف كتفتح الحجرات الموجودة في الدور الكائن تحته . ولا يفتحون الشبايك
 في الحيطان الفاصلة بين حجرة واخرى وانما يجولون كوى شطرنجية الشكل في حيطان
 الدائرة الكبرى لتخلل الهواء مطلة على الخارج محافظة للتستر غير مانعة للهواء . وعند
 المساء يصعد السقاءون فيرشون ارض السقف بالماء ويفرشون المراتب على اسرة
 مصنوعة من خوص النخل على غاية من البساطة والنظافة وعند النوم يذهب كل
 الى محل نومه . والناس في المدينة حتى الفقراء ينامون على الاسرة لرخص ثمنها اذ
 لا يجاوز ثمن الجيد منها ريالاً مجيدياً . ويضعون في كل محل قلالاً متعددة
 لشرب الماء لان الانسان في تلك البلاد لا يستغنى عن شرب الماء كثيراً في الليل
 كالنهار . وهبوب الهواء الحار يبرد تلك القلال ويجعل الماء فيه كأنه مثلج واما آنية
 النحاس فلا تبرد فيها المياه بل تبقى كماء الحمامات . واذا اتقطع الهواء الحار وظهرت
 الغيوم في الجو تسخن المياه في القلال وتصير غير قابلة للشرب فالانسان يشاهد
 هناك التطبيقات الطبيعية الواردة في مبحث التبخر في الحكمة الطبيعية . ان الحديث
 ذو شجون فذكر تلك البلدة الطيبة المباركة من حيث هواؤها وذلك بمناسبة هواء

جيبوتي ، ساحل الصومال الفرنسي





البلاد الحارة التي نحن بصددھا ذكّرني بأهل المدينة فارجو ان لا ينفر القارىء من هذا الاستطراء :

لسكان المدينة المنورة فقيرهم وغنيهم ذوق سليم في معيشتهم فلبسهم جميل وطعامهم جيد ومن شيمهم اكرام الضيف والغريب الى حد المبالغة . فاذا دعا أحدهم بعض الناس فانه يقدم لاضيفه من الطعام ما يكفي اربعين واحداً وبعد الضيوف يطعم الفقراء الموجودين بنحطه واذا ورد على أحد الاهالي ضيف من عرب البوادي يذبح صاحب المنزل في الحال له شاةً واذا صادف وورد ضيف آخر يذبح شاةً اخرى قبل وضع الذبيحة الاولى على النار وهلم جرا يذبح من الانعام كما ورد عليه ضيف . وبالاختصار يجب ان يفهم الضيف ان صاحب المنزل ذبح لاجله ذبيحة خاصةً من الشاة المطبوخة التي يوتى بها محشية في آنية كبيرة وتوضع أمام الزائر على المائدة . ولا بد من وضع الخرفان المحشية على الموائد في المآدب قبل وضع الاصناف الكثيرة الاخرى المصنوعة من اللحم أيضاً . وربما يقول معترض : ولم كل هذا الاسراف ؟ ولم يطبخون لعشرة ما يكفي مائة ؟ أو لا تكفي بضعة ارطال من اللحم لنفر من الضيوف يردون على صاحب المنزل من البادية ؟ فما الموجب لذبح شاة اخرى مع وجود الاولى مذبوحة وميأة للطهي ؟ وكيف يعمل صاحب المنزل اذا كان فقيراً ؟

فأقول ان هذه الاعتراضات كلها في محلها ولكن ما العمل وهذه هي عادات البلد ولا يتأتى لاحد من اهلها مخالفتها بل هو ملزم باتباعها كل الاتباع فالرجل الذي لا يكون قادراً على القيام باكرام الضيف الوافد عليه تراه يستلف النمود لاداء هذا الواجب وقد دعيت مرة عند ما كنت بوادي الحجاز بمهمة تمديد الخط البرقي المجازي لوليمة اقيمت لي من طرف شيخ عشائر البلقاء وعدوان ولما جلسنا على المائدة احضرت قصعة كبيرة يحمّلها الخدم فاذا فيها كبش كبير محشو كما كان أمام كل الضباط الذين كانوا برققتي والموجودين على المائدة معنا خروف ذبح لاجلهم . وبالاختصار فان الانسان لا يمكنه ان يعرف مقدار كرم العرب واكرامهم للضيف حتى يخاطبهم

ويقيم بينهم واني أورد لك مثلاً على كرم هؤلاء الناس في القصة الآتية :
 كان لأحد عرب البادية ناقة سريعة السير جميلة المنظر جداً فاتفق يوماً ان
 قصد الرجل عاصمة بلاده لغرض له فرأى احد اعيان تلك المدينة الناقة فاراد شراءها
 بمبلغ يزيد عن ثمنها الاصيلي اضعافاً ولكن العربي ابى ان يبيع ناقته لشدة حبه
 لها وتمسكه بها وانصرف الى باديته . وأما الذي رغب في ابتياع الناقة فإنه تولع بها
 وعزم على أخذها مهما كلفه الحال وتوسل لبعض اعيان بلده بالذهاب الى البادية
 وان يطعموا البدوي بكثرة الدراهم وزودهم بالدنانير فذهبوا للبادية وسألوا عن بيت
 الرجل ونزلوا ضيفاً عليه دون ان يعرف سبب محبتهم وما يريدون منه فاخذني اكرامهم
 حسب العادة ولما آن اوان الاكل وجلسوا على المائدة وضع البدوي امامهم قصعة
 كبيرة من ثريد اللحم فأكلوا وبعد ان شربوا القهوة فاتحوا البدوي بمسئلة الناقة
 فقال لهم :

- لماذا لم تخبروني عن ذلك حين وصولكم الى هنا فان اللحم الذي اكلتموه
 مع الثريد هو لحم الناقة التي ذبحتها اكراماً لكم ولو أعلم ذلك لما كنت ذبحتها
 فاستغرب الجماعة من هذا الامر واستولى عليهم اليبس والخيرة ويحق لهم ذلك
 ومن ذا الذي لا يعجب من كرم رجل فقير لا يملك سوى ناقة يطلبها أحد اعيان الحضر
 الذي ربما نفعه يوماً بكثرة ماله وبعظم جاهه بثمن كبير اضعاف ثمنها الحقيقي فلا
 يفعل ثم لما لم يكن عنده سواها نحرها لا اكرام ضيوف لا يعرفهم أداء لواجب الاكرام
 والضيافة وتمسكاً بالعادات البدوية

يقال ان الكلام يجر الكلام فاننا بينما كنا نتكلم على النوم في شرفة المنزل في
 جيبوتي اذ ذهب بنا الحديث الى النوم على سطوح منازل المدينة المنورة ومنها انتقلنا
 الى العربان وكرمهم واحوال ضيافتهم في البادية . ولنعد الآن الى البر الافريقي من
 البحر الاحمر ونرضى بالرغم عنا بالنوم على شرفة فندق (ده زاركاد)

يوم الجمعة ٧ مايس (مايو) جيبوتي

زيارة الوفود الصومالية لنا — زيارة الوالي والقنصل — سكة حديد جيبوتي — ٤١ ولداً ذكراً
من أب واحد وأربعة امهات — البواخر التي تمر بجيبوتي — الوارد والصادر — جنس الدانغاليين
المأدبة في سراي الحكومة — المراوح الجسيمة

أصبحت هذا اليوم وأخذت اشتغل بتجهيز الصناديق المقرر ارسالها الى
محطة السكة الحديد مساء وتفريق الاشياء والملابس التي لا لزوم لها في الطريق
لابقامها في جيبوتي لحين عودتنا اليها . أما السكة الحديد المذكورة فهي من النوع
الضيق وطولها ٣١٠ كيلومترات ممتدة من جيبوتي الى (دره يده وا) على طريق
عاصمة الحبشة . فلمسافر اليها يركب قطار هذا الخط الحديدي الى المحطة المذكورة
ومنها يتم طريقه على البغال وسنتكلم فيما يأتي عن هذه السكة

بينما أنا مشغول بتهيئة الصناديق اذ ورد خادم الفندق المعروف في المدن الاوروبية
باسم (الجارسون) وقال ان بعض رؤساء الاهالي أتوا للزيارة وهم ينتظرون اذنكم
بالمقابلة فأمرته باصعادهم اليّ فذهب الخادم ليأتي بهم . وهنا أستميحك أيها القارئ
نظرة لما أصفه لك من حال خدمة الفنادق في هذه البلاد : اذا قلت لك عندما ورد
اسم نزلنا (اوتل ده زاركاد) انه اكبر فندق في جيبوتي فلا يجب ان يخطر في
بالك انه (براپالاس اوتل) (١) او (سومبر پالاس اوتل) (٢) واذا قلت لكم عن
خادم الفندق (جارسون) فلا تظن اني أعني بذلك خدام الفنادق الكبيرة في اوروبا
اللابسين الملابس السوداء والقمصان ورباط الرقبة البيضاء ويدهم القفايز المصنوعة
من الجلد الابيض الرفيع . كلا فان الخادم الموجود هنا هو رجل ليس عليه الا قيص

(١) اعظم فندق شتوي في الاستانة مثل شبرد او جزيرة بالاس في القاهرة وهو تبع الشركة

صاحبة الفنادق المذكورين

(٢) أعظم فندق صيفي فيها واقع في طرايه على البوسفور

بسيط وعلى هذا التمييز وشاح (صديري) ونصفه الاسفل مستور بقطعة من القماش (فوطه) ولا يلبس حذاء في رجله ولا يضع قبعة او طربوشاً او ماشابه ذلك على رأسه والحاصل انه يكاد يكون نصف عريان والبعض منهم يلبس على رأسه طاقية حمراء وكل هؤلاء الخدام هم من الوطنيين وأعمارهم تتراوح بين السادسة عشرة والخامسة عشرة وهم على جانب عظيم من الذكاء ولهم مهارة تامة في أداء خدمتهم

هذا وقد غاب الخادم قليلاً ثم جاء ومعه الزائرون وكان عددهم ثمانية وهم رؤساء قبيلتي عبسسا ودانجالي . وهم سمر الوجوه لون البعض منهم يميل للجوزي وكلهم طوال القامة متناسبو الاعضاء تجلبهم سمات الوقار والمهابة ويلبس البعض قميصاً طويلاً وعلى رأسه طاقية والبعض ليس عليه سوى (فوطه) وهو مكشوف الرأس . وشعرهم الكث فوق رؤوسهم يشبه العمامة المدورة الكبيرة يضعون في خلاله سهماً طويلاً مصنوعاً من أغصان الاشجار مثل (الدبوس) الذي يربط به السيدات الغريات قبعاتهن على شعورهن . ويستعملون هذا السهم لحك جلد رؤوسهم عند الزوم لانه لا يمكن وصول اصابعهم لجلد رؤوسهم بسبب كثافة الشعر . وكان بعضهم وهم الذين كانوا يترددون على الحجاز يتكلم اللغة العربية جيداً والباقيون لا يعرفون منها الا قليلاً

وبعد المصافحة والسلام اخذوا يدعون وهم وقوف على الاقدام للحضرة العلية السلطانية وأبلغوني انه سيصل مساء وفود من طرف القبائل القرية من جيوتي لتسليم على الوفد السلطاني . ثم جلسوا فصاروا يسألون عن احوال الاستانة مستفسرين عن عدد سكانها وعن مساجدها الجامعة والمحلات المباركة فيها وعن الوجهة التي أقصدها . وسبب سفري اليها

وكسوة هؤلاء الرؤساء بسيطة جداً والبعض منهم حافي القدمين والبعض يلبس في رجله نعلات مثل النعال الحجازية . ومع كل ذلك ترى الانسان يشعر بهيبتهم ووقارهم حال رؤيته لهم . وسمات الشجاعة والبسالة الظاهرة على وجوههم تجعل كلاً منهم شبه

تمثال للحرب والكفاح صنع من (البرونز)

بينما كنا تجاذب أطراف الحديث اذ جاء الموسيو بونهور والي الصومال الفرنسية لرد الزيارة ومعه حاشيته والكل مرتدون أرديتهم الرسمية وكان يمشي امام مركبة الوالي فارسان من جنود الشرطة . فلما رأى الوالي الموما اليه رؤساء القبائل الصومالية هش في وجوههم وصافحهم جميعاً يداً بيد وسأل عن احوالهم وصحتهم . ولم يمض قليل من وصول الوالي حتى جاء ايضاً (آ تو يوسف) قنصل الحبشة في جيبوتي . وبعد ان مكث الوالي برهة استأذن بالذهاب مذكراً ايالي بالاجتماع عنده في دار الحكومة مساء لحضور المأدبة التي أعدها اكراماً للموفد السلطاني وقد كان الوالي دعاني ومن كان معي لهذه المأدبة يوم وصرلنا الى جيبوتي

وبعد ذهاب الوالي ورؤساء القبائل جاءني زائران سوريان هما اسكندر افندي غالب وبشاره افندي غالب وقد كانا جاءا بالامس الى الفندق عتب وصولنا وحصل بيننا التعارف بواسطة آ تو يوسف

وهذان الشابان هما من قرية بيت شباب من اعمال لبنان وكان عمر أحدهما حوالي الثلاثين والثاني يقرب من الثامنة والعشرين وقد اتما دروسهما في مدارس بيروت ثم اشتغلا بالتجارة في كثير من انحاء افريقيا وعلى الاخص في داهومي ثم استقرا قبل بضع سنوات في جيبوتي وأخذت تجارتها تمتد وتنمو حتى دخلا في عداد التجار المشهورين هناك ونالا ثقة جلاله النجاشي منليك واكتسبا الصيت الحسن والشهرة الطيبة وعرفا بالامانة اللازمة جداً للتجار . وبواسطة هذه الخصال الحميدة والمزايا الحسنة ربحا كثيراً من الاموال حتى صارا من الاغنياء . وقد تسر حالة هذين الهمامين كل سوري عثماني ونود من صميم أفئدتنا ان يكونا قدوة لسائر شباننا الساكنين مسالك التجارة . وقد اكرمانا غاية الاكرام وعرضا أنفسهما لخدمة الوفد وان يقوموا بكل ما يلزم لنا فشكرت معرفتهما ووقفت منهما على ما اريد الوقوف عليه من احوال البلاد وهما بها خيران لا سيما فيما يختص بشعر جيبوتي وعمرائها وقد جلت المدينة متفرجاً

وطفت على احيائها بدلالة احدهما اسكندر افندي

ولما رجعت من مشاهدة المدينة وجدت ان ميعاد الذهاب الى الأديبة الرسمية لم يكن بعد فاتت هذه الفرصة لكتابة ما جمعت من الاخبار بشأن هذه البلاد وهذا هو :

كانت الحكومة الفرنسية اشترت سنة ١٨٦٣ ميلادية المحل المسمى (اوبوك) الكائن خارج مضيق باب المندب والواقع شمالي خليج ناجورا من الرؤساء المحليين واتخذت المحل المذكور محطة للزاد والذخائر والفحم اللازم للسفن الحربية الناهبة الى الشرق الاقصى أثناء حرب الصين سنة ١٨٨٣ وألفت هناك حكومة للضبط والربط وقد ظهرت فائدة هذا المحل أثناء الحرب المذكورة وأخذت أهميته تزداد حتى أضحي ثغراً مهماً لجميع البواخر الناهبة الى الهند الصينية والآية منها . ولكن نقص عمق المياه هناك كان يضطر السفن أن ترسو على مسافة بعيدة جداً عن الساحل وفي هذا من الصعوبة في أخذ الذخائر وما يلزم للسفن ما فيه كما ان وجود جبال شاهقة صعبة المرور بين هذه المحطة والبلاد الداخلية كانت تعيق حركة التجارة على الداخل والخارج لذلك كله أخذت الحكومة الفرنسية تبحث عن محل آخر أكثر ملاءمة وموافقة من اوبوك . فاكشف والى الصومال الفرنسي حينذاك الموسيو لاغارد (سفير فرنسا في عاصمة الحبشة الآن) موقع جيوتي الحالية الكائنة امام (اوبوك) بواسطة بعض البجارة الوطنيين . وقد وجدوا أن مياه ساحل جيوتي اعماق من مياه الاولى (اوبوك) وان ميناءها صالحة لالتجاء السفن اليها عند الحاجة ولذلك تقرر نقل الثغر الى هنا وبوشر في سنة ١٨٨٨ ميلادية بتشييد ما يلزم من الارصفة والابنية على هذه لارض القاحلة الحالية من كل شيء ولم تمض مدة حتى أنشئت هناك بلدة بتشويق الحكومة الفرنسية وتنشيطها للناس وبهمة التجار وأخذت تكبر شيئاً فشيئاً حتى أصبحت اليوم مرسى تجارياً مهماً ومما زاد في اهمية الثغر المذكور الطريق المتفرع منه الذاهب الى (هرر) التابعة للمملكة الحبشية ومنها الى (آديس آبابا) وهو الطريق

الذي تسلكه القوافل التجارية في ذهابها الى داخل الحبشة وفي ايابها منها وكان الموسيو ايلج السويسري المستخدم منذ زمن بعيد عند النجاشي منليك نال من جلالته امتيازاً بمد سكة حديدية في البلاد الحبشية تنتهي في جيبوتي لمدة ٩٩ سنة وعمد شركة مع الموسيو شفنو المقيم في الحبشة منذ مدة مديدة الواقف على الاحوال التجارية في الحبشة المطمع على كيفية تأليف الشركات . فذهب الموسيو شفنو الى فرنسا وحصل بواسطة نفاذرة المستعمرات على امتياز مد خط حديدي طوله ٩٠ كيلومتراً من المحل المسمى (عالي صبح) الكائن على حدود الصومال الفرنسية الى جيبوتي وبوشر بأعمال مد الخط سنة ١٨٩٦ بعد ان عانى في الاعمال الابتدائية اي التخطيط غاية الصعوبة واخذت بعد ذلك جيبوتي تتعاظم وتزيد فعدل التجار الوافدون عليها عن السكنى في الاكواخ الأرضية وأنشأوا يشيدون الأبنية الحجرية وتألقت شركة فرنساوية لتشييد المنازل لتأجيرها للأهالي والسكان واعطيت الاراضي اللازمة لبناء المحازن والحوانيت والمنازل مجاناً لمن يريد حتى ان بعض الصوماليين الوطنيين قلدوا الاوروبيين والتجار المسلمين فبنوا بيوتاً من الحجر وهجروا اكوابخهم المصنوعة من البوص والقش

ويملك التجار المسلمون الوافدون على جيبوتي من اليمن وحضرموت كثيراً من الارض والعقار وأشهر وجهاء الاهالي الوطنيين المسلمين رجل يسمى (الحاج ديدة آيده لا) وقد حضر لزيارتي مع سائر التجار المسلمين وهو رجل في السبعين من عمره ولكنه لا يزال متمتعاً بصحة تامة وقوة جسم عظيمة وله واحد واربعون ولداً ذكراً من أربع زوجات ولذا كان مغبوطاً لدى جميع اقاربه

تأخذ المدينة المياه اللازمة لها من آبار حفرتها شركة على مجرى سيل يبعد سبعة كيلو مترات عن جيبوتي وذلك بان ترفع الماء بواسطة آلات بخارية الى احواض مرتفعة ومنها يوزع على المدينة بأقنية (مواسير) من حديد وكان انتهاء حفر الآبار ووضع الأقنية وتوزيع المياه منذ اربع سنين

وقد أعطت الحكومة بعض الاراضي الكائنة في المحل المسمى (صحبوي) الواقعة على السيل المذكور لبعض العرب الوافدين من الخارج مجاناً فحفروا الآبار في حقولهم وغرسوا البساتين والجنات وصاروا يزرعون الطماطم والخيار والباذنجان والرجلة (البقلة) والقرع والبطيخ والشمام (البطيخ الاصفر) فزاحوا بذلك بساتين الصفايح (لان الاهالي الوطنيين يسمون علب الصفايح الواردة من اوروا المحفوظ فيها الخضار والأثمار والبقول ببساتين الصفايح)

تتقسم مدينة جيبوتي الى أربعة أقسام : فالاول يسمى حي المرابط (Marabout) نسبة الى رجل مبارك يسمى شيخ سراج كان أقام في هذا القسم ودفن بعد وفاته هناك وفي هذا الحي محل توكيل شركة مساجري ماريتم الفرنسية ومخازن الفحم ومخازن الآلات والادوات وورشة التعمير والتصليح وقد رأيت هنا كثيراً من الفحم الذي اشترته الحكومة الروسية وأعدته لأسطول البلطيك الذي عزمت الحكومة الروسية على ارساله الى الشرق الاقصى وقد بوشر بتشييد رصيف في هذا القسم طوله ٥٠٠ متر داخل في البحر لترسو البواخر عليه

والقسم الثاني اسمه حي مسيطح الحية (Plateau du serpent) ويوجد في هذا القسم محطة السكة الحديد وجميع المباني الخاصة بها ودير رهبان وراهبات الفرنسيسكانيين والمستشفى البلدي وسائر المباني الفخيمة

والقسم الثالث هو حي جيبوتي وقد كان بوشر بتأسيس المدينة من هذا القسم ويوجد بهذا الحي دائرة الحكومة والجمارك ومحل الشرطة ومخازن التجار الاوروبيين والعرب ومكاتبهم وسائر الابنية ذات البال مثل الفنادق وغيرها ويتصل هذا القسم بحي مسيطح الحية بشارع منتظم عريض طوله كيلومتر واحد وفي وسط هذا الشارع توجد دوائر الحكومة مثل ديوان الاشغال والبوستة والحقانية ويتنزه سكان جيبوتي في الشارع المذكور

أما القسم الرابع فهو حي الصوماليين الوطنيين ومنازل هذا الحي عبارة عن

اكواخ من البوص والاعصان و (العليق) ولكن شوارعه مستقيمة ومستوية وقد كانت الحكومة صرحت قبلاً ببناء اكواخ في هذا القسم والآن منعت بناء الاكواخ واذا انهدم كوخ فان صاحبه مضطر ان يشيد بدله بناء من الحجر

يوجد في جيوتي مسجداً واسعاً انشأه الواحد الحاج (ديدة آيده لا) الصومالي المار ذكره والثاني انشأه المرحوم السيد حسن الباز المصوعي وقد زرت هذين المسجدين فوجدت الائمة يعلمون الصبيان القرآن الكريم

وقد كان سكان جيوتي تزايدوا جداً في أثناء مد الخط الحديدي حتى بلغ عددهم سنة ١٩٠٠ عشرين ألفاً ولكن لما وقف العمل في (دهر يداوا) سافر المهندسون والمتعهدون والعمال والفعلة الى بلادهم وانصرف البايعون الذين كانوا يتكسبون من بيع بضائعهم وسلعهم لهؤلاء العمال وأصحاب الفنادق والآن يبلغ عدد سكان المدينة المذكورة ثمانية آلاف بما فيها العرب والصوماليون والفرنساويون

يوجد وراء خليج (ناجورا) ملاحه غنية بملحها تسمى بحيرة عسب او عسال بينها وبين الساحل ثلاثون كيلومتراً وهي واقعة في محل شديد الحر كثير الحيات لهذا كانت الاستفادة منها في الحال الحاضر قليلة جداً

وقد رأيت ترغيباً للتجار العثمانيين ان أدرج هنا ما علمته من احوال جيوتي التجارية والبواخر التي تمر عليها فأقول :

يمر على جيوتي كل شهر ست باخر من شركة (مساجري مار يقيم) الثلاث منها في الذهب من بورت سعيد الى الجنوب واثلاث الاخر في الاياب الى الشمال فاثنتان من الآتيات من الجنوب الى الشمال تنتسبان الى خط ماداغسكار والواحدة تنتسب لخط الهند الصينية ويمر على الثغر المذكور باخرة من شركة الناسيونال مرة فقط وهي ذاهبة الى الهند الصينية كما ان للشركة (هاوره زينسولر) الفرنسية باخرة تمر بثغر جيوتي كل شهر مرة في الذهب الى ماداغسكار وجزائر (ره اونيون) ومرة في الاياب منهما ولشركة انكليزية باخرة تمر عليها في الشهر مرة واحدة وهي ذاهبة

من بلاد الانكليز الى الخليج الفارسي والى البصرة وعدا ذلك يوجد باخرة روسية تقوم من اودسا كل شهرين مرة قاصدة البصرة ومارة بثغور الاستانة وازمير وبيروت وبافا وبرت سعيد وجيبوتي والبصرة وتعود الى اودسا مارة بهذه الثغور المذكورة فليفتت تجار ازمير وسورية لهذه الباخرة التي يمكنهم ان يستفيدوا منها كثيراً وهذه البواخر مثقنة تسافر وتعود في مواقيت معلومة ولا يدخل في هذا الحساب البواخر الظهورات التي تنقل الفحم الى مخازن شركة المساجري مارتيم وشركة أفريقيا الشرقية وغيرها من الشركات ويوجد باخرة فرنسية صغيرة محمؤها ٣٠٠ طونيلاطة تنقل الركاب والبوستة والبضائع بين جيبوتي وعدن ولكنها كانت عند وصولي الى جيبوتي أخذت لورشة التصليح والترميم

ويأتي الى جيبوتي جميع انواع البضائع لبيعها في داخل البلاد واكثر ما يباع للقبائل الصوماليين والدانغاليين هو الارز الهندي والذرة والنباك والذرة البيضاء الواردة من البلاد العربية والبقعة البيضاء وسائر الاقشنة الواردة من انكلترا . ويأتي بكثرة من امريكا نوع من البقعة يسمونه في البلاد الحبشية وفي ساحل الصومال ابو جديد ويباع منه متادير كثيرة واكثر البضائع التي ترسل من الساحل الى داخل الحبشة هي انواع الاقشنة القطنية والحريرية والاجواخ والآلات والادوات الحديدية والبسط المعجمية وتقليدها والبسط الاوروبية وانواع الاسلحة النارية والاشياء المصنوعة من الفضة والنحاس . واما ما يرد من البلاد العمانية فالستائر والطنافس المشغولة خاصة بالاستانة وعطر الورد يرد منها والاقشنة الحريرية المسماة بالقطني المصنوعة من الحرير والقطن معاً وسائر الاقشنة القطنية ترد من سورية . والبن والملح وانواع الحبوب والحصر ترد من اليمن . وبيع التجار سلعهم هذه ويشتررون بضائع مختلفة محلية وترد البضائع على الساحل الصومالي بواسطة السفن الشراعية . ويبلغ عدد هذه السفن التي تمخر بين ساحل اليمن وبين جيبوتي من جهة وبين عدن وزيلع وجيبوتي وبربره من جهة اخرى اكثر من مائة وكلها مستظلة بالراية العمانية

أما البضائع التي ترد من الحبشة بطريق (هرر) فإنها من الحاصلات الطبيعية مثل بن (زما) وسن الفيل (العاج) والذهب الاصفر (التبر) ؟ والشمع العسلي و (القاقوله) ومن الحيوانات الالهية مثل العجول والغنم والمعز وغيرها من الماشية وقليل من جلود الحيوانات الوحشية والزباد المستخرج من قط المسك ويسميه الافرنج (Sivete)

والفالاليون يستخرجون التبر بتصفية رمال الانهار والغدران ويرسلون منه في السنة الى جيوتي ما تحزر قيمته بمليون فرنك وأما الزباد فانه يباع الكيلومنه بثلاثماية فرنك ويوجد في جيوتي اكثر من مائتين من رعايا العثمانيين مثل السوربين والبانين والحجازيين والارمن فالبعض منهم يشتغل بالتجارة والبعض اصحاب دكاكين صغيرة ولبعضهم علاقات بمدينة (هرر) فيترددون اليها كثيراً

وما انتهيت من كتابة هذه السطور الا وقد مضى الزمن وأن وقت العصر وأنا اكثر من شرب القهوة الباردة المثلجة من شدة الحر ومناخ جيوتي في غاية الحرارة وشمسها محرقة جداً واذا وقف الابيض مدة عشر دقائق في الشمس من غير مظلة يموت حالاً من ضربتها والموت بضربة الشمس هناك يعد من الحوادث المألوفة

وفي الساعة العاشرة على الحساب الشرقي سمعت أنفاماً وأصواتاً آتية من بعيد وبينما أنا اتفكر في ما عسى ان يكون ذلك اذ أخبرت بورود وفد قبائل عبسسا فخرجت الى شرفة الفندق فرأيت جمهوراً من الناس نحواً من خمسمائة ذوي ألوان نحاسية كبيرى الاجسام متناسبي الاعضاء مسلحين بالحراب والهراوات وكانت أنصاف أجسامهم العليا عارية من اللباس وكانوا وهم مقبلون علينا يهلون ويكبرون مرة وينشدون الاناشيد الحربية مرة أخرى وجماهير الناس تمشي معهم محتاطين بهم للتفرج عليهم وبعد أن وصلوا أمام الفندق اخذوا يسلامون علينا بلسانهم ولما انتهوا من السلام متحلّقوا وصاروا يغنون ويرقصون والبعض منهم كانوا يتبارزون داخل تلك

الحلقة ويمثلون حروبهم بأصوات خشنة مدهشة وبأوضاع خفيفة وسرعة عجيبة مما يدل على أنهم أقوام حربيون أولو بأس شديد وميل للحرب والطعان وبعد ذهاب هذا الوفد أتى وفد الدانغاليين وبعدهم وصلت وفود العرب الوطنيين بطبولهم وزمورهم ثم انصرف الجميع شاكرين لما لقوه منا من الاكرام وكانت قد دنت الساعة الثامنة على الحساب الا فرنجي فارتديت الكسوة الرسمية البيضاء وذهبت أنا ورفيقي الى دار الحكومة لحضور الأداة التي دعينا اليها

ولما وصلنا الى دار الحكومة وجدنا كوكبة من جنود الشرطة واقفة أمام المدخل لأداء التحية ويكتسى هؤلاء الجنود جاكت وبانطون قصير الى الركب مصنوع من قماش أبيض وعلى رأسهم طربوش عليه نجمة وهم عراة الاخذ حفاة الاقدام لان الوطنيين هنا يمكن ان يتعودوا لبس الثياب ولكن لا يمكن تعويدهم الاحتذاء لانهم يجدون السير من غير حذاء أسهل عليهم

وقد استقبلنا الوالي بكل احترام وتعظيم ووصلنا الى الشرفة الواقعة باتصال بهو الاستقبال وبعد ذلك اخذ المدعوون يفدون فيجتمعون في تلك الشرفة وكان كلما دخل شخص يعرفنا الوالي به وبزوجه . وكانت ابواب دار الحكومة ودهاليزها وبهواتها مزينة جداً بالفوانيس الجميلة المختلفة الالوان والاعلام وبالزهور الطبيعية والصناعية وكان العلم العماني يزين باب البهو الكبير بازائه العلم الفرنسي . ولما آن وقت الطعام جلسنا على المائدة التي كانت مزينة جداً ومرتبحة احسن ترتيب . ولما جلسنا أخذت المراوح الكبيرة المسماة (بانكار) تروح لتعديل الحرارة وتلطيفها . وهذه المراوح معلقة بالسقف على طول المائدة وتصل بواسطة الحبال واللواكب بالخارج حيث يوجد الخدمة الذين يشدون تلك الحبال أخذاً ورداً فتتحرك المروحة وبذلك يحصل في الغرفة هواء لطيف ولولا هذه المروحة لكان الاكل من رابع المستحيلات من شدة الحر . ويوجد من المراوح المذكورة في اكثر المنازل والمخازن لان البيض لا يتقدرون على تحمل حر تلك البلاد

وقد كانوا ألبسوا رؤوس الكرات المصنوعة من البلور الموضوعة على الشموع
بنوع من الغطاء مصنوع من المعدن حتى لا تنطفيء الشموع من الريح أثناء الطعام
وقيل لي ان هذه الاغطية تعمل في الهند لاجل ذلك خاصة

أما طعامنا فانه كان من السمك ولحم الخرفان والعجول والطيور والخضار
والحلويات وغيرها وقد علمت أن السمك في جيوتي كثير ومتنوع جداً وانما لم أجد
الطعم اللذيذ الموجود بأسماء الاستانة

ولما انتهى الطعام انتصب الوالي قائماً وخطب ودعا للحضرة العلية السلطانية
وشرب نخب جلالته وهتف الحضور بالدعاء . وبعد ذلك قمت وخطبت خطبةً وجيزةً
جواباً عن خطبة الوالي بما يناسب المكان . ثم قمنا عن المائدة وجلسنا بالشرفة حيث
أديرت على المدعوين اطباق المرطبات والحلويات المثلجة والدخان والقهوة وانصرفنا
بعد ذلك جيمماً شاكرين لطف الوالي وانسانيته



يوم السبت ٨ مايس (مايو) القيام من جيبوتي

القيام من جيبوتي — وصف المعر — الحديث مع الصوماليين في المحطات — اكوخ
الصوماليين — اخلاص الصوماليين للحضرة السلطانية — الهباب بدل العابون — مسواك
نمل السجائر — الوصول الى حدود الحبشة

توجهنا صباح هذا اليوم في منتصف الساعة الخامسة الى المحطة ووجدنا هناك
عددًا كبيرًا جاءوا لوداعنا فودعناهم وركبنا القطار الذي قام في الساعة السادسة .
ولكون الارض التي حول جيبوتي قاحلة رملية لا زرع فيها ولا ضرع كنت
ظننت ان الحال سيستمر كذلك ولكن لم يصدق الظن اذ بعد ان بعدنا عن المدينة
مقدار خمسة كيلومترات أخذنا نشاهد الاعشاب والنباتات الخضراء والشجيرات التي
تقوم مقام حطب الوقود عندهم وهو ما تصلح ان تكون مرعى خصيبًا لكثير من
قطعان المواشي السائمة

ولما وصلنا الى محطة (حمبولي) المار ذكرها البعيدة مسافة سبعة كيلومترات
عن البلد رأينا الآبار والآلات الرافعة واحواض المياه وقد كنت ذكرت أننا ان
المياه تتوزع على المدينة من هنا . وسار القطار بعد وقوفه قليلاً في هذه المحطة لأخذ
الماء اللازم للقاطرة . والاراضي التي كنا نمر عليها بعد هذه المحطة مع كونها بركانية
كان يوجد بها قليل من الاعشاب والنباتات والبعض منها صالحة للزرع . وبعد ان
قطعنا مسافة تغيرت المناظر بفتة وظهرت على اطرافنا الهضاب والمراعي وهي لابسة
حلة خضراء كالزمرد . وكنا نرى لون الارض احمر كاراضي حوران (من اعمال
دمشق) وطري كأنه الحناء فلا بدع ان تكون هذه الاراضي من اخصب ما يكون
لو اعتنى بتنظيفها من الاحجار الموجودة على سطحها وحينئذ تذكرت ما كنت سمعته
من الوالي عندما كنا في جيبوتي من انه ينوي حفر آبار أرتوازية في الاراضي .

والحقول المحيطة بجيوتي الصالحة للزراعة لانشاء قرى ودسا كريمة وذلك حينما تسمح
مالية المستعمرة بذلك وعلمت انه اذا اخرج هذا المشروع من القوة الى الفعل تؤخذ
غلة كثيرة من هذه الاراضي الخصبة التي لم تزرع اصلاً والتي تسبخ منذ قرون
بفضلات الحيوانات الأهلية والمواشي التي ترعى فيها

وفي الكيلومتر التاسع عشر رأينا قبر أحد المهندسين الاجانب وقد قتله الوطنيون
اثناء العمل في السكة الحديدية . وبعد ذلك مررنا على قنطرة عظيمة من حديد قائمة
على واد كبير بعد ان وقف القطار هنيئة قبل اجتيازه القنطرة . ولما وقف القطار رأى
بعض الصوماليين طربوشي فانكفأوا على المركبة من كل جهة والفرح باد على
وجوههم وأخذوا يكلمونا وسألنا الذين يعرفون اللغة العربية عن احوالهم فشكوا
من السكة الحديدية فقالت لهم : لم تشكون من السكة الحديدية ؟ أليست أحسن من جالكم
فتقدم حينئذ اقدرهم على التكلم واجابني قائلاً : كلا ليست باحسن من جالنا فان
الجل اذا لمس الانسان لا يؤذيه واذا هاج لا يمسه بضرر ويقتصر هياجه على اخراج
الزبد من فمه ولكن هذا (و اشار بيده الى قاطرة القطار) اذا صادف انساناً أو حيواناً
اثناء سيره يحمله ارباباً واذا هاج يزعج صوته جالنا ومواشينا فيشردهم في الغلاة وجمالنا
تأتي باحمالها على الارض . وهذه (و اشار بيده على مدخنة القاطرة) اذا هاجت
تخرج من ضمنها الدخان والنار وتغطي الحقول بطبقة من الرماد . ولحم الجمل يوكل ثم
هو يتناسل ويكثر نوعه وأما هذا فكيف تذبجه وتأكله ؟ فاجبته ان السكك الحديدية
موجودة في بلاد الدولة العمانية وان القطر الحجازي سيتصل عما قريب بسائر البلاد
بسكة حديدية فقال اذن السكك الحديدية الموجودة عندهم ليست بدعة افريقية
وبذلك فهم هذا الصومالي ان سككنا الحديدية ليست بدعة افريقية . ولما
انتهينا الى هنا من الكلام تحرك القطار فكانوا يحيوننا بأيديهم . وقد قال لي مقتش
القطار ان الاهالي الوطنيين كانوا يضعون العقبات في سبيل مد السكة اثناء العمل وانه
كثيراً ما ادى الامر الى الضرب والطعان ووقوع بعض القتلى من الطرفين وان

الفعلة كانوا مضطرين للتسلح في اثناء الشغل . والسبب في ذلك ان القوافل كانت تذهب وتجيئ بين جيبوتي وهرر على جمال الاهالي الوطنيين فلما شرع في مد المسكة الحديدية أخذوا يناوئونها مناوأة شديدة

وفي الساعة السابعة تغير لون الأعشاب والنبات شيئاً فشيئاً حتى أشبه لون الفضة . وفي منتصف الساعة السابعة وصلنا الى محل يسمى (اليلا) ووقفنا هناك ريثما وضع المستخدمون الزيت في عجلات القطار وآلاته . ويوجد في (اليلا) بضعة من الاكواخ المبنية من الحصى (الظاظ) غير منتظمة الجدران مسقوفة بالقش والبوص (القصب) . وهنا أردت ان ارسم بعض اولاد الصوماليين بالعدة الفوتوغرافية ولكن توصل اليـ آباؤهم ان لا افعل خوفاً من ان يموتوا ؟؟؟؟ وبما انه يعز عليـ موتهم عدلت عن تصويرهم !!!!!

وبعد ان قنا من هذه المحطة بقليل صادفنا قطعاناً من الجمال ترعى بيض الالوان نحاف الاجسام جميلة المنظر سريعة السير ورأينا أيضاً قطعاناً من المعز الابيض تشبه الغزلان وقد كنت رأيت فيما مضى في صحارى برقه التابعة لبني غازي نوعاً من الجمال يشبه هذه الجمال التي رأيناها من القطار

وفي الساعة الثامنة وصلنا الى محطة (هلهل) وهي ثلاثة اكواخ كبيرة خشبية منفصلة عن بعضها ويوجد على اطراف المحطة قرية صومالية فيها خمسون كوخاً . ويتعيش الصوماليون كسائر عربان البادية من ألبان مواشيمهم وتاجها ومن كراء جهالمهم وينزلون حيث وجدوا الكلاً والمرعى ويمكثون هناك حتى ينفد الكلاً وتجول كل قبيلة في حلها وترحالها في دائرة حدود منازلها فسكان هذه الجهات هم عرب رحّل ولكن ليس لهم بيوت شعر كعربان الشام وبنغداد وحلب والحجاز وطرابلس الغرب وبني غازي بل هم يبنون مساكن لهم حيثما نزلوا والبناء بالحجارة والطين اذا وجدوا حجارة واغلبهم يرفعون الجدران بغير طين و بدون انتظام ومساحة المسكن متران تقريباً وارتفاعه متر ونصف متر ويفطون سقفه باغصان الأشجار والنهاتات وبهذه

الوسيلة لتمكن العائلة من بناء مسكن لها في يوم واحد . وفي الاماكن التي لا يوجد فيها احجار يبني الصومالي جدران منزله من الاغصان ويرفع فوقه قبة في شكل نصف كرة ويغطيها بالنباتات واذا تعذر وجود الأشجار واستعمل اغصانها لجأ الى اربع عصي توجد عنده دائماً لهذه الغاية طول الواحدة منها متران ونصف فيركز هذه العصي في الارض ويربط رؤوسها بعضها ببعض ثم يشد الاطراف الاربعة بالحشايش والنباتات . ويوم ترحل القبيلة يحمل كل واحد منهم بيته هذا المؤلف من بضع عصي وتكون الاراضي التي في اطراف هذه المحطة دائماً الخصب ترك صوماليو هذه الجهة الترحال وتحضروا وانشأوا قرية لهم وبنوا اكواخاً متينة بالنسبة لا كواخ غيرهم وأخذوا يبيعون اللبن وما اشبهه لركاب السكة الحديدية

فلما وقف بنا القطار في المحطة المذكورة هرع البنات الصوماليات لبيع ما استحضره من اللبن الصريح وهم يضعونه في مقاطف أما اللبن المشوب بالماء فيضعونه في القرب . فاشتريت مقطف لبن من احدى البائعات . والقارئ يستغرب وضع اللبن ضمن مقطف فليان ذلك اقول : ان الذين قرأوا رحلتي الى صحراء افريقيا الكبرى يتذكرون ما شرحتة في الرحلة المذكورة عن كيفية عمل بعض الأواني من سعف النخل ولذا ذكر ذلك هنا أيضاً فائدة للقراء : يعتمد سكان واحات اوجله وجالوالي النخل ويقطعونه ويحكونه بعد ذلك كحياكة الحبل الدقيق ومن هذه الحبال الدقيقة يصنعون اعباً ذوات اغطية مختلفة الحجم والشكل وموائد كبيرة كالصواني النحاسية التي يؤكل عليها والاغرب من ذلك أنهم يحكون من هذه الحبال قليلاً لوضع الماء والالبان وجميع السوائل وقد تستعمل هذه الأواني اللينة لتبريد الماء لانه يرشح منها رشحاً قليلاً

أما الصرماليون هنا فانهم يستعملون نباتاً ناعماً قوياً بدلاً من اوراق النخل وسمفه في صناعة الاواني والقصاع والجرار ويسودون داخل الاواني الخاصة بالالبان أو السوائل التي يجب حفظها من الترشح بطبقة من هباب الدخان فيسد مسامها

ويقوم مقام الطلاء ويمنع السائل من الترشح ولا يغسلون هذه الاواني بالماء بل اذا ارادوا وضع شيء آخر في قصعة اللبن عرضوا باطنها للدخان فيطيلها بالسواد ويزيل الزفر والفضلات منها ثم يعيدون ذلك كما ارادوا تنظيفها

قلت اني اشتريت في المحطة المذكورة قصعة لبن رايب فلما ذقته وجدته حامضاً جداً مائلاً للمرارة فسألت كيف يصنعونه فقيل انهم يضعون اللبن المحلوب هذا اليوم مثلاً في قصعة مدخنة بالهباب كما ذكر آنفاً من غير ان يغلوا اللبن أو يضعوا فيه الروبة اللازمة لترويه . وفي اليوم الثاني يضيفون عليه ما زاد عن غذائهم من اللبن وما حلبوه من جديد وهكذا يأخذون اللبن القديم ويبعونه ولذلك لا يمكننا نحن ان نشرب أو نأكل ألبانهم ولكن الضرورات تبيح المحظورات فاننا لشدة الحرارة اضطررنا لشرب اللبن الرايب بعد وضع الماء فيه

وقد أحاط الناس بمركبتنا هنا أيضاً وصاروا يكلموننا وعلامات السرور والارتياح بادية على وجوههم . وليس على رجالهم سوى (فوطة) لستر العورة كما ان نساءهم كنّ مكشوفات بحيث كان القسم الاعلى منهن باديةً أما الاولاد فانهم عراة الابدان بالمرّة واكثرهم يتكلمون باللغة العربية وأعضاؤهم متناسبة وسخنهم جميلة جداً

وبعد ان فارق القطار هذه المحطة وأخذ يقطع النيافي جمعنا نشاهد قطعان المعز لايض الجميل الشكل سارحة في الاراضي بين الاعشاب والنباتات . وبعد هذه المحطة أخذ الطقس يعتدل قليلاً لان القطار كان آخذاً في الصعود وقرب الساعة التاسعة مررنا في اراض قليلة العشب وقد غلبت الطبيعة البركانية على قوتها الانباتية فصرنا لانرى في كل بضع ثوان الا الاحجار والصخور السود

وفي الساعة التاسعة بالتأم وقف القطار في محطة (تعسيه) وأخذت القاطرة الماء اللازم لها منها . وفي هذه المحطة وما جاورها أيضاً كثير من الصوماليين واكوأخهم مبنية على أطراف المحطة ورأينا هنا غلاماً صومالياً يبيع القهوة للركاب وقد أحسن صنعته اذ يجهن القهوة قبل وصول القطار فلما أشرنا على المحطة بادر بتقديم القهوة للمسافرين ضمن فناجين

ولما سار بنا القطار من هذه المحطة راقت في عيني مناظر أشجار جميلة قائمة على جوانبنا تشبه (الدفلي) فسألت عن اسم هذا الشجر فقيل لي انه يسمى (فرحى) وانه ينبت من نفسه كسائر أعشاب هذه الصحارى وانه يعمل من أغصانه نوع من السواك وقد كنت رأيت الصوماليين يضعون في أفواههم قطعاً يعبثون بها بأسنانهم نارة ويمتصونها اخرى فاذا هي من هذا الشجر وعلمت ان الصوماليين كبيرهم وصغيرهم مغرمون باستعمال هذه الاغصان فلا ترى صوماليا الا وفي فيه قطعة منه شبه السواك يسكها في فيه فاذا أراد التكلم أخذها بيده واذا انتهى كلامه أرجعها الى فيه وامسكها بين شفتيه كسجائر الدخان فيمتصها او يديرها بين اسنانه من غير أن يسكها بيده وقد ظهر لي ان استعمال هذا السواك خرج عن طور الفائدة المطلوبة منه الى طور المكيفات وهذا السواك ليس باليابس كالذي نستعمله نحن بل هو أخضر وقشره عليه وأظن ان عصارة هذا الشجر فيها مادة مكيفة

وقد وصلنا قبل الساعة العاشرة الى محطة (علي صباح) وهي واقعة بين ولاية (هرر) التابعة للحبش وبين الصومال الفرنسي ويوجد فيها ما عدا المحطة أبنية تشبه القلاع مبنية على هضبة تشرف على الاطراف حيث يقيم أحد المستخدمين الفرنسيين مع رجاله ورفاقه وهذه المحطة وأطرافها خالية من السكان ومن الاكواخ بسبب جذب الارض وعدم وجود الكلاً فيها

وفي الساعة السادسة والدقيقة ١٠ وصلنا الى محطة (دادانلي) الكائنة في الكيلومتر ١٠٦ وقد شيد الصوماليون قرية حول هذه المحطة ووجدنا هنا مخفراً للجنود يخفق عليه العلم الحبشي وقد صنع هذا العلم من ثلاثة ألوان كألوان قوس قزح . فالأول من الاعلى لونه أخضر والثاني أصفر والثالث احمر وقد رفع العلم عمودياً على السارية ولما وصلنا الى المحطة خرج الجنود من المخفر لأداء التحية العسكرية للوفد السلطاني وسلاح هذا الجند من نوع البنادق الفرنسية المسماة (غرا) وقد اشترت الحكومة الحبشية هذه الاسلحة من الفرنسيين أما كسوة الجنود فهي عبارة عن سراويل

وقميص ورداء ويرتدون فوقهما برداء ابيض كالذي يرتديه اهل طرابلس الغرب وهم
عراة الرؤوس حفاة الاقدام

ويقف القطار في ذهابه من جيبوتي الى الداخل في هذه المحطة ثلاثة ارباع
الساعة للطعام ولما عرف الصوماليون الموجودون هنا اني موفد من قبل الحضرة السلطانية
أمرعوا اليّ وأخذوا يدعون للحضرة العلية السلطانية ويهتفون بالوصول سالماً
واكرمونا غاية الاكرام كما حصل في كل المحلات التي مررنا بها وقد زاد عددهم في
برهة قليلة حتى صارت المحطة تموج بالناس كأنهم وجدوا ورود الوفد السلطاني فرصة
انتهزوها لظهار اخلاصهم وصدق ولائهم للحضرة المعظمة السلطانية وقد تذكرت
هنا ما قاله لي والي الصومال الفرنسي عندما كنت في جيبوتي من ان اهالي هذه
الجهات سيكونون في غاية الانشراح والسرور من رؤية الوفد العثماني في بلادهم لشدة
تعلقهم بالعرش الأسمى السلطاني

وقمنا من محطة (دادانلي) في الساعة الحادية عشرة وعند تحرك القطار طلب
الصوماليون اليّ ان أخبرهم بوقت رجوعي ووصولي في العودة

وبعد ان مررنا على كوبري قائم على واد وصلنا في الساعة الثانية عشرة الا بضع
عشرة دقيقة الى محطة (عدالي) الكائنة في الكيلومتر ١٣٢ وهذه المحطة صغيرة ليس
فيها الا بضعة اكواخ وفي منتصف الساعة الثانية عشرة قطعنا صحارى واسعة جداً
ومراعي عظيمة ممتلئة بجمال الصوماليين وحميرهم ومعزهم وكنا نرى اكواخ اصحاب
تلك المواشي تلوح بين البهائم وفي الساعة الحادية عشرة وصلنا الى محطة (عائشة)
وليس في هذه المحطة سوى ثلاثة ابنية خشبية صغيرة تشبه الاكواخ وحيالها قرية
صومالية صغيرة تسمى (سالاري) فيها ثلاثون كوخاً والاراضي هنا مستوية مخصصة
خصباً يجعلها مرعى جيداً للخرافان الصومالية وفي الساعة التايزة وصلنا الى محطة (عد
الغلا) الواقعة في الكيلومتر ٢٠١ ويوجد هنا ورشة تصليح لشركة السكة الحديدية
وبضعة اكواخ صومالية

وفي الساعة الثالثة بينما كنا تقطع صحراء مستوية رأينا من بعد اكواخا كثيرة من الطين لا يمكن عدّها لكثرتها تشبه اكواخ الصوماليين فسألت عنها مأمور القطار فقال انها بيوت لصنف من النمل الابيض وقد صنع هذا النمل بيوته بطريقة متينة للغاية فهي متحجرة حتى إن الانسان ليعجز عن هدمها الا بالمعول وبين البيت الواحد والآخر (٥٠) متراً او اكثر وارتفاع كل بيت نحو متر ونصف ومنها ما هو نحو مترين وقطره يقرب من ذلك أيضاً . ما أعظم همة هذا الخلق الصغير ! ما هي الأبنية التي يبنها الانسان في هذا الزمان وما هو حجمها بالنسبة الى حجمه وارتفاعها بالنسبة الى ارتفاعه ! فانا لو قسنا ما يبنه هذا الحيوان من البيوت التي هي اكبر من جسمه على هذه النسبة بما يبنه الانسان لنفسه لوجدنا هذا متأخراً جداً بالنسبة اليه . والغالب على الظن ان هذا النمل هو من صنف النمل الابيض الموجود بصحارى الحجاز وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة . ولكن النمل الحجازي لا يبنى مساكنه فوق الارض بل يبنها تحت الارض ولكن فعلها لا يكون أقل من فعل النمل الصومالي . والنمل الحجازي هو من الحشرات المضرّة الخربة جداً فانها تقرض الاشجار والاختشاب واذا مكثت تحت صندوق أحد المسافرين او السياح تأكل أسفل الصندوق وتنتفخ ما فيه . واذا نظر الانسان في المدينة المنورة الى سقف الغرفة يرى خطأ من الطين يعمله النمل ويحتفي تحته للقيام بعمله دون ان يراه أحد . وقد كان هذا النمل قرص أسفل بعض العواميد التي كنا وضعناها لاجل السلك البرقي الحجازي فاضطررنا الى قلعها وقطع المحل المقروض ووضعه ثانياً وقد كان القسم القوي قرر قبلاً ان تكون أعمدة الخط البرقي المذكور من الحديد ولكن لبعده المسافة وصعوبة النقل بقيت الأعمدة خشبية واذا أخذت السكة الحديد الحجازية الآن نتقدم في ظل الحضرة السلطانية الى القطر الحجازي فستبدل أعمدة السلك البرقي بعواميد من حديد وترجع الآن الى حديثنا أي ما كنا فيه : في منتصف الساعة الثالثة بعد ان مررنا على كوبري من حديد طوله (٢٠) متراً دخلنا في اراضٍ مستوية واسعة مستوية

بكثير من شجيرات السواك الاخضر محاطة من اليسار بالجبال فتذكرت حينئذ صحراء ليبيا والصحراء الكبيرة ورأيت ان صحارى الحبشة كالجنة بالنسبة للصحارى المذكورة وفي الساعة الثالثة و ٤٥ دقيقة وصلنا الى محطة (ملو) الكائنة في الكيلومتر ٢٤١ حيث يوجد ايضاً بعض الكواخ صومالية . وفي منتصف الساعة الرابعة وصلنا الى محطة (هرروا) والاكواخ الموجودة هنا هي أجسم واكثر من الاكواخ الاخرى التي رأيناها على طريقنا وهي على شكل قرية كبيرة . ورأينا في هذه المحطة النساء الصوماليات مكشوفات الاكتاف والصدور والسواعد يحلبن الماعز اللطيف الناصع البياض . أما الرجال فكان البعض منهم مشتغلاً بحك سواكه بشفته على أسنانه والبعض منهم كما باستعمال المضغطة وهذه المضغطة مركبة من التبغ مع قليل من الرماد . يعملون من هذا الخليط معجوناً يقطعونه قطعاً او حبوباً بقدر تقطع اللبان التي يعضها الاولاد ويضع أحدهم حبة منه في الفك الاسفل بين الاسنان والشفة ويمصه من غير أن يفتح فاه واذا مل من المص يخرج هذه المضغطة ويلصقها فوق أذنه أي بين الرأس والاذن . كذلك اذا مل أحدهم من مص السواك يدخله بين ثنايا شعر رأسه الكث وفي الساعة الخامسة وربع وصلنا الى محطة (الباحة) الكائنة في الكيلومتر ٢٨٠ حيث لا يوجد أحد من السكان . مع ان الاراضي هنا منبتة ذات شجر أي انها مناسبة لسكنى الصوماليين اكثر من سواها . واطن ان السبب في عدم اقبال الصوماليين على السكنى في جوار هذه المحطة هو أنهم لا يحبون الاستئلال بالظل بل تعودوا ان يكونوا معرضين دائماً لأشعة الشمس حتى ان أحدهم اذا أراد ان ينام ليستريح قليلاً يترك ظلال الاشجار والبيوت والجدران ويذهب فينام تحت الشمس كأن الظل يضرهم وبعد هذه المحطة أخذت الشجيرات الواقعة على ممر السكة الحديدية تكبر بالتدريج حتى صارت في شكل غابات جميلة . ويوجد في هذه الاشجار غير شجيرات السواك الشديد الاخضرار اجناس اخرى كثيرة من الاشجار التي لا اعرف اسمها وكما تنمو من نفسها بغير عناية الانسان ورأينا كثيراً من الاشجار المقطوعة ملقاة على حافتي

مر السكة الحديدية قطعها المهندسون لفتح الطريق وأما الارض فأنها مستورة بصنوف النبات وتوجد كروم العنب بكثرة والياسمين العراييلي والنباتات المتعرشة متسلقة على الاشجار وموئلة انفاقاً ونوافذ طبيعية ، وصواوين زمردية بحيث يعجز أعظم مهندس بستاني عن عمل مثلها ويحار في أمر هذه الطبيعة البديعة . وكانت هذه المناظر البديعة الرائقة تتنوع أمامنا كلما تقدم القطار الى الأمام واليك ما يستطيعه قلبي من وصف هذه المباني الخضراء المصنوعة بقدره الخالق جلت قدرته :

تصوّر أيها القارئ شجرة تدلت أغصانها ، وانبسدت أفنانها انبساطاً منظماً واسعاً بنسبة جذعها حتى صارت كدائرة متحدبة تشبه الشمسية أي المظلة وقد تسلقت على جذعها النباتات حتى اذا بلغت الاغصان عادت فتدلت من الاطراف بهيئة عمود الى الارض وهناك غرزت في التراب ثم نبت منها فرع آخر وتساقت على اصه وهكذا حتى تكون من هذه الشجرة غرفة طبيعية ذات جدران دائرة بها من تلك النباتات الزمردية اللون لا تنفذ منها أشعة الشمس الى الداخل . وهناك منظر آخر أيضاً وهو ان تلك النباتات البديعة قد تسلقت على جذوع الاشجار الكيرة المقطوعة واحاطها بنسيج اخضر نتج منه ظلال جميلة حسب وضع الجذع وجسامته . ثم ان النباتات التي تنمو داخل هذه الغرف الطبيعية ليست مثل الموجود خارجها كبيرة وخشنة الملمس بل هي قصيرة ناعمة جداً تشبه الطنافس النفيسة الخضراء . وهذه أول مرة صادفت فيها في البر الافريقي مناظر جميلة كهذه حتى نسيت نفسي اني موجود في افريقيا وهي أول مرة أيضاً سمعت فيها تعريف الطيور التي تشبه السمانى والقماري والحمام مما لا أعرف اسماءها وهي تنتقل من شجرة الى شجرة في ابداع الاشكال

وبينا كان قطارنا سائراً بين تلك المناظر الطبيعية اللطيفة وأنا مشتغل بضبط ما يجب قيده لكتابة الرحلة اذ وقف القطار فاشرفت من النافذة فرأيت كثيراً من الجنود والمستخدمين الحبشيين وعرفت اننا وصلنا الى محطة (دريدوه) التي هي آخر محطة من السكة الحديد واقعة على الكيلومتر (٣١٠) وقد كانت الساعة حينئذ السادسة

مساءً وعلى ذلك نكون قطعنا المسافة من جيبوتي الى (دريدوه) وقدرها ٣١٠ كيلومترات في اثنتي عشرة ساعة بما فيها زمن وقوف القطار في المحطات وقد استوقفت نظري في هذه الجهة مساكن النمل الابيض الموجودة بكثرة في الأحرش والغابات مع انه لا يوجد فيها كوخ واحد للصوماليين فيالعجب ان النمل هذا ليس كأهل الصومال الذين لا يأفون الظلال بل منه ما يميل الى السكنى في الظل ومنه ما يميل الى السكنى في الشمس

وقد رأينا المحطة مزدحمة بالناس وكوكبة من الجنود الحبشية فيها ٢٠٠ جندي مصطفة على الرصيف لاداء التحية العسكرية للوفد السلطاني . وبينما نحن كذلك اذ فتح باب العربة ودخل شاب مهذب جميل الوجه والهئية وبعد ان سلم عليّ بأدب كلمني باللغة الافرنسية فعرنني انه (آتويانا) نجل (آتومارشا) مدير دريدوه وانه حضر مع الجند والمستخدمين ليقوم بالاستقبال مقام والده الغائب عن مركز وظيفته وبعد ذلك عرفني برجال حاشيته وسائر المأمورين ووجدنا صاحب الاوتيل الذي سننزل فيه وهو رجل رومي بين المستقبين وقد علم بوصولنا فحضر لمقابلة الوفد . وبعد اتمام هذه المراسم ذهبنا الى الاوتيل وهو واقع أمام المحطة وليس ثمة غيره واقام (آتويانا) الحفراء من الجنود على الابواب الخارجية احتراماً للوفد السلطاني . وهنا يجب ان اصف الاوتيل قليلاً لنفهم ما هي الابواب الخارجية : ان هذا المنزل مبني بالحجر على دور واحد وله ضامان قائمان عمودياً على بعضهما وفي الوسط الحالي من الابنية يوجد جنية أمامها درابزين والغرف والبهوات يحيط بها الطريق ولها ابواب للطريق كما للرواق الداخلي وقد وجدت هذا الفندق احسن من فندق (ده زاركاد) الكائن في جيبوتي او انه ترأى لي ذلك لجمال المناظر الطبيعية المحيطة بهذا المنزل ووجود الاشجار وبرد الهواء والطقس . واخبرني صاحبه انه هياً لنا الغرف اللازمة كما انه جيز بهواً للطعام . والحق يقال ان هذا المنزل بالنسبة لدريدوه في غاية النظافة والترتيب . وبعد ان تناولنا الطعام واسترخنا قليلاً من وعشاء السفر ذهب كل منا لغرفته ونمنا نومة هنيئة لاعتدال الهواء ولما نالنا من التعب في السفر

دريدوه ٩ مايو (مايس)

دريدوه — التهيؤ لسفر البر — اخلاص الصوماليين الوطنيين لحضرة السلطانية — الصومال
والصوماليون — (توات) بالازاب والسمن — القرصية الكبرى

انتهى هنا في (دريدوه) القسم السهل من سفرتنا واتى القسم الذي نقطعه على
الجمال والبغال فاخذنا في إعداد ما يلزم بما يمكن من السرعة من غير ان نضيع ساعة
واحدة وذلك تقرب موسم المطر الغزير في هذه البلاد . وقد كنا في مساء اليوم الماضي
نقلنا الى الفندق حقا ئبنا الصغيرة التي كانت معنا في مركبات السكة الحديدية . واليوم
اشتغلنا قبل كل شيء بجلب الصناديق المحفوظة فيها الهدايا السلطانية وما بقي من
متاعنا من الجرك وقد اضطررنا ان نصغر هذه الصناديق لانها كانت صنعت في الاستانة
كبيرة جداً بحيث يصعب تحميلها على الجمال فضلاً عن البغال وجعلنا كل صندوق
اثنين وقام لنا بهذا العمل اربعة نجارين اوربيين ولم يقبلوا ان يشتغلوا الا باجرة زائدة
جداً لمصادفة ذلك اليوم عيدهم . وقد راقبهم بنفسي طول ذلك النهار حتى تمكنا من
تصغير الصناديق على قدر الامكان وبعد ان وضعنا ضمنها الاشياء لفننا كل صندوق
بصمناح الزنك اتقاء المطر

أما (دريدوه) هذه فهي آخر محطة من سكة الحديد و آخذة في التقدم والعمران
يوجد فيها ورشة السكة الحديد وصناع ونجارون وحدادون
ولما أقبل المساء ورأيت الصناديق عملت على ما أريد ولم يبق هناك مانع من
السفر في اليوم التالي فرحت كثيراً لما كنت أسمعه من بعض الناس في جيبوتي وعند
وصولنا الى (دريدوه) من عدم وجود قيمة للوقت في نظر الاهالي الوطنيين في هذه
الرابع حتى اتيت عند ما وصلت الى (دريدوه) سألتني بعض الناس عن المدة التي

أقضيها في (دريدوه) فلما أجتبهم بأني سأقوم من هنا بعد يومين ضحكوا من كلامي وقالوا انك تكون سعيداً اذا استطعت السفر من هنا بعد أسبوع . على أي ما كان الصانع والنجارون يشتغلون كنت أضطر الى الذهاب لمقابلة الذين كانوا يأتون للزيارة وأترك طالب بك ويس جاوئش يناظران الشغل . وكان الزائر من العرب يأتون كل خمسة او ستة معاً ولكن الصومالين كانوا يأتون أفواجاً أفواجاً كل فوج لا يقل عدده عن ستمائة فكنا نسمع ضجيجهم وأصوات التهليل والتكبير والانشيد الحربية من نصف كيلومتر ولما اكتمل جمعهم وقفوا أمام الفندق ورفعوا أكف الدعاء للحضرة السلطانية ورحبوا بالوفد ثم أخذوا يرقصون على الاناشيد الحربية . وكانت الساحة التي أمام الفندق تملج بالناس الذين أتوا ليتفرجوا على رقص الصومالين . وقد قال لي الاوربيون الذين كانوا هناك ان هذه اول مرة رأوا فيها اجتماع هذا العدد العظيم من الصومالين للرقص وانه لم يحصل قبل ذلك لهؤلاء الناس سرور كما حصل لهم الآن وانه لم يحصل لأحد من الاستقبال البهيج كما حصل لنا وفي المساء خرجت متجولاً في المدينة . واليك ما علمته بخصوص هذه الجهة من الزائر ومن تجوالي في المدينة

ان (دريدوه) الاصلية هي قرية صغيرة واقعة على بعد عشر دقائق من المحطة وقبل وصول السكة الحديدية اليها كانت تجمع البضائع في هرر وتنقل منها على ظهر الجمال الى جيبوتي عن طريق (جلدسا) ولكن بسبب قرب هرر الى دريدوه أخذت البضائع بعد مد السكة الحديدية تأتي الى هنا كما ان البضائع الآتية من الساحل صارت توزع من دريدوه الى البلاد الداخلية ولذا صارت دريدوه مدينة ذات بال حتى ان الافرنج وشركة السكة الحديد أطلقوا عليها اسم (آديسا هرر) ظناً بأنها ستقوم مقام هرر وقيدوا اسمها كذلك في خريطهم ولكن النجاشي لم يرض بتغيير الاسم فبقيت دريدوه كما كانت قبلاً . وكلمة آديس باللغة الحبشية هي محرثة من الحديث العربية فيكون معنى (آديس هرر) هرر الجديدة

أما سكان دريدوه فقد أخذوا في الازدياد بعد ما صار لها هذا الشأن وذلك بما يأتيها من الناس من الخارج حتى صار عدد أهلها الآن يربو على ألفين . واكثر هؤلاء السكان من المسلمين وهم ينتسبون الى قبائل جورجورا وغالالا وصومال وبعض تجار من اليمن والهند . أما رؤساء مستخدمي السكة الحديد فيها فهم فرنسيون وأصاغر المستخدمين من المسلمين . وسكان الضواحي والكفور الكائنة على أطراف دريدوه هم من فرع (ايسسا) المنتسبين الى الصوماليين المنتشرين بين دريدوه وجيبوتي . وأما بقية سكان دريدوه وسكان جهة (اورسو) التي تبعد عشرين كيلومتر الى الغرب من دريدوه فهم من قبيلة جورجورا المؤلفة من أخلاط الصوماليين والغالالا وكثيرة عدد الصوماليين وترداد ذكرهم كثيراً في هذه الرحلة رأيت أن أفرد فصلاً مخصوصاً بما علمته من أخبار هؤلاء القوم :

الصومال

ان الاقوام الصومالية يقطنون في الاراضي الساحلية الواسعة الممتدة من شمال خليج تاجورا الكائن خارج مضيق باب المندب الى قرب حدود زنجبار . وجزء من هذه السواحل مع قسم صغير من الاراضي الواقعة خلفها واقعان تحت حكم الفرنسيين والقسم الذي يلي ذلك حتى تصل الى قرب انتهاء ساحل عدن يتبع الانكليز وقسم آخر منه وهو الواصل الى انتهاء خليج عدن مع ما بقي من الاراضي الواسعة المتجهة الى حدود زنجبار يتبع ايطاليا ولذلك سمي كل قسم منه باسم الدولة التي تحكمه ورسمت هذه الاقسام على الخريطة الجغرافية بالصومال الانكليزي والصومال الفرنسي والصومال الايطالي كما انه يوجد قسم من الصوماليين داخل الاراضي الحبشية كما مر ذكره آنفاً . وتنقسم الاقوام الصوماليون الى قبائل أعظمها قبائل (ايسسا) و (دانقالي) و (غالالا) . واكثر القبائل متعادية وكثيراً ما تؤدي العداوة والضغائن الشديدة الموجودة بينهم الى مواقع دموية تحصل من هجوم بعضهم على بعض بقصد النزو والسلب . أما عدد نفوسهم فيبلغ على وجه التقريب مليوناً ونصفاً . وأصل

هو لاء الاقوام ليس من أفريقيا بل هم هنود : كان في القرن الحادي عشر الميلادي قد جاء أحد رجوات الهند بجرأ بجيش عظيم على مضيق باب المندب وغلب ساحل جزيرة العرب ومر من هناك على البر الغربي واستولى على ساحل افريقيا واستوطن هناك هو وجنوده . فالصوماليون هم من سلالة هؤلاء الجنود . وقد استمر حكم الهنود حتى القرن الثالث عشر الميلادي حيث امتنع عندئذ أمير مسقط من اداء الجزية للهنود واجتاز الى ساحل الصومال بجيش كبير واستولى على تلك البلاد باسم الاسلام وخرّب المعالم والمعابد الوثنية وقلب بعض المعابد الى مساجد ومن ثم أخذ الصوماليون يدخلون في الاسلام حتى صاروا كلهم مسلمين وقد وجد بعض ضباط الانكايز الذين كانوا يشتغلون برسم خريطة الصومال بعض آثار المعابد الهندية كما أن العلماء المتخصصين باللغات قد وجدوا مشابهة عظيمة بين لغة هؤلاء الصوماليين وبين لغة دكن الهندية ولهم على ذلك أدلة يوردونها في المقابلة بين بعض الالفاظ في اللغتين والاسلام الآن هو دين الصوماليين وجلهم يثابرون على أداء الصلوات الخمس ولكن اعدم معرفتهم الدين معرفة جيدة اشتر البعض منهم بسفك الدماء وقتل النفوس ومن عاداتهم الوحشية أن يضع الواحد منهم على رأسه من الريش بعدد ما قتل من الناس أو ان يجعل على معصمه اسورة او يعلق قرطاً بأذنه علامة على القتل واذا تزوج أحدهم يضرب زوجته ليلة زفافه بسوط غليظ ضرباً مبرحاً حتى يدميها زاعماً ان هذه القساوة تجعلها في المستقبل مطيعة له . وكان الصوماليون يشتغلون قبلاً بتجارة الرقيق أما الآن فانهم لا يجرأون على ذلك

وكان الذين يسافرون قبل انشاء السكة الحديد من جيبوتي او من زيلع الى حدود الحبشة يضطرون ان يذهبوا بدلالة هؤلاء الصوماليين وحمائهم ويمروا من اراض شديدة الحر جداً والمسافة بين الحدود الحبشية والثغرين المذكورين خمسة عشر يوماً واذا طلب السائح او التاجر جواز السفر من الساحل الى الداخل كانت الحكومة تأذن له بالسفر على شرط ان لا تكون مسئولة عن حياته وعمه يلحق تجارته



وجوه الصومالين

وأمواله من الضرر لذلك كان المسافر مضطراً لتقديم بعض هدايا لمشايخ القبائل التي يمر من أراضيها كما انه كان يحتاج لحماية جمال يسمى (ابان) ويستصحب معه محافظين يرافقونه ليقوموا بحراسته في الطريق . واذا لقي المسافر (لا سيما اذا كان من البيض وعلى الاخص اذا كان افرنجياً) في الليل او في محل خال صومالياً خاطباً بنتاً للزواج فانه يكون معرضاً لخطر القتل لا محالة . والسبب في ذلك أن الصومالي اذا عزم على الزواج يتحتم عليه قتل رجل وان يبعث بعضو من أعضاء المقتول الى أهل البنت التي يريد الاقتران بها اثباتاً لفعلة الشنعاء وبغير تقديم هذه الضحية البشرية لا يجوز له خطبة البنت ولا يتأني له الزواج

والصومالي كسائر الاقوام البدوية متعظم مغرور وبسبب تحمله المشاق والمتاعب وتعوده خشونة البداوة تراه دائماً شديداً المحافظة على كبريائه أمام سكان المدن المتنعمين بلذائد المدنية وينظر اليهم والى انغماسهم في الراحة والنرف بنظر الاستخفاف والاحتقار . وأضرب لك مثلاً بالصوماليين الذين يشتغلون في مهن حقيرة كالشغال والخدام والوقاد في البواخر فانهم مع ضعفهم واختلاطهم بالافرنج وروؤيتهم كل يوم آثار ذاك التمدين وقوة الغريبين ورقبهم لا يزالون ينظرون أهل المدن وبالاخص الافرنج منهم بنظر الأعلى الى الأدنى ويتظاهرون بالغرور والعظمة أمامهم

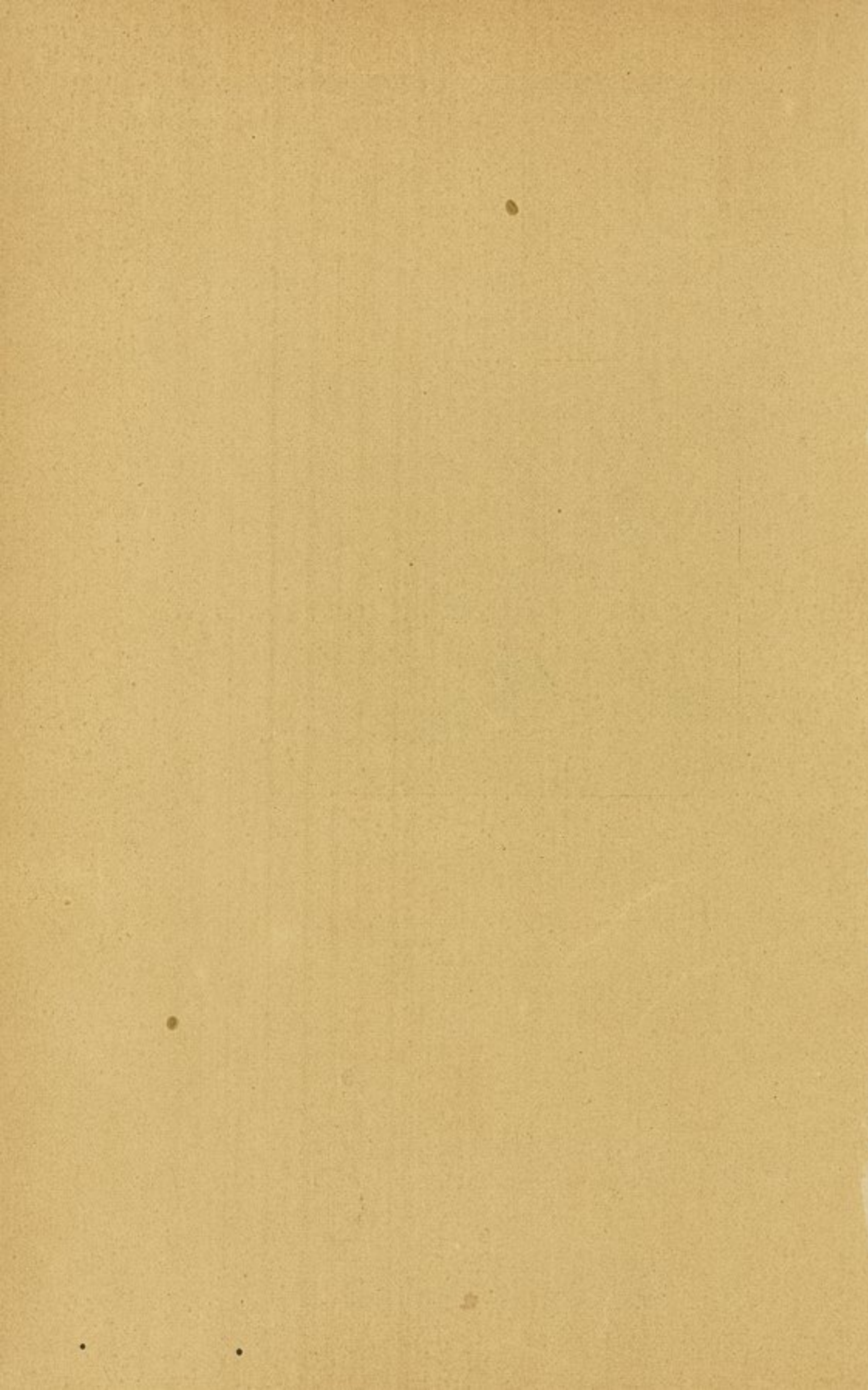
والصومالي شجاع باسل للغاية جريء حول للعطش والجوع . أما سلاحه فهو رمح طول قامه الرجل وترس وخنجر يضعه في وسطه ولهم مهارة كبيرة في استعمال السلاح حتى ان احدهم ليصيب عدوه في أي عضو شاء من اعضائه اذا صوب رمحه نحوه ولو من مسافة بعيدة والصومالي يخرج وحده ليصيد الاسد والفيل والغزلان والارنب وليس معه من السلاح سوى رمحه الذي يتخذ في سائر الاوقات عكازاً يتوكأ عليه في سيره وقد جرى ذلك عند الصوماليين مجرى العادة حتى ان احدهم اذا لم يحمل الرمح لسبب من الاسباب حمل عصاً يتوكأ عليها في طول الرمح . وهم لا يعرفون الفلاحة والزراعة بل يعيشون من الماشية واذا لم يجدوا بضائع للحمل على الجمال الى

الداخل بقوا عطلاً من الشغل ولهم اعتناء كبير وولع شديد بأخذ الاخبار والحوادث من كل من يأتي من محل أو يذهب الى محل . ويحمل البعض في رقابهم سبحاً ذات حبات كبيرة واكثر من يفعلون ذلك من الرجال . وهم يدهنون رؤوسهم بالزبدة والسمن بدلاً من الروائح الطيبة والرجال يزيدون على السمن والزبدة الكثيرة المقدر طلاءً من التراب الناعم فيأخذ الرأس لون التربة التي أخذ منها التراب لذا ترى لون رؤوس الصوماليين يختلف بين الحمرة والسواد . وقد تكون التربة المأخوذ منها التراب كاسية تبيض رأس الصومالي فيشبه رأس تمثال من رخام ناصع البياض أو الشعر المستعار الابيض الذي كان يستعمله قديماً الاوروبيون . والشعر وان يكن متجمداً بالطبع يصير بكثرة استعمال التراب والسمن والزبدة متديلاً بتجمد اذا مشط يأخذ هيئة الشعر المستعار المسمى في اوروبا (بروك)

واذا دعا الصومالي أحد اصحابه أو احبائه الى كوخه فانه قبل كل اكرام يجلس المدعو أمامه فيطلي رأسه بالسمن والزبدة وكما زاد من هذا الدهن كان زيادة في الاكرام وقياماً بما يجب عليه من تعظيم الضيف . واذا مس أحدهم شرف الآخر أو تعدى عليه بقول أو فعل فسبيله ان يأخذ المعتدى عليه الى كوخه ويطلي رأسه بكثير من السمن وهذه اكبر ترضية لرد الشرف عندهم

والوان الصوماليين تختلف من لون السمرة الحبشية الى اللون الحامك السواد وعيونهم كبيرة جميلة جداً وهم عراض الجباه







النساء الصوماليات

يوم الاثنين ١٠ مايو (١٠ ايس)

القيام من دريدوه — رحل وكوخ — ركبات للاصبع — التعظيم — مهارة النساء — شجرة اللستيك — المعاول الخشبية — بحيرة هراما — الطيور البرية — البرد القارص — المستقبلين

كان من المقرر ان نساfer هذا اليوم من دريدوه لذلك استأجرنا بمعرفة (آوينا) البغال والجمال اللازمة لركوبنا ولأحمالنا . وقد جاء صباح هذا اليوم الرجال ومعهم البغال والجمال وأخذوا في تحميل الأثقال والجمالة كلهم صوماليون ولهم المام ومهارة في صنع ما يلزم لهم ولجمالهم من غير ان يحتاجوا الى استحضارها من الخارج . ان الصوماليين لا يستخدمون في عمل هذه الرجال لا السروجي ولا الحبال . يتألف اقسام اللين من الرجل من حصر خشنة يحكونها بأيديهم من الياف النبات ويضعون ثلاث حصر أو اربعا بعضها فوق بعض حتى لا يجرح ثقل الحمل الجمل . وأما القسم الخشبي من الرجل فهو عبارة عن اربعة عصي طوال ير بطون كل اثنتين منها ببعض في شكل زاوية . وهاتان الزاويتان المؤلفتان من العصي الاربع مرتبطتان ببعضهما أيضاً من رؤوس الزاويتين . وبعد وضع هذا الرجل فوق الحصر الموضوعة على ظهر الجمل ترتبطان بواسطة حبل من بطن الجمل رباطاً محكمًا . فهذا الرجل في غاية البساطة والخفة والمتانة . واذ يحملون الأثقال ير بطون حبل كل شقة من الحمل بالزاوية التي في الجانب الآخر وبالعكس فيكون الحمل بهذا الرباط في غاية المتانة لا يخشى عليه من السقوط قطعاً ولا يؤذي الجمل بسبب اتكاء الاحمال على الزوايا . وأما الحبال التي يستعملونها لهذا القصد فهي من نبات ناعم ينسجه الصومالي بيده . وللرجال الآفة الذكر فائدة اخرى في غاية الأهمية وهي ان القافلة حين تحط رحالها عند المساء تأخذ العصي من الرجل وتركز بعضها على بعض كما تركز الجنود بنادقها .

وتضع فوقها الحصر السابق ذكرها فيؤلف من ذلك اكواخ للجمالة يأوون اليها
 واذا زاد شئ من الحصر يفرشونه على الارض للجلوس عليه وبالجملة ان هؤلاء الناس
 يصيدون بحجر عصفورين

ولو كنت أعلم هذه الطريقة لكنت استعملتها في أسفاري بين المدينة المنورة
 وسورية حينما كنت قائماً بوظيفة مد الخط البرقي الحجازي اذ ان رجال الأقطار
 الحجازية بين المدينة المنورة وسورية تؤلف من مخدتين بسيطتين مملوئتين بالقش
 مرتبطين ببعضهما لا شئ من الخشب عليهما لهذا كان من الصعب نقل العواميد
 اللازمة للخط على هذه الرحال فأضطرنا الحال الى أن نلتمس من ولاية سورية اسعافنا
 برحال مناسبة فبعثت بها اليها من دمشق الشام بعد نفقات كبيرة وزمن طويل

•••

اتمينا من تحميل الصناديق والمتاع في الساعة الثامنة ووضعنا السروج التي
 احضرناها معنا من الاستانة على ظهر البغال . وبعد قليل وصل (آتو مارشا) المتصرف
 (المدير) الذي كان عاد الى المدينة ليلاً ومعه ولده (آوينا) وبعض مستخدمي
 المديرية وكوكبة من الجنود لوداعنا . وقد كانت بغال المدير ومن معه مهيئة أيضاً .
 أما السروج الموضوعة على البغال الخشبية فانها تشبه سروج العثمانيين القديمة وانما
 الركابات صغيرة جداً بحيث تسع رجل طفل صغير فعمجت من ذلك وصرت انظر
 الى الركاب مرة الى ارجل المدير ومن معه مرة اخرى . ولا اعلم كيف تدخل هاته
 الأقدام الكبيرة في تلك الركابات الصغيرة . ولما آن وقت الرحيل ركبنا وركب أيضاً
 المدير وسائر الأبحاش فأرسلت نظري الى أرجلهم فرأيتهم قد خلعوا الأحذية
 وألقوها الى الخدم وأخذ كل منهم بوضع الأبهام في الركاب فقط . والركوب من
 جهة اليمين . وقد علمت فيما بعد ان عادة الأبحاش ان لا يضعوا في الركاب الا الابهام
 وأما سبب ركوبهم من جهة اليمين فهو أن الأبحاش يتقلدون سيوفهم على اليمين
 ويشدون بها بقطعة من جلد على اوساطهم شداً محكماً بحيث يكون السيف والجسم كأنهما

قطعة واحدة . وفي هذه الحالة لا يتمكن الرجل من الركوب من اليسار فيضطر الى الركوب من اليمين . وقد اعتادت بغالهم ان تركب من يسارها حتى اننا لما هممنا بالركوب من اليمين استغربت ذلك وخافت فأضطررنا الى ان ندعو الخدام لمسك ازمتها

♦♦

قمنا من دريدوه في الساعة الثانية وكنا قافلة مؤلفة من نحو خمسين رجلاً وأخذنا نسير على الطريق المرصوص (شوسه) التي انشأته شركة السكة الحديد وتمتد هذه الطريق الى مسافة بضع ساعات من (دريدوه) وكان يمشي وراءنا كل من (آتو مارشا) وابنه وخادم واضع يده من وراء سيده محتضن له بيده مميالي كفل البغل وكان أمامنا وخلفنا كثير من الجنود الحبشية سائرين من غير انتظام مكشوفي الرؤوس حفاة الأقدام يحملون بنادقهم على اكتافهم . وكنا نصادف الأحباش في طريقنا فالمسلمون منهم يسلمون علينا حسب العادة المتبعة عند المسلمين وأما المسيحيون فانهم يقفون على حافة الطريق ويضعون الرجل اليسار أمام الرجل اليمين ثم يضعون أيديهم الواحدة فوق الأخرى على صدرهم وينحنون حتى تحاذي رؤوسهم الحاذم وبهذه الصورة كانوا يؤدون السلام . وكان بين الرجال المارين كثير من النساء يحملن احمالاً من الحطب أو الحشائش مربوطة على ظهورهن بجلد طويل وبأيديهن اوان من الزجاج أو القرع وفيها الألبان أو العسل أو الزبدة وما أشبه وهؤلاء النسوة معفيات من اداء السلام لنا أو لغيرنا . وكن ذاهبات الى المدن لبيع ما بأيديهن وما على ظهورهن وربما يكنن قائمات من قرى بعيدة منذ بضع ساعات وهن حفايا عرايا وقد رثيت لحال هؤلاء النسوة ولا يستطيع انسان ان لا يرق قلبه لهن لما هن عليه من التعاسة وما يتحملنه من المشاق والمتاعب وقد كان في صحبتنا رجل الباني يسمى ابراهيم بكر افندي من حاشية الامبراطور منليك أقام في آديس أبابا بضع سنين وكثيراً ما ساح في هذه البلاد فأظهرت له أسفي مما يقاسيه النساء من المشاق فقال لي : نعم ان هذا هو الحال هنا وفوق كل ذلك تجبر المرأة على اعطاء ما تكسبه من الدراهم الى زوجها أو الى ايها أو

أخيها فيذهب هذا ويشتري قبل كل شيء قراطيس (خرطوش) للبندقية ليطلقها في الهواء كما أراد أن يسلي نفسه وعلى هذه الصورة تذهب اتعاب هذه المرأة التعيسة في الهواء من غير أن تنتفع هي أو ينتفع هو مما اكتسبته بكدميها فتأمل

وبعد ان تركنا المدينة وراءنا وعبرنا النهر الصغير الجاري الى البلد طلبت الى آتومارشا وابنه ومن معهما أن يعودوا الى المدينة ولكنهم لم يفعلوا بل راقفونا جميعاً الى محل يبعد ساعة واحدة عن دريدوه وهناك ودّعونا وعادوا الى المدينة بعد ان تركوا خمسة من الجنود الحبشية تحت أمره (آتويومرو) مأمور بوليس دريدوه ليراقفونا. واستمر بنا السير داخل غابة كبيرة صاعدين بالتدرج الى الأعلى والنساء المحملات تمر بنا. وبعد ان سرنا على الطريق المرصوص (شوسه) ساعتين تركنا الطريق ودخلنا في السكة القديمة لنقتصر من السير. وهذه السكة القديمة هي عبارة عن طريق ضيق ذي صعود وهبوط وكنا في اثناء سيرنا نرى على الأشجار التي هي من نوع السرو والسنديان كثيراً من أنواع الطيور مثل الحمام واليام والطرغل والسمان والعصافير على اختلاف أجناسها وكثيراً من الطيور التي لا اعرف لها اسماً ولم أرها قط. وقد استوقف نظري بصفة مخصوصة منظر شجرة شكلها تشبه جنس نبات من فصيلة الصبار (تين برشومي) يوجد بكثرة في جنائن الزهور بالاستانانة اغصانه مخزومة تخزيماً حلزونياً يشبه الأداة التي يفتح بها القناني (تيريون) ولكن هذه التي رأيتها هنا هي اضخم وجذعها أقوى واكبر وتشبه جذع الحور وأغصانها من جنس اغصان الصبار ولكن ليست عريضة مثلها بل هي رفيعة طويلة ورووسها متعجة الى السماء وليس لها زهر ولا ورق وحين يراها الانسان لاول وهلة يحكم انها شجرة مصنوعة بيد الانسان من قطع الخشب ومدهونة بالدهان الاخضر. وسألت آتويومرو عن اسم هذه الشجرة فاجبرني انها تسمى بالحبشية (قول قوال) واننا سنرى كثيراً من نوعها في طريقنا وقد علمت منه ان الافرنج يستخرجون من عصارها المادة المسماة (كلوتشوك) فاذا كسرت غصناً من أغصان هذه الشجرة ترى سائلاً لزجاً جداً

يسيل بكثرة لونه أبيض كاللبن هو الكاوتشوك

كنا في دريدوه على علو ١١٩٣ متر عن سطح البحر فظننا وقتئذ أن الحر يبقى معتدلاً حتى نصل إلى آديس أبابا ولذلك سافرنا منها بالاكسية البيضاء ولكن لم نسر مسافة ثلاث ساعات حتى صرنا على علو ٢١٩٣ متر عن سطح البحر فأخذنا نشعر بالبرد . وبعد أن مررنا بعدة قرى حبشية صغيرة وصلنا إلى محل وجدنا فيه خيمة صغيرة لبائع يبيع ما عنده فترلنا هناك لتسريح قليلاً وننتظر وصول جمالنا . وقبل الوصول إلى خيمة الرجل البائع كانت بغالنا تمشي مسرعة فتضطر جنود الأحباش المشاة المرافقون لنا إلى الجري معها فلما رأيت ذلك قلت لآتو يومرو انما ترحم الجنود بتنقيص سرعة سيرنا فأجاب ضاحكاً أن هؤلاء قد اعتادوا ان يمشوا من الصباح إلى المساء دون أن يصيبهم تعب ثم التفت إلى رجاله وقال لهم يجب علينا ان نصل إلى الخيمة قبل وصول الوفد حتى تتمكن من تنظيفها فهلما بنا نسرع بالسير . قال ذلك وهز بقلته التي أخذت تهب الأرض نهياً ووراءها الجنود فكان يلتفت إلى ويشير أن انظر إلى الجنود . أما قلت لك انهم معتادون على تحمل المشي السريع .

ولما وصلنا إلى الخيمة وزلنا فيها أتى صاحبها بعدة صناديق من صناديق غاز البترول الفارغة ووضعهم أمامنا ليقوموا مقام الكراسي والموائد . وكان قرب الخيمة شجرة فجلسنا بينها وبين الخيمة وكان مكاننا مرتفعاً في الجبل ومشرفاً على ما دونه فأخذنا نسرّح الطرف في تلك الوهاد والفيافي والغابات والأنهار التي قطعناها ولولا وجود الأحباش حولي لتخيات أني في جبال سويسرا أو في جهة (ادا بازاري) من آسيا الصغرى أو أني في الجبال والغابات التي بين طرابزون وأرضروم . وكان في الخيمة مع الرجل البائع امرأة جميلة ذات لطف فقامت هي والرجل وطحنت القهوة وقدمها لنا مع اللبن وشراب الرمان فجلسنا نتناول فطورنا وقهوتنا

قلت ان المرأة طحنت القهوة ولم أقل انها طبختها ولذلك سبب : اني كنت رأيت في جيوتي (كما مرّ ذكره آنفاً) الاحجار التي يسحقون بها الحنطة وهنا أرى

الآن الاحجار التي يسحق بها البن فان سكان هذه البلاد يطحنون الحبوب بهذه الاحجار لعدم وجود الأرحية الكبيرة عندهم فتألف طواحينهم من حجر مستدير أو مستطيل الشكل ومستوي السطح فتوضع الحبوب عليه ويؤتى بحجر آخر كالتشاب الخاص بفتح رقائق العجين ويضغط به على الحجر الاول ذهاباً وجيئة حتى يطحن ما عليه من الحبوب وكذلك الحال في سحق البن عندهم

♦♦

بعد ان مكثنا هنا ساعتين وتناولنا الفطور الذي كان فيه نوع من الحمام صدناه بالبنديق استأنفنا السير في طريقنا وكنا كلما تدرجنا في الصعود على الجبل يزداد امامنا رواء الطبيعة ومناظر الغابات البديعة ونرى الاشجار الضخمة الكبيرة . ولما انتهينا الى قمة الجبل انتهت هناك الغابات وظهرت امامنا اراض واسعة ممتدة على قدر ما يصل اليه النظر معمورة بالقرى والمزارع فعلمنا ان هذا الجبل الذي صعدهنا ما كان الا هضبة لهذه المروج العالية . وقد تغيرت المناظر امامنا فظننت اني في بلاد الروم ايلي (تركية اوربا) أو اني في أحسن بقعة من الاناضول (آسيا الصغرى) بكثرة سكانها وزهو عمرانها

والقرى في هذه الاراضي الواسعة متقاربة متماسكة الاطراف ومساكنها مبنية بانتظام وسكانها من نساء ورجال كبار وصغار منتشرون في الحقول والغيطان يشتغلون في زراعتهم والاطفال يجرون وراء الخرفان والماعز ويلعبون بصغار البهائم . والماشية من البقر والغنم والمعز تسرح في تلك المروج الخضراء وترعى والحمام البري تطير أسرابه ألوفاً ألوفاً من حقل الى حقل لالتقاط الحب وقد اصطدنا منها بضعة عشر طائراً . ورأينا الزراع يعزقون أراضي الذرة المرتفعة نحو نصف ذراع بمعازق من الخشب كما ان جميع سكان تلك البلاد الذين هم على جانب عظيم من النشاط والاجتهاد يستعملون من الخشب كل المعاول والادوات اللازمة لحفر الاراضي حتى محاريثهم فانها مصنوعة من الخشب . ويشغل الرجل وهو مكشوف الجسم لحد وسطه والمرأة

تستر كل جسمها ما عدا صدرها ويديها الى اكتافها
 أما سكان هذه البلاد فكلمهم مسلمون من جنس الغاللا ويظهر أنهم مستفيدون
 من الثروة الطبيعية التي أنعم الله بها عليهم لان آثار السعادة بادية على وجوههم
 وفي الساعة الثانية ونصف بعد الظهر وصلنا الى نقطة تلاقي الطرق الذاهب احدها
 الى هرر والآخر الى آديس أبابا فساكننا الطريق الموصل الى هرر لاننا كنا اكثرينا
 الدواب والبغال الى هرر فقط لكي تتم بعض تقاضنا السفريّة في المدينة المشار اليها
 ومنها تقصد عاصمة الحبشة عن طريق (چرچر)
 يوجد ثلاث طرق مختلفة توصل الى آديس أبابا وأحسن هذه الطرق في هذا
 الموسم هو طريق (چرچر) الآنف الذكر وإنما لا تسير الجمال على هذا الطريق
 الكثير الوعورة الكثير الصعود والنزول أما الطريقان الآخران فأنهما شديدا الحرارة
 ومائهما قليل جداً تتاب طارقيهما الحميات . وسنفرّد فصلاً مخصّصاً للطرق في البلاد
 الحبشة فيما يلي . وقد كنا نرى أعمدة السلك البرقي الى ملتقى الطرق من الحديد ولكن
 بعد نقطة ملتقى الطرق المذكورة أخذنا نراها من الخشب . هذا وبعد قليل من السير
 أخذنا في الانحدار الخفيف حتى اذا بلغنا نهاية الانحدار ظهرت امامنا بحيرة كالمراة
 الصقيلة في غاية الجمال والطفافة . هذه البحيرة هي بحيرة (هرمايا) وكنا كلما اقتربنا
 منها وظهرت لنا أطرافها يأخذ منظرها بمجامع قلوبنا ويحيط بهذه البحيرة من كل
 الجوانب أكبات خضراء كالزمرّد ومياها حلوة عذبة تجتمع من سيول الامطار
 وطول هذه البحيرة كيلومتران ونصف تقريبا (٢٠٠٠ متر) وعرضها كيلو متر واحد
 وبها ألوف من الاوز والبط البري يقوم على وجه الماء ويطير من جهة الى أخرى وكنا
 نرى أعشاشها على ساحل البحيرة بين الحشائش والنباتات وفيها صفارها . وموقع
 هذه البحيرة يرتفع ٢٢٥٠ متراً عن سطح البحر لذلك أخذت درجة الحرارة تهبط
 وبرد الطقس بعد العصر . وكان معنا شاب الباني يسمى شوكت أفندي ذاهباً مع
 بكر ابراهيم أفندي الى آديس أبابا فاطلق على أسراب البط والاوز بضع طلقات من

بندقته فكان يصيب في كل طلقة عدداً وافراً منها فتمكن من الوصول الى بعضها في البحيرة ودخل غلام من قبيلة الغاللا وأتى بها من مسافة بعيدة عن الساحل واطلقت أنا أيضاً بعض طلقات على هذه الطيور البرية فكان لنا منها عدد وافر . والطيور هنا لا يخاف من صوت البنادق لانه لم يألفه قط . يطلق الانسان عليها النار فلا تطير بل تكتفي بالتصويت وسبب ذلك عدم اصطياذ الناس لها لخص من اللحوم وكثرتها ولغلاء من قراطيس البارود . وترى الحبشي يحرص على قراطيسه أشد الحرص فلا يرمي بها الطيور وإنما يرميهم الاجانب الذين يندر مرورهم من هذه الجهات

يحفروا الغالليون حفراً كبيرة في حقولهم بين الحفرة والاخرى مئات من الامتار فتملاً هذه الحفرة بماء الامطار فيسقي الغاللي ماشيته ويأخذ منها ما يلزم له من المياه وبعد قليل أقبل علينا بعض العثمانيين من أتراك وألبانيين واكراد وهم من المقيمين في هرر وكانوا عالمين بخبر وصولنا فجاؤونا ممتطين صهوات الخيول واستقبلونا بفاية الاحترام وقد علمنا من هؤلاء المستقبلين أن الحكومة المحلية في هرر تستعد لاستقبالنا استقبالاً باهراً وأن سكان المدينة الذين كلهم من المسلمين على غاية من السرور بمجيئنا وانهم سيخرجون لاستقبالنا بأجمعهم . هذا وقد سرنا مع المستقبلين بضع ساعات ثم نزلنا للمبيت بسفح اكمة مرتفعة تشرف على نهر جار وكانت الخيم والصواوين لم تصل بعد فاضطررنا أن ننتظر وصول البغال في العراء فبردنا جداً من هبوب الريح الباردة وبعد وصول البغال أشعلت النيران في محل نزولنا وأخذ البعض منا يشتغل بتدفئة نفسه والبعض يهتم بتحضير الطعام . ولما أقبل الليل نزل المطر منهمراً فزاد الرطوبة والبرد حتى عدنا في الغد الى لبس القمصان الصوف والملابس الشتوية



يوم الثلاثاء ١١ مايس (مايو) الوصول الى هرر

الوصول الى هرر — الاستعداد للسفر — وصف هرر — من اين يشتق اسم القهوه —
الحرز — شمسية بالوان قوس قزح — قصر رأس ماكونن — شعار من الذهب — صلاة الجمعة

لما استيقظنا هذا الصباح من النوم بادرنا بالاستعداد للسفر وبعد بضع دقائق
كنا سائرين على الطريق على اني كنت متألماً من الروماتيزم الذي اشتد علي مساء
البارحة من البرد وكثرة الرطوبة المتأتية من الأمطار ومع ذلك تحملت ونجذت .
وكنت في أثناء السير أسمرح الطرف بتلك الاطراف والاكناف وأستعلم عن احوال
المدينة من المستقبلين السائرين معنا وسأين ذلك بعد وصولنا الى هرر . ولما اقتربنا
من هرر ولم يبق بيننا وبينها سوى ساعة ونصف أخذ الناس المستقبون يردون أفواجاً
أفواجاً وبينهم كثير من أشرف مكة والمدينة ومن أهالي تركية آسيا والهنود ومن
أهالي جزيرة العرب وكلهم يشتغلون بالتجارة هناك فكان جل هذا الجمع راكبين
خيولهم وبعضهم مشاة على أقدامهم وكانوا يطلقون مسدساتهم وبنادقهم في الهواء
والشبان منهم ينشدون الأناشيد الحماسية احتفالاً بالوفد . وقد ضاق السهل على رجه
وسعته بالناس حتى خيل لي انه لم يبق في المدينة سوى العجائز والأطفال والنساء
وكانت تلك الافواج عند اقترابها منا تنزل عن خيولها للتسليم علينا فكنت أضطر
في كل مرة الى النزول عن الحصان للتسليم عليهم . وبالجملة كان الاستقبال هنا حافلاً
باهراً تظهر منه دلائل الحب والود لان احتفال الناس هذا كان من تلقاء أنفسهم
وكان بين المستقبلين مقفي هرر وقاضيها الشرعي وأئمة الجوامع والمساجد . وقد سررت
جداً باستقبال الهنود واحتفالهم بنا فاتهم كانوا يقدمون لنا المناديل الحريرية ذات

الروائح العطرية وصحاف الورد والزهور المختلفة الاشكال و يرشون علينا من كل جانب
المياه المعطرة مثل ماء الملكة واللاوندا وما أشبه

أخذنا تقترب من هرر بهذه الهيئة الخافلة والجمع الغفير وكنا كلما تقدمنا خمس
عشرة دقيقة نرى كوكبة من الجنود الحبشية بقيادة ضابط حبشي وبعد ان يؤدوا
التحية العسكرية للوفد السلطاني يلتحقون بنا ويسرون معنا . ولما صرنا على بعد ساعة
واحدة من البلد وجدنا جنداً حبشياً يقربون من أفين واقفين في سهل متسع لأداء
التحية للوفد ، ولما اقتربنا منهم ترجمنا وقصدنا الموظفين المأمورين باستقبالنا وقواد
الجيش الواقفين أمام جنودهم فلما رأونا توجهوا هم ايضاً نحونا فالتقينا في وسط تلك
الساحة المتسعة . وكان جماعة المستقبلين من قبل الحكومة مؤلفين من قينازماج جنمي
وكيل رأس ما كوني وبالمبراس شتى نائبه الثاني وكثير من كبار المستخدمين . وبعد
السلام والتحية بلغني قينازماج جنمي أن الرأس ما كوني الموجود الآن في آديس أبابا
أنابه قبل سفره باستقبال الوفد بدلاً عنه وانه يهدي رئيس الوفد السلطاني وسائر
أعضائه تحياته وسلامه ثم أخذ يعرفني برجال حاشيته والمستقبلين والموظفين الآتين
معه . وبعد الانتهاء من هذه الرسوم سرنا قاصدين المدينة ولما دخلناها من باب
السور أخذوا يطلقون المدافع من الابراج ايذاناً بقدم الوفد . وكانت الطرق مزدهمة
ازدهاماً شديداً بالناس حتى خيل لي ان هذا اليوم هو يوم الحشر وكذلك أسطح
الحوانيت والمنازل مملوءة بالنساء والاطفال وهم يرحبون بالوفد العثماني بالزغاريت
(لولولو) الواصل دويها مع دوي المدافع الى عنان السماء . سرنا هكذا حتى وصلنا
الى قصر رأس ما كوني الكائن في بقعة مرتفعة تشرف على البلد كانت الحكومة
خصصته لتزولنا فيه . وهنا أعاد قينازماج جنمي وسائر المستقبلين ورجال الحكومة
عبارات الترحيب وانصرفوا بعد أن عرفونا بالرجال الذين خصصوا لمراقبتنا وخدمتنا
وقبل ذهاب القينازماج أظهرت له رغبتني في مقابلة المدير النائب عن الحكومة في دار
الحكومة فأجاب (انكم الآن في تعب من مشاق الطريق فليكن هذا في يوم آخر)

و بعد وصولنا بقليل وفد قنصل انكلترا وفرنسا وايطاليا للزيارة فأفادوني جداً بما يعلمونه من أحوال هذه الجهات . و بعد ذهابهم جاء المهماندار (المصاحب الذي أختير لمراقفتي) وأخبرني ان قد جاء لمطبخنا من منزل رأس ما كوينين ثور كبير و بعض خرفان و بضع سلال من العنب و الموز فأمرت بهم جميعهم للجنود و الخدمة المراقبين لنا من دريدوه فذبحوا الثور حالاً و سلخوه و جلسوا يأكلونه نيئاً و تكاد الروح لم تفارقه بعد و كنت أشاهدهم من النافذة فلما رأيت هذا المنظر قفلت راجعاً متعجباً مما رأيت

أما المهماندار المخصص لمراقبتنا فانه رجل من أعيان هرر يسمى سيد محمد النقيب وهو شاب مليح الوجه أديب مهذب نشيط . ولما أخذنا نستعد للسفر الى (آديس أبابا) فوضنا اليه أمر اتباع ما يلزم لنا من الزاد و المئون و كراء البغال للاحمال و الركوب و تقرر ان يكون القيام من هرر يوم السبت

و من عادات هذه البلاد اذا أراد الانسان السفر من بلد الى بلد ان ينوط الامر برجل يسمى (نجادي) وهو الذي يوجد البغال اللازمة للسفر . و اذا كانت البغال عائدة حديثاً من سفر بعيد لا يؤجرونها ثانياً ولا يسافرون بها الا بعد ان يريحوها الراحة اللازمة و يتركونها ترعى في المراعي زمناً كافياً اذ ان البغال و الخيل هنا لا تعطى شعيراً بل تقتات بالكلاء في السفر و الاقامة

و يجب على المسافر ان يأخذ معه غير أصحاب البغال (المكارين) طاهياً لمعالجة الطعام و مساعداً له و عددًا من الخدم لنقل الماء و لجمع الحطب اللازم وقت النزول و لنصب الخيام و رفعها و يجب ان يكون هؤلاء الخدام من الذين تعودوا الاسفار في صحبة السياح . و كثيراً ما تحدث للسياح و المسافرين عوائق بسبب هؤلاء الناس فلا يتمكنون من تجهيز قافلهم الا في برهة ١٥ يوماً

و كان قبل انشاء السكة الحديد يستعد المسافر للسفر من الساحل ولكن الآن يستعدون لذلك في دريدوه أو في هرر وهذه الاخيرة هي أحسن لانها مدينة كبيرة

تجارية كما سنصفها في فصل مخصوص لانها محطة لجميع القوافل الذاهبة والآتية فاذا ورد على هذه المدينة ساح أو مندوب مثلنا يأتيه من يرغب ان يكون في خدمته اثناء سفره وبرزله شهادة من الذي ساح معه قبل ذلك . ويطلق على هؤلاء الخدام (اسكري) . ويدل هذا الاسم على انه محرف من كلمة (عسكري) ذلك لانهم يكونون كالجنود طوع أو امر مخدومهم منذ يوم دخولهم في خدمته ولا يبالون باقتحام الممالك حتى الموت في سبيل طاعته وخدمته ويقومون بحراسته ليلاً بالناوابة والمخدوم يعطيهم الاسلحة اللازمة لهم . والسياح الذين يقصدون الجهات القاصية من أفريقيا ذات المخاطر والممالك لا يستغنون عن هؤلاء الاسكرين . ويمكن للانسان ان يأخذ لخدمته العدد الذي يريد من هؤلاء والحكومة لا تمنع بذلك أبداً . ولنصف الآن مدينة هرر

هرر

ان الانسان الذي يقترب من هرر آتياً من الشمال أي من الطريق الذي أتينا منه لا يتأتى له رؤية المدينة بسبب وقوعها وراء أكمة هي أكثر ارتفاعاً من المدينة نفسها . والمدينة قائمة على اكمة من هذه الاكمت يضاوية الشكل مستطيلته لذلك ترى منازلها مشرفة بعضها على بعض ويحيط بالمدينة سور قديم يجعل الدفاع عنها سهلاً والمتزل الذي تخصص لنا واقع في أعلى نقطة من المدينة فيشرف الناظر منه على أطراف المدينة واكناها لا سيما اذا كان في الدور الأعلى حيث يظن نفسه انه في البلاد العربية لما يرى امامه من المنازل المشيدة من الحجر والطوب النيء والسطوح المسطحة وعليها النساء المعصبات رؤوسهن يشتغلن اما بتجفيف الخنطة وتنقيتها وجمعها أو بنشر الملابس المغسولة واكثرهن يستعملن الخمار الاحمر

أما طرق المدينة فانها غير منظمة وهي صاعدة هابطة ذات تعاريج وضيق وذلك لانها لم تخطط حين تأسيسها على أصول هندسية لذا كانت مزانها ضيقة جداً كما انها

في غاية من التدارة ولكون هذه المدينة محاطة من كل جوانبها بالرياض الفناء والاكبات الخضراء فهي تشبه دمشق الشام أو تشبه قصرًا كبيراً قائماً في وسط حديقة واسعة الاطراف . ويزرع في حدائقها من الفواكه قصب السكر والموز والبن (القهوة) والجنب والليمون والبرتقال ومن الخضار القرع والخيار والباذنجان والتوتة والفاصولية وما أشبه ذلك . وكل منزل فناء (حوش أو ديار) واسع مكشوف وفيه الاشجار الباسقة التي تتجاوز بعلوها سطوح المنازل فترى منظر البلد وتزيد في رونقها . وسبب ضيق طرق هذه المدينة ما كنا نرى داخلها من أعلى منزلنا ولو لم نرَ بعض النساء على السطوح أو نسمع من حين الى حين صوت الكلاب تنبح أو أصوات الجمال ترغو لظننا ان هذا البلد خال من السكان

ويبلغ سكان المدينة (٤٠٠٠٠) نسمة منها (٣٥٠٠٠) مسلمون والخمسة آلاف الباقية هم خليط من الاحباش والافرنج والارمن والروم . ويظن الانسان لاول وهلة ان الحر في مدينة (هرر) شديد جداً لوقوعها قرب الدرجة العاشرة من العرض الشمالي لخط الاستواء ولكن ارتفاعها البالغ ١٨٥٦ متراً عن سطح البحر والرياض والحقول المحيطة بها تجعل طقسها معتدلاً لطيفاً جداً . وقد قال لي القناصل الذين هنا ان درجة الحرارة في هرر لا تتجاوز الستة والعشرين في موسم الصيف الذي يعتدل فيه الهواء لسقوط الامطار الغزيرة . وفي الشتاء يكون معتدلاً بواسطة حرارة الشمس . وموسم المطر في هذه البلاد وفي سائر الاقطار الحبشية والسودانية هو في الصيف أما في الشتاء فانه لا يسقط المطر ويتبدى نزول الامطار من مايو (مايس) وينتهي في أواخر ستمبر (ايلول) وبلغ سقوط المطر أشده في شهر يونيو (تموز) ويوليو (حزيران) واغسطس وسبتمبر . واعتدال هذه البلاد مما يساعد على زرع البن (القهوة) في جوار وضواحي هرر وفي البلاد الحبشية الاخرى حتى ان الجهات الجنوبية الغربية من الحبشة خصوصاً في جهات بلاد (كفا) ينمو فيها شجر البن نمواً عجيبياً بحيث يصير كالغياض والغابات الطبيعية . ولعل الناس أخذوا اسم القهوة من اسم بلاد (كفا)

الآفة الذكرو التي تنبت فيها أشجار البن في حالة طبيعية . وتوجد أشجار البن في هرر
وضواحيها بكثرة

يمر من هرر نهر يسمى (ارر) وبعد ان يقطع مسافة الف كيلومتر باراضي
الصومال واوجاده يغور في الرمال قبل ان يصل الى البحر . وتأني النساء كل يوم
أفواجاً أفواجاً من القرى والمزارع المجاورة لهرر بالحب والدجاج والعسل والزبدة
ويجلسن في ساحة خاصة للسوق ويبعن ما معهن من السلع والمأذون لها من وليها
بصرف قسم من الدراهم ترى من الواجب عليها ان تشتري قبل اياها الى القرية
حالياً تزين بها نفسها ويجعلها محبوبة في عين الناظر اليها فتذهب بعد بيع سلعاها الى
الصائع وهو بائع الخرز فتقف امامه وتأخذ في ثقلب العتود والاساور والخواتم فتغير
وتبدل وتلبس عقدًا وتزعه ثم تلبس خاتمًا ثم تزعه ثم اسورة كذلك وهكذا تبقى
بين تردد واحتياط حتى يستقر رأيها على شيء وربما استشارت رفيقاتها عدة مرار
وفي النهاية تنتخب اسورة مثلاً وتأخذ المرأة بيدها لترى نفسها فتطيل النظر في المرآة
وبعد ان تبسم عن أسنانها البيضاء تدفع الثمن واذا لم يكن عندها مرآة فانها تتباعد
واحدة اذ من الضروري ان ترى نفسها هي أيضاً كما يراها الآخرون وهي بجملها
ومصاغها . لذلك يروج الخرز (وهو مصنوع تقليداً للأحجار الكريمة) والمرايا
رواجاً عظيماً في هذه الأقطار فغلب الخرز التي في أسواق هرر كل سنة يبلغ عددها
(١٠٠٠٠٠٠) علبة في كل علبة (٦٠٠٠) خرزة والمرايا يبلغ عددها (٣٠٠٠٠٠٠)
وهاته الأصناف تأتي الى الحبشة من تريستا وألمانيا . ومن الاصناف الرائجة في
التجارة بعد الخرز الأقمشة الافرنكية . والاكثر رواجاً من هذه الاقمشة هي ذات اللون
الاحمر والازرق لان نساء هرر يرغبن الاقمشة الملونة بهذين اللونين ويلبسن الكساوي
المعمولة منها . أما التجارة فان القسم الاعظم منها في يد فرعي التجارين الهنديين
محمد علي وطبيب علي اكبر . ومركز تجارة هذين التجارين المسلمين هي في (بومباي)
وتجارتها واسعة ومحلهما كبير جداً . ويوجد غير ذلك تجار من الارمن والاروام

والفرنسا و بين والاطليان وغيرهم وكل هؤلاء التجار يعترفون بعدم استطاعتهم لمجارة
التاجر ين الهنديين السابق ذكرهما في التجارة لان معيشتها المبنية على الزهد والقناعة
تمكنهما من بيع سلعيهما بأرخص ثمن وبأقل ربح وهذا مما لا يقدر عليه الاوروي
أبدأ . وقد ابتعنا كل ما يلزم لتقاقتنا من هذين التاجر ين . وتجارة الهنود في هذه
الاقطار قديمة جداً . والمصنوعات الأوروية لم تأت الى هذه البلاد بكثرة الا بعد
فتح ترعة السويس أما البضائع الهندية فانها كانت تأتي الى افريقيا من قديم الزمان
عن طريق زيلع قبل تأسيس ثغر جيوتي . ولما كنا في جيوتي بحثنا عن ارز مصري
لنبتاع منه فلم نجد له اثرأ فيها فارتضينا بالارز الهندي وهنا كذلك لم نجد الارز
المصري على أن المسافة بين مصر وبين جيوتي ليست الا بضعة أيام . أليس بعجيب
أن لا يرد اليها الأرز المصري ؟

يرى من دور منزلنا الاعلى اكبر أسواق المدينة وهو ساحة متسعة تزدهم كل
يوم بالبائعين والمشتريين . والحوانيت الشبيهة بالاكواخ مبنية اما في وسط الساحة
أو على أطرافها ويوجد بهذا السوق كل ما يوجد في المدن مثل الجمال والبغال والحمير والبقر
والخراف والماعز والدجاج والذرة والبصل واللحم ويؤتى بكل هذه الاشياء من القرى
المجاورة . ويرى الناظر امامه في السوق منظرأ جميلاً بسبب شدة الازدهام وتنوع
ملابس الناس المختلفة الاشكال فلاحباش عامة يرتدون ثوباً يسمى (شما)
مصنوعاً من القماش الابيض . والشما التي يرتدونها هي ثلاث قطع فالطرفان أيضاً
اللون والوسط أحمر اللون فيخيل لمن يرى الرجل في رداه انه عالم يمشي أو شخص
مرتد بعلم وكثيراً ما يرى بعض اكابر الاحباش وفي أيديهم انواع من المظلات
الغريبة الاشكال التي تليق ان تعلق فوق حوانيت بائعي الشمسيات لتقوم مقام
اعلان أو دليل (يافته) على المحل فقد جرت العادة ان تكون الشمسيات ذات لون
واحد أما هؤلاء فيحملون شمسيات ذات لون فضي زاوية من زوايا الشمسية للقائمة قطعة
بلون يخالف الآخر بحيث تصير التسمية جامعة لكل ألوان قوس قزح . وهذه الشمسيات

تُصنع لهذه البلاد خاصة لانها مقبولة ورائجة عند القوم والحشي يحمل الشمسية
لاظهار التأنق لا لانتقاء حر الشمس لان أغلب الاحباش رؤوسهم عارية . وقد أخذ
منذ مدة يتفشى لبس القبع بين الاكابر من مسيحي الاحباش

يرى من هرر جبل عالي يسمى (غوندور) يرتفع على سطح البحر ٣٢٠٠ متراً .
وكان قديماً يرسل محصول البن من هذه البلاد الى (مخا) ومنها يصدر الى الخارج
فسمى البن باسم (موقا) والى يومنا هذا يباع في اورو با تحت هذا الاسم ويظن
الكثيرون ان (مخا) هي بلاد البن ومحل زرعه على انه من محصولات هرر وضواحيها .
وقد قامت الآن عدن بدل (مخا) ومع ذلك فان اسم موقا لم يزل الى الآن يطلق
على البن الآتي من هرر عن طريق عدن . وقد كان رؤوف باشا أحد القواد المصريين
احتل هرر وما يتبعها بالجنود التي كانت تحت امرته عام ١٨٧٥ وذلك بعد تفويض
أمر ادارة ساحل البحر الاحمر الافريقي للخدوية المصرية . وفي اثناء فتنة المتمهدي
سنة ١٨٨٤ أخلى المصريون هرر من جنودهم وتركوا المدينة لرجل يسمى عبد الله كان
أمير المدينة قبل احتلال المصريين لها . فقام هذا المغرور بوضع مئآت من البنادق
كانت تحت امرته وأنزل العلم العثماني ورفع بدلاً عنه علماً خاصاً به وأوصله الجهل
الى ان تجرأ وانتحل لنفسه لقب أمير المؤمنين وأمر بقراءة الخطبة باسمه ولم يكتف
بذلك بل أرسل الى منليك سجادة صلاة وكوزاً وطستاً للوضوء فدعاه الى اعتناق
الاسلام وهدده بالمسير اذا لم يجب طلبه . وأما منليك فقد بعث اليه يلاطفه بكلام
لين ولكن عبد الله لم يصغ لاقواله فشبت الحرب بينهما سنة ١٨٨٧ فدارت الدائرة
فيها على عبد الله فوقع هذا الغر أسيراً بين يدي منليك ودخلت هرر في قبضة امبراطور
الاحباش ولا تزال كذلك الى الآن . وأما عبد الله فان الامبراطور منليك رتب
له راتباً من الحكومة وأمره ان يقيم في هرر وهو الآن منزو فيها لا يقدر على مقابلة
الناس خجلاً وحياء مما صدر منه من الهفوات التي أذهبت بلاده . ولما كنت في
هرر جاء أخوه لزيارتي . وأما حكاية عبد الله هذه فقد سمعتها من الالبانيين والاكراد

الذين كانوا أتوا لاستقبالنا وهم من الذين حضروا كل الوقائع التي حدثت وعلّموا بالأمور من أولها الى آخرها . وهؤلاء كانوا ممن وفدوا على هرر مع المصر بين عند ما احتلتها جنود رؤوف باشا وتزوجوا بها وأقاموا فيها الى اليوم

وفي عام ١٩٠٠ تفشت الكوليرا في مدينة هرر تفتشياً مريعاً فأبادت ثلثي سكان المدينة . أما هرر في القديم فقد كانت تابعة للحبش فأتى المسلمون سنة ١٥٢١ ميلادية فافتتحت على أيديهم و بقيت مستقلة في ادارتها استقلالاً نوعياً حتى ورود المصر بين واحتلالها لهم . ولكن لسوء عمل عبد الله السابق الذكر وطعمه الاشعبي عادت فدخلت تحت السيادة الحبشية

ان القصر الذي نزلنا فيه هنا وهو قصر الرأس ما كونهن مشيد في أعلى نقطة من المدينة وليس بين أبنية المدينة ما يماثله في الفخامة والانتظام والمتانة . وهو مبني من الحجر وذو ثلاثة أدوار فيه كثير من الغرف والبهوات والشرفات يضاهي في شكله طرز منازل الاستانة واوربا . وغرفه متسعة وأرضها مفروشة بنوع من المونة المتينة المسماة في سوريا (زريقة) وفي الحجاز (طاباطاب) ونوافذه صغيرة بالنسبة لاتساع الغرف . صنعت كذلك كي لا يكون النور داخل الغرف زائداً عن اللزوم ولأجل منع نفوذ النور للغرف وضع على كل نافذة (تكعمية) ثابتة من الخشب شببية بالستائر التيلية البيضاء التي توضع عادة في الاستانة لحجب أشعة الشمس عن النوافذ والدكاكين . وقد طليت الغرف من الداخل بالنقوش والالوان غير الزاهية وفرشت الغرف بالطنافس الشرقية ووضعت في جهو الاستقبال الكراسي ذات الايدي والمتكئات والموائد وفي صدر الغرفة رسم الامبراطور منليك نجاشي الحبشة مرفوعاً تحيط به الاعلام الحبشية . وعلى أطراف القصر فضاء واسع مسور جعل قسم منه حديقة والقسم الآخر أي الجهة الامامية تركت كفناء للقصر . ويدخل الانسان الى الفناء من مدخل عمومي ويرى الداخل ذنب فيل معلق على قوس الباب وعلى طرفيه من الاعمال تمثالاً أسدين مصنوعان من الجبس . وقد علمنا ان الذنب الذي رأيناه هو ذنب فيل كان الرأس

ما كونه قتل في الصيد . والصيد في الحبشة من ملاهي الكبار والاعيان والرؤوس حتى النجاشي نفسه . واذا صاد أحدهم حيواناً من الحيوانات الوحشية يعلق ذنبه على باب منزله وتقام لتعليقه احتفالات ومآدب مخصوصة . ومن يقتل أسداً أو نمراً يعلق شعر الحيوان على رأسه في الايام الرسمية والتشريفات وفي المواسم والاعياد كعلامة شرف أو اكليل فخار ولا يحق لمن لم يقتل من هذه الحيوانات الكاسرة وضع شعره على رأسه واذا وضع يتهم بارتكاب التزوير والغش والتدليس .

وفي الرابع عشر من مايس (مايو) أعدت الزيارة لقبينازماج جنمي وكيل الرأس ما كونه ولجميع القناصل . ومنزل القينازماج مبني من دورين . وأما دور القناصل فمن دورين فقط وليس بينها وبين منازل آحاد الناس فرق من الخارج وإنما متى دخل اليها الانسان يرى الانتظام التام والنظافة والترتيب ويكاد ينسى نفسه انه موجود في هرر . وقد رأى الوفد السلطاني من القناصل لاسيما المسترجون القنصل الانكليزي والموسيو جابريل جينوتي القنصل الفرنسي واليوزباشي سترني القنصل الطلياني غاية الاحرام والاحترام وكرم الاخلاق وقد أرادوا ان يعدوا المآدب للوفد ولكن اعتذرت لهم بضيق الوقت فقبلوا عذري وقد بينوا غير مرة استعدادهم لمعاونة الوفد السلطاني بكل ما يقتضي له فكنا نشكرهم على عنايتهم هذه أحسن الشكر . وكذلك جاءنا الموسيو قارره وكيل الموسيو شفنو الذي له المقام السامي لدى بلاط النجاشي منليك والحائز على شهرة عظيمة في البلاد الحبشية والموسيو آدولف ميشل وكيل الموسيو ايلج ومدير التلغراف في هرر وبلغنا السلام من قبل موكلهم ثم عرضا أنفسهما للقيام بخدمتنا حتى نصل الى آديس آبابا ، ولكن بسبب استهلاكنا معدتنا لم أر لزوماً لمساعدتهما فشكرتهما أيضاً على ما أظهرنا من الميل لنا وكلفتهما ابلاغ شكرنا وامتناننا الى موكلهما . وقد زارني أيضاً الدكتور جان كوزما مراراً لما ألمّ بي من المرض اثناء وجودنا في هرر . وبالجملة ان الوفد حيثما حل في رحلته هذه كان يرى بطل الحضرة السلطانية ضروب الاحتفاء والاحتفال والاحترام

يوجد في هرر عدة مساجد جامعة أدّينا صلاة الجمعة في الجامع الكبير منها الكائن امام القصر فكانت أنظار المصلين كلها متجهة الى أعضاء الوفد حين وجودنا في الجامع . وقد تأثرت تأثراً شديداً حتى دمعت عيناى لما سمعت الخطيب وهو يدعو للحضرة السلطانية ويؤمن على دعائه قدر الفين من المؤمنين الموحدين . نعم ان هذه العمادة جارية في كل الممالك الاسلامية ولكن العماني الصادق لا يملك نفسه من التأثر عند سماع ذلك الاسم الفخيم يذكر بالتبجيل والتعظيم في تلك الساعة يقطع اليها الفيافي ويجوز البحار وهي غير مطروقة بالعمانيين . هذا وقد سمعت المصلين بينما هم يخرجون من المسجد بعد الصلاة يدعون أيضاً بحفظ صاحب الخلافة وبتوقيه ومن هذا يظهر ان قلوب الموحدين أينما كانوا بعدوا أو قربوا مرتبطة بذلك المقام الاسمى ارتباطاً متيناً أساسه الدين . فما أعظم هذه الرابطة وما أسمى هذا الدين الذي يجعل لمؤمنين كلهم كجسم واحد



السبت ١٥ مايس مايو

السفر من هرر

المرافعة — رحل من البضائع — البغال الحبشية — القيام من هرر — عدد أفراد القافلة
الخدمات السفرية — صواويننا — دورنو — الحاج يوسف طباخنا — خبز سهل — الطعام مخفياً

كان أصحاب البغال الذين أكثريناهم يأتون كل يوم لمنزلنا ويرون الطرود
واحدًا واحدًا ويرنون بأيديهم ثقلها فاذا وجدوا طرداً ثقيلاً أو تخيلاً لهم انه ثقل
عزلوه عن باقي الطرود بحجة ان البغال لا تمدر على حمله فكنا نجاريهم على رأيهم
فنتقص من الاشياء الموجودة ضمن الطرود . وفي هذا اليوم وهو يوم السفر أتى أصحاب
البغال من غير بغالهم فأنزلوا كل الطرود ووضعوها في الفناء . ولما كان أصحاب البغال
عدة أشخاص أراد كل منهم ان يأخذ الأخرى من الطرود والصناديق ليحمله على
بقله . فلم يمض بضعة دقائق حتى قامت قيامة هؤلاء المنكاريين واشتبك بينهم الخصام
وعلا الصراخ والصياح دون ان يسمع بعضهم مايقوله الآخرون . وما كنت افقه
مايقولون لعدم معرفتي باللغة الحبشية ولكن كنت أسأل من المهماندار عن سبب هذا
الخصام . وكان معهم رئيسهم المسمى (بنجادي) فلم يستطع اسكاتهم وكيف يستطيع
ذلك وأصواتهم العالية قد بلغت عنان السماء . فلما رأيت ذلك عيل صبري فأرسلت
الى القينازماج جنمي وأخبرته بالواقع فأرسل من قبله رجلاً يسمى (آتو جماناخ) .
فلم يكدها المأمور يضع رجله في الفناء حتى انقطعت الأصوات وخذت الأنفاس .
فجاءني الآتو وبلغني سلام قينازماج جنمي ثم أخذ بروية الطرود وتقدير ثقلها بيده
وبعد ان أتم عمله هذا صعد على أضخم طرد وأعلاه ووضع رجله اليمنى على اليسرى

وامال قبعته الى الأمام وصار ينظر الى انكارين بوجه عبوس يظهر منه الغضب فنظرت الى اولئك انكارين فرأيتهم صامتين ساكتين لا يبدون حراكاً كأنما على رؤوسهم الطير وبسوءالي عن سر ذلك علمت ان رسول قينازماج جنمى تقلد بهذه الهيئة بصفته الرسمية وان انكارين قائمون الآن أمام المحكمة . أما هؤلاء فانهم لما رأوا أنفسهم امام الحاكم أنكروا ان كلاً منهم يريد أخذ الأخرى من الطرود ليحمله على بقله وادّعوا ان بعض الصناديق لا يمكن تحميلها على البغال . على انهم كانوا كل يوم يأتون ويرون الصناديق امام المهاندار الذي ساوموه على ماسبق ذكره ودفعنا لهم الأجرة كلها مقدماً . وبناء على ادعائهم هذا صارت الدعوى بينهم وبين المهاندار فوقف النجادي والمهاندار امام الأتو الواحد بصفة مدعي والآخر بصفة مدعى عليه . فصرح النجادي انه يقدم قدرة عسل رسماً للقضية أما المهاندار الذي كان عالماً ان الحق من جانبه والحكم له زاد في قيمة الرسم الى بقل واحد فلم يستطع النجادي الزيادة عليه لأن العادة ان من يحكم عليه يجبر على دفع قيمة الرسم . أما نحن فانا كنا واقفين نتفرج على هذه الرواية المضحكة ولا نفهم ما يقال فيها وقد علمنا من النرجمان ان النجادي يدعي ان بعض الصناديق ثقيلة جداً وانه لم يرها بين الصناديق من قبل أي لما ساومنا على الأجرة ودحض المهاندار ادعاء النجادي وأثبت ذلك بشهادة خدمة القصر

وكانت المرافعة تجري في غاية الغرابة فكان المدعي عند ما يسرد أدلته يتكلم مشيراً بيديه متقدماً مرة الى الامام متأخراً أخرى الى الوراء ويأتي بحركات عجيبة كأنه على مرسح تشخيص . يرفع تارة يديه الى السماء وطوراً يمدها الى الأمام ويرغي ويزبد بصوت عال أو بعبارة أخرى بصراخ عظيم . كل ذلك لاظهار بلاغته وفصاحته التي ستوصله الى اثبات مدعاه على زعمه . أما المدعى عليه فيمكث ساكتاً صامتاً طول هذه المدة فلا يحرك ساكناً ولا ينبس ببنت شفة ، وحين ينتهي المدعي من كلامه يبدأ المدعى عليه فيدافع كما فعل الأول الذي يلزم جانب الصمت طول مدة كلام

المدعى عليه . ولما تم ايراد أدلة المدعى عليه سمع الأتو الشهود واتبعه باصدار الحكم لصالحنا أي ان جميع الصناديق والطرود يمكن تحميلها على البغال . ولما صدر هذا الحكم خرب النجادي ساجداً امام الأتو ولم يفه بكلمة وقد كان قبل صدور الحكم كمن مسه الشيطان من الحدة والغضب . وعقب ذلك قام أصحاب البغال وتقاسموا المتاع والصناديق بعد ان عدلوا بين الثقل والخفيف وبعض الطرود الصغيرة وذهبوا ليأتوا ببغالهم . وبقى الأتو معنا حتى ساعة سفربنا . وهنا يجب ان أقول بضع كلمات فيما علمته في شأن رسوم القضايا التي تؤخذ في هذه البلاد :

ان الرجل الذي يريد اقامة دعوى على آخر يهدده قبل الدخول بالدعوى بأنه سيقدم رسماً للقضية كذا درهماً أو كذا شيئاً لأنه اذا صدر الحكم فيما بعد لصالح المدعى فان المحكوم عليه ربما يضطر ان يدفع أضعاف ثمن الشيء الذي تسبب عنه رفع الدعوى . فعلى المدعى عليه ان يقبل هذا الرسم ويزيد عليه اذا رأى الحق من جانبه حتى يصل الرسم في بعض الاحيان الى مبلغ عظيم . فالذي يحكم عليه من المتقاضين يضطر ان يدفع المبالغ المعين الذي تعهد باعطائه .

بعد بضع دقائق وردت البغال نأخذ المكارون يحملون الأحمال . وبغالهم ليس لها نعال ولا أرسن . وقد وضع على ظهر كل بغل من الأمام ما يشبه رحلاً صغيراً مصنوعاً من الجلد مربوطاً بقطعة من الخشب على رسم ٨ وقد وضعوا فوق هذا الرحل العجيب الشكل ثوبين من البقعة ملفوفين لفناً طويلاً ثم ملفوف فوقهما الخيش فيصير من هاتين اللغافتين رحل كبير وأما البقعة التي تستعمل لهذا الرحل فان المكارين يشترونها لينتفعوا بها في الرحل ثم يبيعونها في أديس أبابا بثمان أعلى مما اشتروها به وبذلك يربحون من جهتين . ويحملون على البغل كل اثنين من الطرود الصغيرة بوضع واحد كبير يقابله من الجهة الأخرى كالعادة المتبعة عند مكارى بلادنا . وأما الأحمال الثقيلة والصناديق الكبيرة فانهم يضعون الواحد منها على ظهر البغل كما يضعون الطرد على الارض ويأتون بسيور من الجلد رفيعة طويلة غير مدبوغة فيلفونها على الصندوق

و بطن البغل عدة لفات ثم يأتي اثنان من المكارين فيمسك كل منهما بطرف السير
 واضعاً رجليه الواحدة على الارض والأخرى على بطن البغل ويشدان السيور بكل
 قوتها حتى يصغر بطن البغل المسكين وتلتصق السيور ويبرز جلده من خلال السيور
 بحيث لا تعود ترى تلك السيور ويصبح الحمل وجسم الحيوان كأنهما قطعة واحدة.
 وقد اعتادت البغال مع اتمادي على هذا العذاب وتكون في مكان السيور من جسمها
 طبقة خشنة ربما ثقيه ولو قليلاً من هذه الآلام . وكما كانوا يحملون بغلاً يتركونه
 وشأنه ويذهبون لتحميل آخر فينام الاول ويتمرغ على الارض ويقوم ويمشي ويرعى
 والحمل على ظهره لا يتزحزح من محله لانه أضحى هو والبغل قطعة واحدة كما قلنا آنفاً
 وفي الساعة الواحدة بعد الظهر انتهى تحميل البغال فقمنا مع القافلة من هرر
 وأرسلت الحكومة معنا نفرأ من الجند تحت قيادة صف ضابط (جاو يش) ومشى
 معنا القينازماج وسائر المأمورين لوداعنا

و بعد سير ساعتين نزلت القافلة على سفح اكمة تسمى (قارصة) وكان معنا
 وقتئذ البغال المأخوذة احتياطاً ما عدا بغال الركوب و بغال الاحمال فبلغ عدد جميع
 بغال القافلة نحو أربعين بغلاً . ولما نزلنا واسترحنا ضبطت عدد وأسماء النفوس الموجودة
 بالقافلة

(أنظر الاسماء بالصحيفة التالية)

وها هي الاسماء أوردها هنا نموذجاً للاسماء الحبشية :

(أعضاء الوفد)

أنا . البكباشي طالب بك . الجاويش يسين افندي . ابراهيم بكر افندي .
شوكت افندي

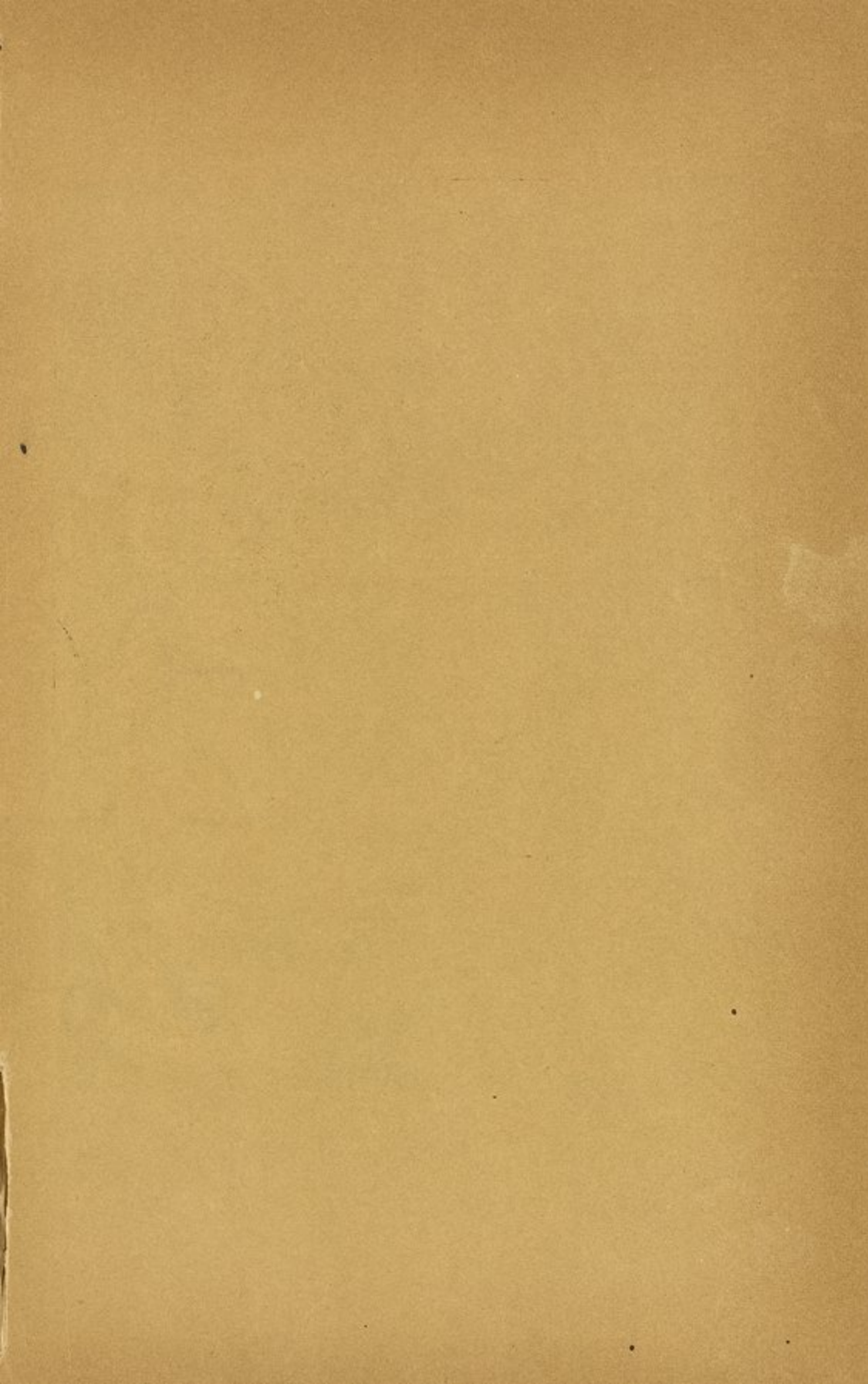
(الجنود الحبشية) (البغالة وعددهم عشرة) (الاسكر بين اي الخدمة وعددهم أربعة عشر)

| | | | | | |
|---------|-------|-----------|--------|------------|----------------|
| أبو بكر | جاويش | عياللا | نجادي | الحاج يوسف | طاھي |
| عمر | جندي | لمما | جمعه | أحمد | |
| عثمان | » | بوقوللا | محمد | عبد الرحمن | |
| حسين | » | شفاو | علامو | محمد | |
| أمي | » | بلاي | غرادو | نورو | |
| | | آديس | دوغوبا | واق غيرا | |
| | | جيلو | بشرا | علامو | |
| | | بوتفاس | علامو | عبد الرحمن | مارمطون الطاهي |
| | | اغا | | | |
| | | بواط | | | |
| | | عياللا | | | |
| | | قبر مريم | | | |
| | | غوشو | | | |
| | | زكارترادا | | | |
| | | كزمو | | | |

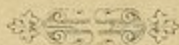
وقد انضم الى قافلتنا بعض الفقراء من أهالي البلاد بكفالة الخدمة للذهاب الى
آديس آبابا من غير أن يكلفهم ذلك شيئاً من الدراهم فبلغ عدد القافلة ٤٠ شخصاً



جنودنا وخدمنا



و ٤٠ بقلًا . ولما وضعت القافلة رحالها أخذ الخدمة يؤدون وظائفهم فالبعض منهم كان يشتغل بنصب الخيم والبعض بوضع الصناديق والأحمال ضمن الصواوين وترتيبها والبعض ذهب ليحطب والبعض اشتغل بنقل الماء الى المطبخ ونقل الماء والحطب هي خدمة ذات أهمية في القوافل التي تسير في هذه الفيافي لان القوافل مضطرة أن تنزل على بعد ٨٠٠ متر من الينابيع او الأنهار ابتعاداً عن أذى الحيوانات المفترسة كالأسد والنمر والذئب التي ترد على الماء ليلاً . أما الحطب فانه لازم جداً لطرد الحيوانات بإشعاله ليلاً على أطراف القافلة فلا تقرب من محل نزولها . ويقوم الجنود والخدمه بالمناوبة بحراسة القافلة وبايقاد النيران على أطرافها فتخافها الحيوانات الوحشية قمهرب منها ولولا ذلك لها جتمنا الحيوانات المفترسة وأتلفت كثيراً من البغال والبهائم التي ترعى قربنا



مرحلة (هرمايا) دورغو

ان رحلتي هذه اكتبها بطريقة يمكن للسائح في تلك البلاد اتخاذها كدليل له
لذلك أرى من الواجب أن أصف مساكننا في هذه القفار فأقول :

ان مساكننا هي خيم وضواوين . عند نزول القافلة في محل تنصب خيمي
دائماً في وسط القافلة وتنصب على أطرافها باقي الخيم . وقد كنت اشترت صيواناً
كبيراً ذا عمودين حتى اتمكن من استقبال الزوار الذين يفدون عليّ ويمكن جعل
قسم منه غرفة للنوم بحاجز من نفس قماش الصيوان . ولكون ذيول الصيوان الأربعة
مربوطة به بواسطة نوع من العري والأزرار الكبيرة اي انها ليست مخططة فيمكن
للانسان أن يقفل الجهة التي يريد سدها بالنسبة لاستقامة أشعة الشمس والامطار
أو الأرياح . والقسم الامامي منه يكون مفتوحاً دائماً ويرفع بواسطة عمودين صغيرين
لمنع أشعة الشمس من النفوذ الى داخل الصيوان . أما الداخلة فانه مفروش ببسط
من صنع تركية آسيا . ولا بد للمسافر في هذه البلاد من فرش البسط والطنافس
داخل خيمته لدفع الرطوبة المتصاعدة من النباتات والحشائش ولاتقاء أضرار الهوام
والحشرات المؤذية . ويوجد ما عدا ذلك بضعة كراسي يمكن فتحها واقفالها ليدهل
نقلها ومائدة (تره بيزا) من جنس الكراسي وثلاثة كراسي من التيل المستعملة للجلوس
في البواخر وحقائبنا المصنوعة من الجلد ذات غطاء تيلي . ولا بد للسائح في هذه
البلاد من صناديق وحقائب وأربطة تلف بها الفرش ضمنها لا ينفذ منها الماء اذ أن
الأمطار في البلاد الحبشية تسقط بكثرة عظيمة . وأما سكان البلاد فانهم يحافظون
على متاعهم بوضع جلود الحيوانات الكبيرة عليها . هذا ويوجد في الصيوان غير ما
ذكر في القسم المعد للنوم سرير خفيف الحبل مصنوع على هذا الشكل X يفتح

ويعلق ليسهل حمله معنا ومازدة (طاولة) صغيرة وحقائب الملابس وما أشبه . ويعلق الملابس والأسلحة والحقائب الصغيرة في المسامير الموجودة على عمدان الصواوين .
وأما صناديق الزاد والذخائر فإنها مستورة بطبقة من الزنكو لحفظ ما في داخلها من وصول الماء إليها

بينما كنت مشتغلاً بكتابة وصف مساكنا اذ رأيت نساء ورجالاً من الأحباش مقبلين على محلتنا يحملون على رؤوسهم سلالاً وأوعية حتى اذا بلغوا المحلة استقبلهم أبو بكر وأتى بهم ابيّ ولما دخلوا الصيوان أدى الرجل الذي كان ماشياً امام الجميع السلام باحناء رأسه الى الارض فقال لي أبو بكر ان هذا الرجل شوم (عمدة) القرى الكائنة قرب محل نزول القافلة وانه أحضر (الدورغو) فقلت لابي بكر وما هو الدورغو ولمن أتى به ؟ فاجاب ان العادة في الحبشة ان يقوم الاهالي لتقديم ما يلزم من الزاد والذخائر لجنود وضيوف الامبراطور عند مرورهم على كل بلد من بلادهم ولكونكم أتم خير ضيوف النجاشي فقد أرسلت الساعة لكل الجهات لاخبار الاهالي بقدمكم ليؤدوا الواجب عليهم في مثل هذه الاحوال . فقلت له انا والحمد لله في غنى عن ذلك لا سيما وان لدينا من الزاد والمؤن ما يكفيننا ذهاباً واياباً ثم امتنعت عن قبول الدورغو فقال أبو بكر ان كل ما يأتي به الاهالي ليس هو تكملاً منهم بل ان كل ما يقدمونه لضيوف النجاشي يحسبونه من أصل الضرائب التي يؤدونها للحكومة اذن الدورغو هو من أموال النجاشي والحكومة فلا يليق والحالة هذه رد اكرام الامبراطور . فاضطرت حينئذ لقبول الدورغو . وكان أبو بكر يتكلم معي وعيناه ترمق الدجاج وسالل المؤن والمأ كولات الموجودة على رؤوس النساء والرجال . ولما أفهم أبو بكر الشوم اني قبلت الدورغو انحنى هذا امانبي فاخذ يقول (ازكرا اصطلي دهناي اصطلي دجنو) وقد فهمت من حركاته وكيفية كلامه بانه يشكرني على قبول الدورغو . واستلم أبو بكر السلال من الاحباش فارسلنا قسماً منها الى المطبخ والباقي فرقناه على الجنود والخدمة . وأما الدورغو فانه كان عبارة عن دجاج

ونوع من الخبز المنصوع من حبوب رفيعة تسمى (دف) ومن البيض والعسل والسمن وكلها موضوعة ضمن سلال مستورة بأقشة حمراء . ولهم رسوم وعادات غريبة يجرونها عند تسليم الدورغو . ولم أستطع أكل خبزهم لأنهم لا يضعون فيه ملحاً لذلك رجحت أكل البيسكوت الموجود معنا . وأما الجنود والخدمة فانهم أوقدوا ناراً وجلسوا على أطرافها فاكلوا الدورغو كله في أقل من ساعة فكان يكفيمهم بضع دقائق لتجريد الدجاجة من ريشها وأدانها من النار لحرق ما بقي على جسمها من الريش الصغير ثم اكلها واتهامها اتهاماً . وكان الحاج يوسف الطاهي أشد شرهاً وأقوى معدة من الجميع اذ يأكل الشحم المستخرج من جوف الخاروف نيئاً ويتلذذ كأنه يأكل الحلواء مع انه أي الحاج يوسف كان سبق له السفر مراراً الى داخل أفريقيا مع بعض السياح ورأى آثار الترقى والمدنية حتى صار يعبر بلفظة (الاكوكا) عن البيض البرشت (المسلوقة) و (كوتالاتا) عن اللحم المشوي و (ماقارونيا) عن الكارونا وغير ذلك من اصطلاحات المطابخ ولكن معدته التي ليس لها استعداد لقبول التمدن لم تقدر على ترك اكل اللحوم والشحوم النيئة

هذا وكانت الاشغال آخذة في الاستمرار بعد نزول القافلة وكنت ترى بعض المكارين يشتغلون بتلميع جلود الاخشاب التي توضع على ظهور البغال بنوع من الحجر الطري ثم يطليها بالزيت حتى تستكسب شيئاً من اللذوقة والبعض منهم يخبز والبعض يحضر الخنادق على أطراف الخيم منعاً لدخول المياه اليها ليلاً . أما خبزهم فانه في غاية البساطة والسهولة فلا يعرفون تجهيز العجين وتخميره ولا يجعلونه قطعاً مستديرة بل يأخذ القائم بالخبز مقداراً من دقيق الدف السابق ذكره من كشكول ويضعها في قصعة خشبية أو غير خشبية ثم يضع الماء على هذا الدقيق بيد ويخاطه أو يعجنه مع الماء باليد الاخرى حتى يصير الدقيق كعجين الكثافة والقطائف وبعد ذلك يأخذ من هذا السائل مقداراً بيده ويقمه على الصاج (١) الموضوع على نار حامية ثم يجعل يطلي

(١) الصاج قطعة كبيرة من الحديد المرقق مستديرة محذبة توضع على النار فتحمى ويشوى عليها الخبز

الصاح طلياً حتى لا يتجمع الدقيق السائل في وسط الصاح وهكذا يخبز خبزاً غليظاً بقدر قطع القطائف ذا مسام كثيرة واذا لصق وجه العجين على الصاح يدخل الخبز عوداً من الشجر بين الرغيف والصاح ويرفع الوجه الملمصق ويقبله على الوجه الآخر . وعلى هذا المنوال لا يمضى قليل من الزمن الا ويكون تحصل على كثير من الخبز من غير عناء . والآن أصف لك كيف يأكل المكارون طعامهم : يضعون امامهم طعامهم وجهه من الغلغل الاحمر ويجلسون القرفصاء حول هذه المائدة ويضعون عليهم العباة أو الرداء الكبير المسمى (شحماً) حتى لا يراهم أحد و يأكلون بكل سكون وهدو من غير ان يسمع لهم صوت مستترين تحت هذا الغطاء . ولو لم أرهم بعيني وهم يستعدون للطعام لما كنت علمت انهم يتناولون طعامهم . وكيف يتسنى لي ان أعلم ذلك وليس امامي سوى غطاء كبير تحته أشباح تتحرك كأنهم حواة يقومون ببعض الالعب الغريبة . ولما سألت عن سبب ذلك قيل لي ان الاحباش يأكلون طعامهم تحت ستار حتى لا تراه عين فيصيبهم مصيبة من جراء ذلك . وكنت أرى الخادم عند ما يقدم لي شيئاً مثل القهوة أو الماء أو الطعام يخفيها تحت ذيله حتى لا يراها أحد كأنه مال مسروق وعند ما أتناولها ينشر رداءه امامي منعاً لرؤية الغير

ولما سممت من تكرر هذا الامر قلت للخادم يوماً ان العين لا تصيني لأنني أحمل في جيبى حجاباً وأن نظارتى تقوم مقام الحُرزة الزرقاء وأن بعض المشايخ كان قرأ على رقية تحميني من اصابة العين . فاقنع حينئذ أنى لا أختنق عند الاكل والشرب ومن ثم أصبحت حرراً في أن آكل وأشرب دون أن أتستر بذلك الستر هذا مع طلب أولئك الخدام والجنود الاحباش ان نأكل ولو داخل الصيوان ان لم يكن تحت الستر مع أن تناول الطعام في تلك الحقول الزاهرة والبرية الواسعة في ذلك الطقس الجميل والهواء المعتدل البليل يزيد الانسان نشاطاً ويفعم قلبه سروراً ويعطيه صحة وعافية فما أغرب عادات أولئك الناس وما أقبح بالبعقل الاستسلام لمثل تلك

و بعد الفراغ من تناول الطعام أخذت الحركة في القافلة نقل شيئاً فشيئاً حتى
 نام الجميع ما عدا الديدبان (الخفراء) القائمين بحراسة القافلة وإيقاد النيران حولها .
 وكنت كما استيقظت أنهض لأتحقق بنفسى ان كان الحراس قائمين بواجباتهم أم لا



يوم الاحد ١٦ مايس (مايو) مرحلة قارحة

يو يو يو ! — المطر الشديد في الطريق — رداء لاقاء المطر عند الاحباش — زيارة الحيوانات الكاسرة ليلاً —

ولما أصبح الصباح أخذ الرجال في نزع الصواوين وجمع الحقايب والحناديق استعداداً للرحيل أما أنا فاجتمعت مع بعض رفاقي وذهبت الى المطبخ وجلسنا الى النار لشرب القهوة وتناول قليل من مرق اللحم وكان الطاهي مشغولاً بوضع آنية المطبخ في الصناديق وكانت بقية من الحساء (الشوربا) باقية في القدر فأراد الطاهي صبها على الارض فتقدم اليه أحد الخدم وأخذ منه القدر وصبه في وعاء من القرع يستعملونه لحمل الماء بدل الجرة فالتف عليه الخدم والجنود وأخذوا يشربون الماء من القرع كل واحد بدوره وهم يرقصون ويفنون ويضحكون حتى نفذ ما في القرع ان الصغير في هؤلاء الخدام لا يقل عمره عن ١٩ سنة ومع هذا فهم كالأطفال ليس في قلوبهم أثر للغم ولا يزلون في ضحك ولعب بحيث لا يتركون من وقتهم ساعة تمر بدون ايجادهم سبباً للهزل وفي الساعة السابعة ونصف أتوا تحميل الاثقال وسارت القافلة قبيل الساعة الثامنة . ومن عادات المكارين هنا ان لا يركبوا بل يمشون ويحملون أيضاً شيئاً في أيديهم من متاع المسافرين أو السياح والناس المعروفون مثلنا لا يحملون أسلحتهم بل يحملها الخدام لهذا كان خدامنا يمشون امامنا وواحد يحمل السيف والآخر يحمل البندقية وغيرهم يحملون الماء والكؤوس والآنية التي يحتفظ فيها طعام المسافر الذي يحتاج اليه في الطريق (مطبقة) وحامل السلاح يمشي قرب سيده فاذا لاح له شيء من الطير أو غيره مما يصاد من الحيوانات يقدم له البندقية في الحال فاذا أصاب طيراً أو غيره يهرع الخادم اليه هو والشبان من المكارين فيأتون به

هذا ومن لم يجد منهم شيئاً يحمله يأتي عمود الخيمة ويرفعه على كتفه ويعلق في رأسه كوز الماء ويسير كأنه حامل علماً والقصد من ذلك ان يعود نفسه على حمل الاثقال ويخفف جانباً من الحمل عن بقله

وكانت الاراضي والمقول التي كنا نمر منها في غاية الخضوبة وقوة الانبات وكذلك الضياع والمزارع التي كنا نراها بكثرة تدل على نمو العمران كما هو الحال في كل أراضي هزر

وفي الساعة ١١ والدقيقة ٤٥ نزلنا تحت شجرة عظيمة وارفة الظل تشبه شجر الجوز وقشورها تشبه قشوره

ولورقه رائحة كرائحة ورق الجوز لذلك حكمنا على ان هذه الشجرة هي شجرة جوز برية . وكان عليا وعلى غيرها من الاشجار كثير من الطيور كالعصفور الاصفر المسمى (كاناريا) والبلبل والشحورور وكلها تغرد باصواتها الجميلة كما اننا سمعنا صوت طير غريب لم نسمع قط صوته قبلاً وكان يشبه نغم البيانو . ولم نر هذا الطير نفسه لانه كان مستتراً باغصان الشجرة الكثيفة وانما بالنظر لصوته الذي كان يصل الى مسامعنا كأنه يقول (ييو ييو ييو) سميناه طير (ييو ييو)

بقينا في هذا المحل نستريح الى الساعة الواحدة بعد الظهر ثم رحلنا بالبغال الحاملة للاثقال والصناديق تركناها ورائنا بالنظر لبطي سيرها وسرنا ومعنا الخدم والجنود فمرت البغال المذكورة بنا ونحن جلوس تحت الشجرة السابقة الذكر . وعزمنا ان نفعل هكذا من الآن وصاعداً

وبينا نحن سائرون في هذه الجهات غيمت السماء ثم أخذ المطر يسحّ مدراراً ويكاد البرق يخطف الابصار والرعد يصم الآذان ولم يلحق بنا ضرر من المطر لأن ا كسيتنا مستعدة لمثل ذلك ورأيت الخدام والعساكر تسيل مياه المطر من أطرافهم فملت لاحدهم أخشى ان تمرضوا من الرطوبة فاجابوا وهم يتسّمون اننا نبتل بالماء خمس مرات في اليوم وننشف خمس مرات اننا تعودنا هذا الحال . ينزل المطر فقتل

ملا بسنا ثم تطلع الشمس فتشفيها وصحيح ما قاله فان المطر يأتي في هذه البلاد فجأة وينزل بشدة غريبة وبعد نصف ساعة من الزمن نثشق السحب وتظهر الغزالة ومع ذلك كنا نرى بين المسافرين الاحباش من يستعدون بملابس خصوصية للمطر فالبعض يلبسون جوحاً ولباداً والبعض يلبسون مشعماً والبعض واضع على رأسه الكوكولانه والبعض على رأسه وظهره جلد نمر أما الكساء المصنوع لديهم من اللباد فلا يشبه ما نستعمله نحن في بلادنا بل هو أشبه بشكل مخروطي كبير له شق يمر من الرأس في الاوقات غير المطرة ويرفع قسم هذا الشق الى الورا، ويكون كراسية المشمع وعند نزول المطر تلبس هذه الراسية في الرأس وينزل الشق امام الوجه

وأما الاكسية المصنوعة من الجوخ أو القماش الذي لا ينفذ منه الماء فهي أحسن انتظاماً من الاولى المارذ كرها ويلبسها الاكابر وقد رأيت في هرر قينا زماج جنمي وغيره من الاكابر مرتدين بهذه الاكسية الماندة لنفوذ المطر الى الداخل . بعد ان سرنا نصف ساعة تحت المطر الشديد وصلنا الى مراعي واسعة فوجدنا مكارينا قد سبقونا اليها ونزلوا فيها . فوبختهم على نزولهم قبل الاوان ولكن ما الفائدة وقد سبق السيف العذل ونزعت الاحمال من على ظهور البغال ومن عادة هذه البلاد ان لا تعطي البغال وقت السفر عليقاً بل تأكل ما تجده في الطريق من الكلاء، ولذلك سكت مضطراً

وهذا المكان تحيط به هضاب جميلة ولكن كان كثير الرطوبة لذلك اضطررنا ان ننقل الخيام والصناديق الى محل آخر واقع على سفح هضبة تبعد عن المحل الاول بمسافة ٨٠٠ متر . ونقل الكارون الخيام والامتعة على ظهورهم حتى لا ينعنوا البغال من الرعي

ولما أرخى الليل سدوله أخذت الحيوانات البرية كالذئاب وابن آوى والضباع تحوم حول القافلة من غير ان تقترب منها ولكنها أزعجتنا طول الليل بصراخها وعويلها ، وقد أعطينا محلل نزولنا اسم مرحلة قارصة لقرها من ضيعة مسماة بهذا الاسم

يوم الاثنين ١٧ مايو (مايس) مرحلة بككا

موكب الحروق — انواع كثيرة من الشجر والطيور — المعز الذي يعزق الارض — تلة ن
من غير سلك — الزهور البرية — مناظر بديعة — فائدة الدواء المسمى (آني ديسا تريكوم) —
الزائرون في الليلة الماضية

قنا اليوم من النوم باكراً وبينما كنا نشرب القهوة وتناول المرق ونسرح الطرف
في تلك الحقول البديعة التي تحاكي الجنان وتأمل في طلوع الشمس اذ رأينا سرب
نساء من الغاللا يبلغ عددهن العشرين سائرات في الحقول البعيدة وصوت غنائهن
واصل الينا و بعد السؤال علمنا ان هؤلاء النسوة ذاهبات الى أشغالهن في الحقول .
وفي هذه الاثناء أشرقت الشمس من وراء الالكمة ونشرت أشعتها النيرة على نسيم
الصباح الرطب . فكان المنظر الحاصل من لطافة الهضاب والاكمت المحضرة كقطع
الزمرد ومن شروق الشمس وغناء النسوة السائرات في الغيطان بهيجاً بديعاً للغاية ليس
في قدرة أحد وصفه ما لم يكن شاعراً بليغاً أو مصوراً ماهراً . ويرى الناظر الى هؤلاء
النساء المكتسيات بجلباب بسيط الحافيات الاقدام المشيات على الحشائش الخضراء
ان صحتهن أجود بكثير من صحة بنات الحضرمترفات المتنعمت بلذائد التمذن
ولا أخطيء اذا قلت انهن أنعم بالآ وأسعد حالاً من هؤلاء التمدنات المنغمسات
بانواع الملاذ والنعم

وفي الساعة الواحدة تم تحميل الاثقال فقامت القافلة سائرة في طريقها . وهنا
يجب ان أشير الى صعوبة تحميل ما معنا من بعض الصناديق على البغال فانه كان
يستغرق اكثر من ساعتين لان المكارين كبقية أبناء جلدتهم لا يعرفون ما هو
الاستعجال فليس للوقت والزمان قيمة عندهم فاذا قلت لهم (هلموا استمعجوا) تراهم
يضحكون لهذه الكلمات ولا ينحرفون عما يعرفونه ولو تركناهم على حالهم وكسلهم

ولم نجبرهم على تحميل الاثقال امام أعيننا لقضي معظم النهار قبل ان تقوم من هذا المحل الذي أحبه المكارية لكثرة نباتاته وحشائشه .

بعد ان سرنا مدة في أراض مزروعة أخذنا تتسلق اكمت جبل (قلوبى)
فصرت أرى نفسي كأني في جبال سويسره أو جبال الاناضول (آسيا الصغرى)
وغاباتها وكنا نرى من أشجار الراتينج والصنوبر ما يزيد طولها عن ٢٥ متراً ومن
أشجار العفص ما ينيف طولها على ١٥ متراً ومن أشجار الزيتون والجوز ما يزيد
جسامته عن جسامته الدلب . والارض تحت هذه الاشجار مستورة بطبقة خضراء
من الحشائش كالزمرد . هذا غير الاشجار الغريبة الجنس التي ما كنا لنعلم أسماءها .
وأصناف الطيور التي تتطاير على أغصان هذه الاشجار كثيرة كأصناف الاشجار وكلها
تفرغ باصواتها اللطيفة وبالجملة فكان يد القدرة خلقت هذه الغابات لتكون معرضاً أو
انموذجاً للاشجار والطيور

وما كنا نحتاج لفتح المظلة بالنظر لعدم نفوذ أشعة الشمس التي كنا لا نراها
الا من خلال الاغصان من حين الى حين
وبعد أن سرنا ثلاث ساعات ونصف وكنا قد خرجنا في طريقنا من الغابات
قليلاً ودخلنا بين حقول ذرة نزلنا تحت بعض أشجار الراتينج وجلسنا على الطنافس
التي كانت معنا فتناولنا طعامنا في هذه الروضة الطبيعية . وكنا نرى كثيراً من المعز
ترعى بين هذه الحقول والغريب من هذه المعز أنها لا تمس الذرة وعيدانها بل تأكل
كل ما تجده من الحشائش الطفيلية النامية من نفسها بين الذرة . وبذلك ترعى
وتتغذى من جهة وتخدم الحقل والزرع من جهة اخرى . وقد علمت ان هذا الجنس
من الماشية قد تعود ذلك . كنا نتناول طعامنا وتأمل أسراب المعز بين حقول الذرة
وقطعان البقر والغنم والحير التي كانت ترعى في المراعي الطبيعية ونسرح الطرف في
الاشجار وما عليها من الطيور الغريبة الاصناف وتفرج على نفر من أولاد الفاللا كانوا
يسبحون في بركة ماء قريبة منا

و بينما نحن كذلك اذ مرّ بنا قافتان الواحدة آتية من آديس أبابا وذاهبة الى الساحل والاخرى آتية من هرر وذاهبة الى العاصمة . وكان محمول القافلة الذاهبة الى آديس ابابا عبارة عن ألواح من معدن الزنكو ذات تكاسير يصنع في اوروبا لتغطية سطوح المنازل مع كثير من القضبان الحديد . لان الناس في آديس ابابا أخذوا يبنون المنازل على الطراز الحديث فصاروا يغطون سقوف المباني بالألواح المعدنية بدلاً من الحشائش والاغصان اليابسة وقد رجحوا هذا المعدن لخفته . أما القافلة الآتية من العاصمة فانها كانت تحمل حاصلات وطنية مثل العاج وجلود الحيوانات وشمع العسل وما أشبه . وسمعنا شخصين يتكلمان بأعلى أصواتهما الواحد من اكمة والاخر من اكمة أخرى وكان بين الاكمتين مساحة لا تقل عن الساعة . وتوجد هذه العادة في جبل لبنان أيضاً حتى ان سكان هذا الجبل يكلم بعضهم بعضاً من مسافات أبعد فالأحباش بواسطة هذا التلفون اللاسلكي ينقلون الاخبار من اكمة الى اكمة ويوصلونها الى مسافات بعيدة

مكثنا هنا مقدار ساعة ونصف تناولنا في خلالها طعامنا وسرّحنا الطرف في مناظر الأطراف البعيدة واسترحنا ثم استأنفنا السير وعدنا للتسلق على الاكمت وكانت الاشجار تكبر وتتكاثف كلما تقدمنا الى الامام حتى ان الاغصان وأوراق الشجر الكثيف منعت نفوذ أشعة الشمس فاحتجبت عنا . وبعد قليل مررنا من شمال ذروة جبل قلوبى الشاهق وعلى حدائه ورأينا منزلاً مشيداً على القمة هو للرأس ما كونه . ولهذا الرأس كثير من هذه المنازل بناها في المحلات الجميلة الواقعة تحت ادارته بين عاصمة الحبشة وبين هرر حاضرة ولايته لتكون معدة لتزوله فيها في أسفاره الى آديس أبابا او وقت خروجه الى الصيد والقتص او عند تجواله في ولايته ليستطلع أحوالها ويحقق امورها . ويوجد في كل منزل من هذه المنازل بضعة خفراء لحراسة المحل وفي بعض المحلات المساعدة يتبع المنزل مزرعة الرأس أيضاً

وقد بلغنا في صمودنا هذا ٢٥٠٠ متر من الارتفاع عن سطح البحر فكنا عند

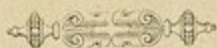
ما يقل تكاثف الاشجار وننظر من جهة يميننا نرى على مد البصر صحاري عبسسا ودانقالي المنتهية لسفح جبل قلوبى الذي نحن عليه . وكما شاهدنا هذه المراعي المنحطة كنا نعلم اننا ارتفعنا جداً عن سطح البحر . وكان طريقنا عن اليمين وعن الشمال مزيناً بالازهار البرية على الاخص نوع من الياسمين البري المتساق وله رائحة حادة مسكية يعطر مشامنا

وما كنا نراه على طريقنا من بقع من الغابات التي اكلتها النيران وأتلفت ما فيها من الاشجار يدل على ان سكان هذه الأرجاء لا يعرفون مقدار قيمة الثروة الطبيعية التي يملكونها وكنا نصادف في طريقنا أسراب طيور تسمى (بييج) وهو بجسامة ديك الرومي فاصطدنا منها جملة

☆☆

وصلنا الى بقعة خضراء محاطة بهضاب مستورة بأشجار الراتينج وعلى أطرافها كثير من الحقول المزروعة ذات منظر بهيج وكانت الاكمت المغطاة بأشجار الراتينج قائمة الواحدة تلو الاخرى كدرجات سلم ترتفع كلما بعدت عنا . نزلنا في هذا المحل وبعد ترتيب محل القافلة بساعة وصل (الدورغو) فاستلمها ابو بكر بكل عظمة من غير أن يخبرني هذه المرة وبعد أن عاين ما ورد من المأكولات توجه الى الشوم (العمدة) فتعطف بملاطفته وفي هذا المحل أصيب أحد مكاريتنا بالآلام شديدة في معدته لكثرة ما اكله من اللحم او الشحم النيء على ما أظن وصار يتمرغ فوق التراب من شدة الالوجاع . فذهبت وأحضرت له قدحاً من الأدوية التي كانت موجودة في أجزاياتي النقالة فشربها وبعد قليل زالت عنه الآلام واستراح ولكن أصابه اسهال شديد ما قدرت على قطه الا بواسطة حبوب (ديسانتريكوم) التي كنت أحضرتها معي . وقد جربنا هذا الدواء في كثير من أنواع الاسهال الشديد والديسانتري فرأينا منه خاصية شافية خارقة للعادة فأوصي كل من يصاب بهذه الامراض ان يستعمل الحبوب المار ذكرها

إذا أصيب أحد اهالي هذه البلاد بمرض يرجع الى عناية الرجل الابيض لأن
 الابيض في نظرهم طيب وجراح ومقدر على كل شيء ، ومع ذلك كله فانهم يكرهون
 لونه واذا غضبوا عليه يسبونه قائلين (تاج اولاج) اي المملوك الابيض . وبالجملة
 ان لون الابيض مكروه جداً خصوصاً عند السود من اهالي أواسط افريقيا لعدم
 ألفة أبصارهم هذا اللون فيظن البعض منهم ان الانسان الابيض انما ابيض لأنه
 ولد من غير أوانه أي قبل ان ينضج في بطن أمه والبعض منهم يذهب الى ان البياض
 في الرجل الابيض ليس هو الا نتيجة مرض أصابه فغير لونه الاسود الطبيعي
 هذا وقد زادت جراءة الضباع هذا المساء حتى صارت تحوم حول منزل القافلة
 ونحن جلوس على المائدة واقتربت من القافلة جداً حتى لم يبق بيننا وبينهم الا قدر
 عشرين متراً فقط وكانت أصواتها المزعجة واصلة الى السماء كل ذلك مع وجود
 النيران الموقدة على أطراف منزل القافلة . وأخذ الحراس طول الليل يطردونها بالعصي
 كما يطردون الكلاب ولما طال هذا الحال خرجت من خيمتي وأطلقت البندقية مراراً
 فابتعدت عن القافلة ولكننا كنا نسمع طول الليل أصواتها حتى مطلع الفجر . ويظهر
 انها كانت تنتظر رحيلنا من هذا المحل حتى تأكل ما تجده من فضلات القافلة



يوم الثلاثاء ١٨ مايس (مايو) مرحلة جالتقو

القرود — حمل الاولاد في الكيس

بينما كنا في الصباح تتيماً للرحيل اذ وفد علينا رجل ممتطياً بغلة وعلى جنبه سيف
قرايه من القטיפه ووراءه خادمان ووقف امامنا وبعد ان انحنى مراراً للتسليم علينا
قال انه هو الاتومجي وانه يرجونا الذهاب لعنده لننزل ضيوفاً عليه هذا المساء
فشكرناه على انسانيته هذه واعتذرنا اليه وبعد ان ودعناه استأنفنا السير في الساعة
الاولى واخذنا نصعد جبل (ايللا تككي) ونسير بين ادغال وغابات كثيفة جسيمة
جميلة جداً مهما وصفها الانسان لا يقدر على وصفها حق الوصف . ورأينا في هذه
الغابات قطعاناً كثيرة من القرود تثب من شجرة الى أخرى وتصوت بأصوات عجيبة
وتنظر الينا بنظر غريب . والحاصل اننا قطعنا المسافة من هرر الى هنا كأننا سائرون
في بستان واحد او مزرعة كبيرة . ولولم تكن وعورة المسالك وطلوعها ونزولها لما كان
هناك شيء يشكو منه المسافر وكل البلاد التي مررنا بها آهلة بالعالم وزاهية بأثار
العمران

ومع نظافة غابة (ايللا تككا) هذه وجمالها فان لها من الاخطار ما يدهش
الانسان فان الانسان اذا حاد عن الطريق يئمة او يسرة ودخل بين الادغال يقع
في تهلكة الحيوانات الكامرة كالأسود والنمور وما أشبه
أما الاسود والنمور فكأنها تعرف ان جلودها مما يرغب فيه لذلك تراها لا تخرج
كما تخرج الحيوانات الصغيرة الاخرى الا نادراً بل تكن في نقطة من الطريق بين
الادغال والاعصان والنباتات حتى اذا مرّ شخص وحده تهجم عليه وتفترسه ثم
لانها تذهب الى موارد الماء ليلاً لتبتعد القوافل دائماً في منازلها عن ينابيع الماء والانهار

وصادفنا في هذه الغابة قافلة ذاهبة الى ههر حاملة كثيراً من البن
و بعد ان سرنا ساعتين نزلنا في بقعة تشرف على مراعٍ واسعة ومروج زمردية
اللون من كثرة الاعشاب والحشائش وجلسنا على الطنافس التي فرشت تحت الاشجار
الجسيمة نستريح قليلاً و بينما كنا تتناول طعامنا اذ مر بنا بضع نسوة فاستوقفت
نظري مخلاة معلقة على ظهر احداهن وفيها طفل صغير فعلمت ان النساء الحبشيات
يحملن صغارهن على ظهورهن ضمن مخلاة ولا يفارقهم قط في ذهابهن و اياهن
وقيامهن وجلسهن

وعلى هذا المنوال ينمو الطفل على جسم والدته كما ينمو العنصر الصغير على الشجرة.
والناظر لا يرى من الطفل سوى الرأس الذي لا تؤثر الشمس عليه قط مع ان الابيض
لا يقدر على الوقوف في الشمس خمس دقائق من غير مظلة . لان شمس هذه البلاد
مؤثرة جداً فاذا أصابت الانسان بضربة منها يتهب الدماغ ويقضى على المصاب
في الحال . واذا بكى الطفل اثناء سير الأم فانها تسحب المخلاة اما على اليمين أو على
الشمال وترضعه وهو في كيسه و بعد الفراغ من ارضاعه تنتفض فتذهب المخلاة الى محلاها
القديم على ظهر المرأة

سرنا بعد الطعام مسافة ساعة ثم وصلنا الى مرجة خضراء واسعة تدعى جالنتو
تحيط بها هضاب ذات اشجار كثيرة ونزلنا بها وقد كان عبد الله الذي مر ذكره
انهزم في حربه مع الاحباش في هذا المحل . ورأينا طابية حربية باقية من زمن
المصر بين مبنية على اكمة واقعة ازاء هذا المحل . وهنا قام الاتومجبي باكرامنا غاية
الاکرام . وقد أخذ البرد يشتد ليلاً يوماً عن يوم حتى اني اضطرت ان أدفأ داخل
الخيمة بالنار لأزيل الرطوبة فكنا نشعل الحطب خارج الخيمة حتى اذا صار جراً
ندخله الى الخيمة . وقد أزعجتنا الذئاب والضباع بصراخها وعوائها طول الليل ولكن
أخذنا نتعود ذلك كما يعتاد الانسان عواء الكلاب

يوم الاربعاء ١٩ مايس (مايو) مرحلة دررو

بوركا — فتك الوباء البقري — التلفون والتلغراف — طعامنا

ولما أصبحنا أخذنا في الاستعداد للرحيل وسامنا الصناديق والحقائب للمكارية
وقمنا في الساعة الثانية عشرة عربية وصرنا نسير تارة بصعود وطوراً بنزول الى ان
قطعنا مرجة واسعة وكانت المناظر جميلة جداً كالسابقة من حيث الاشجار الجسيمة
ذوات الظل اللطيف والمراعي الواسعة والسفوح المزروعة وما فيها من الحيوانات الالهلية
والقوافل السائرة ذهاباً واياباً

وتسمى هذه الارض التي تقطعها الآن (بوركا) وكانت قبلاً اكثر عمراناً
وسكاناً ولكنها فقدت جانباً عظيماً من عمرانها وسكانها من فتك الوباء البقري الذي
كان تفشى في البلاد الحبشية عام ١٨٩٠ وأورث البلاد خسائر جمة . وكان أول
ظهور هذا الوباء القتال في ولاية تيفري وسرى الى جميع الاقطار الحبشية ما عدا بعض
المحلات (و بوركا) هذه هي المقاطعات التي فتك فيها فتكاً ذريعاً وأباد جميع أبقارها
فلم يجد السكان المواشي اللازمة لحث حقولهم وزرعها . فقامت الحكومة في السنة
الاولى ببعض ما يلزم من الحبوب لمعيشة الناس ولكنها لم تقدر في السنة الثانية على مد
يد المساعدة لهم فلذلك أصابهم القحط وبسبب الجوع تفشى مرض التيفوس والجديري
والكوليرا فابادت كثيراً من السكان حتى اني سمعت من بعضهم بان الذين سلموا
من الامراض كانوا ضعافاً نحافاً حتى ان الاسود والنمور والذئاب كانت تهجم على
القرى وتفترس الرجل امام بقية السكان ولا يقدر أحد من هؤلاء على المدافعة لعجزهم
وبعد ان سرنا ثلاث ساعات نزلنا تحت ظل بعض الاشجار وتناولنا طعامنا

والطيور تشنف أسماعنا بالخانها حسب المعتاد . واسترحنا مقدار ساعة ثم استأنفنا السير الى ان وصلنا الى (دررو) . وهذا المحل واقع على اكمة خضراء كسائر الهضاب التي مررنا بها مستورة بالاشجار . وقد وجدنا هنا مركزاً للتلفون وترتبط هرر بشعر جيوتي بواسطة سلك برقي (تلغراف) من جهة وبعاصمة الحبشة بسلك آخر من جهة أخرى . ويوجد في مكاتب آديس أبابا وهرر وجيوتي البرقية عدد للتلفون غير عدد التلغراف وبذلك يتسنى للاهالي وخصوصاً للتجار ان يكلم بعضهم بعضاً عند ما يكون الجو صافياً والطقس مساعداً وأما المراکز الصغيرة الموجودة بين المدن الثلاث المذكورة فليس فيها سوى عدة تلفون فقط وفي كل مركز يوجد موظف . ومن شاء ان يكلم أي مركز من مراکز التليفون فما عليه الا ان يدفع ريالاً واحداً لمدة عشر دقائق

وإذا لزمتم المخاطرة بالتلغراف بين المدن الثلاث المارذكرها فان المأمورين الموجودين بمراکز التليفون المتوسطة تفتح لها طريق المخاطرة ومع ذلك فان المخاطرات ليست على ما يرام من السهولة بعد المسافة ولعدم اطراد الطقس والجو قرب آديس أبابا وكثرة حدوث الانواء الشديدة وسأذكر مكتب التلغراف وأصفه باسهاب بعد وصولنا الى آديس أبابا وزيارة هذا المكتب

أما مركز التلفون في هذا المحل فانه عبارة عن كوخ مثل سائر الكواخ الاحباش جدرانه الاربعة البالغ ارتفاعها أربعة أمتار مبنية من أشجار شائكة (سياج) على شكل دائرة وأركز عمودفي وسط الكوخ كهمود الخيام ومدد من هذا العمودعواميد أخرى واصلة الى الحائط وربطت مع بعضها بخيوط مصنوعة من النباتات المعرشة وغطي هذا السقف بالنباتات والحشائش الرفيعة ويشبه هذا الكوخ في شكله خيمة ذات أطراف واسعة وللكوخ أطراف بارزة من الأعلى لمحافظة الحيطان وباب يعلق ويفتح

والارض في داخل الكوخ مفروشة بالنباتات والحشائش اليابسة حيث يوجد

مقعدان الواحد لجلوس الشخص الذي يريد التكلم والآخر لمستخدم المحل
ويرى الداخل الى الكوخ في ركن من أركانه كثيراً من الاسلاك والفناجين
المصنوعة من الخرف الابيض لوضعها على رؤوس العواميد لابعاد التيار الكهربائي عن
كل ما يلامسه

وبعد ان قضينا ردها من الزمن بالكلام وتناولنا عشاءنا انسحبنا الى خيمتنا
للراحة والنمام . ربما يوجد بين القراء من يسأل عما كنا نأكله في طريقنا لذلك
رأيت ان أدرج هنا أسماء الاطعمة التي كنا نتناولها :

كان طعامنا وقت الظهر يؤخذ من طعام المساء ويوضع في المطبقيات (طاسات)
وهكذا يحفظ لليوم الثاني . أما طعامنا هذا فكان مؤلفاً من شوربة عدس وكستلتنا
من لحم الضاني بالبطاطس ودجاج ممجرو كفته شامية (كيبه) محجرة وخشاف البرقوق
وزيتون وجبنه



يوم الخميس ٢٠ مايس (مايو) مرحلة (طولالو)

حفظ المرائع في الطريق — الآتية الموضوع فيها الذخائر — القرى في هذه الجهات — المطر الشديد — رحلة الرأس من محل الى محل — الاكواخ الوقوتية —

لم يمر من الليل قليل حتى علمنا من شدة البرد اننا في ارتفاع زائد جداً عن سطح البحر ولما أصبحنا وجدنا ضباباً كثيفاً غطى كل الاطراف حتى ان الانسان يستحيل عليه ان يرى امامه من مسافة عشرين متراً . وقام المكارية الذين كانوا عكوفاً امام النيران المشتعلة يديرون ثارة وجوهمهم الى النار وطوراً ظهورهم ليدفئوا أنفسهم وأخذوا يحملون الاثقال ولما كملوا تحميلها سارت القافلة وكان وقتئذ قد اتسع الضباب قليلاً . وانحدرنا من الجبل الواقع عليه (دررو) ومشينا في صحراء (بوركا) مدة ساعتين . وهذه الصحراء مستورة كلها بالخضرة والاكمت والجبال المحيطة بها كانت مزينة بالأشجار . وفي منتصف الساعة الرابعة وصلنا الى نبع ما يسمى (بوركاماچللا) وقد وجدنا هذا المحل من الأطف ما يكون وهو واقع على سفح جبل وينابيع الماء الصافي تحت ظل الأشجار الكبيرة تشكل حوضاً طبيعياً . ولكن ويا للأسف لم تقدر على النزول او الوقوف هنا لاننا وجدنا الماء معكراً تعكيراً شديداً من كثرة الجواميس النازلة تستحم فيه والنساء الحبشيات اللاتي ينسبن ملابسهنّ وحوامجنّ وصار الحوض كأنه بركة من طين فاضطررنا ان نبتعد وننزل تحت أشجار واقعة على بعد ٣٠٠ متر من هذه الينابيع . ولم تكن المرائع التي امامنا عارية من الشجر بالمرة بل كانت الاشجار ترى فيها متفرقة هنا وهناك وفي بعض المحلات كانت آخذه هيئة غيضة كبيرة . وكان على الشجرة التي نزلنا تحتها سرب من التسور العظيمة يبلغ عددها عشرين او ثلاثين وتناولنا طعامنا واسترحنا قليلاً وكان في مائدتنا زيادة على المأخوذ

من طعام مساء البارحة عجة لطيفة عملها الماچ يوسف . وهذا الطاهي ما كان يذهب معنا كسائر الخدم بل كان يسير وراءنا راكباً بغلة واذا نزل لاجل الغداء ينزل حالاً ويضرم النار ويقوم بكل ما يلزم لاحضار طعام الغداء لنا وكما نزلنا للغداء ندع البغال تسرح في تلك المراعي التي لم تنقطع الى الآن على طول الطريق

وبعد استراحة ساعة واحدة استأنفنا السير ووصلنا الى نهر آخر يسمى كسابته (بوركا) ايضاً . وكان لجريان ماء هذا النهر خرابير عظيم لشدة ميل مجراه وأحدار المياه منه وهي تكفي لادارة بضع أحجار طاحون وتبعنا مجرى الماء المذكور مدة نصف ساعة ثم قطعناه عرضاً الى الضفة الاخرى وأخذنا نصعد الى الكمة (طوللو) التي ستكون مقر القافلة في مرحلتنا هذه وبلغناها في الساعة السابعة ونصف وكان ارتفاعها عن سطح البحر (٢٢٠٠) متر . وبعد ان ضربنا المضارب أخذنا نتفرج على الاطراف ، ونسرح الطرف في الاكناف ، التي كانت عبارة عن زمردة خضراء والمراعي الجميلة ترح فيها قطعان مواشي الضياع القريبة منها وتسرح . ولم تكن منازل القرى هنا ملتصقة بعضها ببعض بل كانت الاكواخ متبعثرة ضمن الاشجار بين الواحد منها والآخر مسافة كبيرة . واكواخ قرية (طوللو) ليست كسائر الاكواخ ترى من بعيد بل لا تظهر للعين الا بعد أن يصير المسافر بجانبها وذلك لاختفائها بين الاشجار

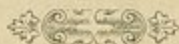
كان طول النهار يوجد ثقل شديد في الطقس والجو مما يدل على قرب سقوط المطر وفي الواقع قرب الساعة التاسعة سحّ المطر والبرد مدراراً . وكانت الخيام الموجودة معنا التي اشتريناها من الاستانة مبطنة من الداخل ببطانة قوية وغيظة وقد كنا أخذناها على شرط ان لا ينفذ الماء منها ولكن لشدة أمطار هذه البلاد لم تكن تكفي لمنع دخول الماء الى داخل الخيمة بل في برهة قليلة أضحت كبركة ماء ويجب علينا ان تعمل جفاء الطبيعة هذا كما كنا تتمتع بصفائها ولطافة مناظرها

كنا نرى قطعاً من الغزلان يرعى على الجبل الواقع امامنا وكانت هذه الحيوانات على غاية من الخوف والوجل لانه كان الرأس ما كون قدمراً من هنا قبل أسبوعين فاحاطت رجال حاشيته بهذا الجبل وطردها الغزلان منها الى السهل واصطادوا ١٥٠ منها فالباقي كان لذلك وجلاً جداً . وعند ما يقوم أحد الرؤوس في البلاد الحبشية راحلاً من محل الى محل ينضم اليه سكان البلاد التي يمر منها نساء ورجلاً كباراً وصغاراً وعلى هذا المنوال يجتمع بميته ألوف من الناس وزد على ذلك الذين يأتون الى قافلة الرأس كل يوم مساء (بالدورجو) أي الاتاوة بقطعانهم وحيواناتهم وذخائرهم فمن ذلك يكون محل نزول الرأس كمحشر . وليس لهؤلاء الناس خيام سوى بعض أفراد من أكبر رجال الرأس وأما الباقون فانهم يصنعون لانفسهم اكواخاً في غاية البساطة من بعض أغصان الاشجار يفرزون أسفلها في الارض على شكل دائرة صغيرة . ثم يوصلون القسم الأعلى من الاغصان مع بعضها فيربطونها معاً ثم يغطون أطراف الكوخ وأعالاه بالنباتات المجففة . ويسهل جداً لكل واحد صنع كوخ في الحال لكثرة العابات والاحراش . وعند قيام القافلة وتحركها تبقى تلك الاكواخ على حالها . لذلك كنا نرى على طريقنا كثيراً من هذه الاكواخ الحالية المتروكة في المحلات التي نزل بها الرأس المشار اليه

هنا وقف أحد المكارين وأخذ ينادي بأعلى صوته رجلاً كان على مسافة بعيدة قائلاً « بوغا كي بوغا كي بوغا كي هو » وكما كرر الاسم ثلاث مرار يأتي بكلمة هو مرة فذكرني هذا النداء العادة المتبعة عند نساء الاستانة حيث تقول احدهن عند ما تنادي جارتها (فلان هانم هو) وأظن ان هذه القاعده أتت بها الجوارى الحبشيات ولقبتها السيدات في الاستانة

استمر نزول المطر ساعة ونصف ثم انقطع فتمكنا حينئذ من القيام بامور المطبخ وكان هذا المساء طعامنا شوربة ارز ودجاجاً بالبسلة ومحمّر الطير المعروف باسم (طرغل) ومقارونا مصنوعة مع البطاطس وكبد الدجاج ومنقوع القمر الدين . وقد ورد لنا

هذا المساء قصب سكر مع الدورغو
وكانت الرطوبة شديدة جداً حتى اني اضطرت ان أدخل الخيمتي من جمر
النار لازالة الرطوبة والتدفئة من شدة البرد وقد زدنا هذه الليلة اضرام النيران لكثرة
الوحوش الكاسرة في هذه الارحاء وكنت قلما أصحو من النوم ليلاً الا وأحرق نفسي
هل النو بتجية قائمون بوظائفهم أم لا



يوم الجمعة ٢١ مايس (مايو) مرحلة ديه سو

قرود ذات شعر — سقوط الخيمة علي

ولما أصبحنا أخذنا نستعد للرحيل وسلمنا الصناديق الى المكارية الذين كانوا يحملون الاثقال بين ضجيجهم الذي لانهاية له . وبعد اتمام التحميل أخذنا في السير وكنا نلاحظ ان القرى والاراضي المزروعة كانت ثقل شيئاً فشيئاً اعتباراً من (دررو) وكنا نسير كالسابق بين الأدغال والغابات والوديان والهضاب والحزون ووصلنا الساعة الثانية الى غابة كثيفة جداً ذات أشجار مرتفعة وفيها صادفنا صنفاً من القروود غريب الشكل له شعر كشعر المعزى ولذلك يسميه سكان هذه الجهات أبو شعر وأما اسمه بالحبشية فهو « وانى » وقد ضرب يس جاويز قرداً بيندقيته ولكن لم تقدر على الوصول الى المحل الذي وقع فيه لكثرة الشوك ولما سمع القروود صوت الطاق الناري أخذت تهرب وتقفز من شجرة الى شجرة وهي تنظر الينا وصادفنا اثناء سيرنا في الغابة قوافل تحمل العاج وشمع العسل والجلود وبعد سير أربع ساعات قطعنا فيها التلال والوديان والغابات وصلنا الى صحراء واسعة تسمى هرنا تحيط بها هضاب ويمر منها نهر يسمى باسم المحل نفسه يكفي لادارة حجر طاحون وكان يرى منها بحيرة (هرنا) الواقعة على طرف من أطراف الصحراء . وهذا المحل يعلو ١٨٣٠ متراً عن سطح البحر

نزلنا تحت شجرة وتناولنا طعام الغداء وبعد ان استرحنا ساعة استأنفنا السير مصعدين على هضاب مرتفعة وقد بلغنا في الساعة الثامنة محلاً مرتفعاً جداً يسمى (ديه سو) . والناظر من هذا المحل يرى امامه منظراً واسعاً ولطيفاً جداً . فكان على الشرق جبل فوقه المستور بالغابات والاحراش الخضراء وعلى الغرب صحارى واسعة

ذات تلال منخفضة ووديان ويرى من هذه الجهة بالافق جبل (عصوت) الاكثر
ارتفاعاً في هذه البلاد بمعظمته الكاملة

كان طعامنا هذا المساء شوربة الارز ومشوي لحم العجل بالبسلة وكفتة البرغل
وارز مقلل ونوع من الحلوى يصنع من العجين والعلسل والبيض
وفي الليل هبت زوبعة شديدة ونفخت الخيام كما ينفخ الريح قلع السفن ولم
يمض الا قليل حتى سقطت خيمتي علي وأنا فيها فازعجت طول الليل ولكن من حسن
الحظ ان المطر الذي كان مصاحباً للزوبعة لم يكن شديداً كهبوب الرياح



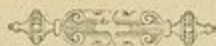
يوم السبت ٢٢ مايس (مايو) مرحلة قونني

صاعقة خفيفة كضربة كبرياج — المطر ، العطين ، الرطوبة ، البرد — على ارتفاع ٣٠٠٠ متر
عن سطح البحر

قنا الصباح في الساعة الثانية عشرة نسير في طريقنا و بعد ان انحدرنا من هضبة
وتسلقنا أخرى اكبر من الاولى نزلنا تحت شجرة جميز للاستراحة قليلاً وتناول الطعام
وهنا علمت سر ربط الاحمال ربطاً محكمًا يلتصق في جسم البغل حتى يكون كقطعة
منه وسبب ذلك كثرة الصعود والتزول وشدة ميلانها ومرونة الاراضي المار منها
الطريق حتى ان البغل بعد سير أربع أو خمس ساعات في اليوم تنهك قواه فلا يعود
يقدر ان يستمر على السير وكثيراً ما رأيت البغال تصعد أو تنزل من انحدار يكاد
يكون أصعب من صعود أو نزول سلم

استرحنا هنا تحت الشجرة ساعة ونصف وعدنا لقطع التلال والا كمت صعوداً
وانحداراً الى ان وصلنا الى قرية (فوني) الكائنة على دورة جبل شامخ . ويرتفع
هذا المحل عن سطح البحر ٣٠٠٠ متر ولكن الاشجار على أطراف واكفاف العزبة
كانت تكسر شدة الهواء البارد واستمر المطر الذي كان آخذاً في النزول ونحن في
الطريق مدة ثلاث ساعات مع صواعق كثيرة فلم تتمكن من ادارة المطبخ . وقد
أصابني صاعقة خفيفة على رأسي أثرت على رأسي كضربة كبرياج واستولى على جسيمي
رعشة شديدة وهي أشد من صدمة كهربائية تلقى على التلامذة اثناء دروس الحسكة
الطبيعية . وكانت يدي المظلة فاظن ان هذه الشرارة الكهربائية جذبت الي بواسطة
الحديد الرفيعة الموجودة على قضيب المظلة وبعد انقطاع المطر أخذت الحياة تدب
في القافلة حيث تمكنا من ادارة أمور المطبخ وغيره وأضرنا النيران وصار كل
منا يؤدي وظيفته

وكانت الخيام مبللة بالماء والنباتات غارقة بسيول الامطار . وكان شوكت افندي
الذي كثر اشتغاله بيننا فانه مع كثرة الوحول والسيول والامطار ذهب واصطاد بضعة من
الطيور فوجد بذلك بين تمام المساء من لحوم الصفاري والسمان والدجاج البري .
وكان داخل الخيام في الليل رطباً وبارداً حتى اني اضطرت ان اضع الماء العالي
ضمن قناني وأدخلها معي في الفراش لتدفئتها . نحن الآن على ارتفاع ٣٠٠٠ متراً
من سطح البحر



يوم الاحد ٢٣ مايس (مايو) مرحلة بددسا

تناوت طلوع الشمس — الطيور الموسيقية — والفرد البهلوانية — صداة الارقاء — البغال
تخدمها الطبيعة — الكي — ذلك الحيوانات — أنا طيب — أجناس من الفراش — تعدي
الطيور الجارحة على البغال المخرجة — خفة الاحباش

وعند الصباح أعطينا أمتعتنا للكارية وقنا نسير في الساعة الثانية عشرة وإلى
يومنا هذا ما تمكنا من القيام قبل هذا الميعاد . وربما يوجد من يرى قيامنا في الساعة
المدكورة في شهر مايس (مايو) متأخراً جداً . أذان اليوم تشرق الشمس في الاستانة
في الساعة ٨ والدقيقة ٥٤ على انها تشرق هنا في الساعة ١١ ونصف . وهذا الفرق
ناشيء من كوننا موجودين في جنوب القسم الشمالي من الكرة الارضية لذلك ترى
هنا الليل والنهار متساو بين ثقباً

أخذنا عقب قيامنا نسير بانحدار من جبل (قوني) وقطعنا غابة عظيمة طبيعية
(أي انها نمت من نفسها) في مسافة ساعتين وكانت أشجار هذه الغابة المؤلفه من
أجناس مختلفة تمنع نفوذ أشعة الشمس من الوصول إلينا لكثافة الاشجار والاعضان .
وكنا نرى على طريقنا دائماً أسلاك التلغراف والفناجين البيضاء المصنوعة من الصيني
لابعاد التيار الكهربائي مربوطة بالاشجار بدلاً من الاعمدة . وكنا نسمع طول طريقنا
تغريد ألوف من الطيور المختلفة الاصناف كما اننا كنا نرى كثيراً من القروذ ذوات
الشعر الطويل المار ذكرها تقفز من شجرة إلى أخرى كأن الطبيعة جعلت تغريد
الطيور مقام جوق موسيقى والقروذ جوق ألعاب بهلوانية . والطيور التي كنا نراها
أكثر من غيرها هي صنف منقارها وطرف عينها أحمر ونصف جناحها اسود والنصف
الأخر بلون الاحمر القاني وهي بحسامة الحمام نشبه البيغاء تطير باسراب من شجرة
إلى شجرة . وقد ضرب شوكت أفندي واحدة منها يندقيته ولحم هذا الطير لا يؤكل

لذلك منعت شوكت أفندي من صيد هؤلاء الطيور ثانياً وقد حفظ هو أجنحة الطير
المضروب الذي كان في غاية الجمال ويليق ان يوضع على برانيط السيدات للزينة
وفي الساعة الثانية أخذت الاشجار ثقل بنسبة تقر بنا الى سفح الجبل وفي الساعة
الثالثة وصلنا الى الوادي القائم بمتهى الجبل من هذه الجهة . ويوجد هنا نهر تكفي
مياهه لادارة حجرين طاحون ويسمى (بوراما) باسم المحل الجاري فيه . وصادفنا
في طريقنا امرأة ذاهبة من قرية الى قرية أخرى وقد وقف بفعلها الحرون بها لا يخطو
خطوة الى الامام ويظهر انه جفل من شيء رآه في طريقه . وكانت المرأة تكلم البغل
وتقول له بعض كلمات بلسانها . ولدى السؤال عما تقوله علمت انها تستعطف البغل
مخاطبة اياه بهذه المكلمات (برأس أليك وأملك لا نعتبني . بربك أيها البغل امش)
لذلك وقفنا قليلاً وساعدناها على اكراه البغل على السير فصار . وبعد هذه المرأة
رأينا عبداً مغلولاً بالحديد كان أبق من عند سيده فاخذنا ثانياً ليعاد الى منزل
سيده . والرقيق في هذه البلاد ممنوع رسماً ولكن قلما يعملون بهذا المنع ولكن اخراج
الرقيق الى البلاد الاجنبية ممنوع حقيقة بالفعل . ولا يوجد في داخل البلاد الحبشية
من لم يكن عنده عبيد أرقاء حتى ولو كان من المتوسطين اذ ان أشغال الجميع من
تاجر وزارع ومكاري تقضى بواسطة هؤلاء الارقاء واذا النقي بيع الرقيق من هذه
البلاد بالمرّة ثقف حركة الاشغال والاعمال لان الناس هنا لا تعلم استخدام العمال
بالاجرة . ويرى الرقيق هنا الاطاعة والانتقاد لسيده أمراً طبيعياً فتراهم غاية في
الصدقة والاطاعة لاسيادهم حتى انه كثيراً ما يسلم السيد ماله وجميع ممتلكاته لرقيقه
ويأمن له اكثر مما يأمن لاولاده . وليست هذه الحالة هنا فقط بل انها موجودة
أيضاً في البلاد اليمنية والمجازية وعلى الاخص بين العربان الضارين في البوادي
حتى ان أمراء العشائر لا يعتمدون الا على أرقائهم فتراهم يحترزون من اولادهم
واخوانهم ويسلمون ارواحهم الى الارقاء الذين يفدون حياتهم في سبيل كلمة سيدهم .
ويعد الرجل رقيقه واحداً من بيته وعضواً من أعضاء عائلته

فرشنا البسط تحت شجرة جهيز وجلسنا تحت ظلها ساعة تناولنا فيها الطعام وورعت البغال وبعد ذلك قمنا نسير في سبيلنا فقطعنا نهيراً آخر بعد عن الاول خمس دقائق فقط وهو بجسامته وفي الساعة الخامسة قطعنا نهيراً آخر ودخلنا في صحارى ومراع تحيط بها الجبال والتلال . وهنا تنتهي حدود ولاية هرر وتبتدي أراضي شرشر . وشدة نمو النباتات البرية هنا تدل على خصوبة الاراضي وقوة انباتها والاشجار فيها ليست بحالة غابات أو أحراش وإنما يوجد هنا وهناك أشجار برية صغيرة وكبيرة قريب بعضها من بعض وسفوح الهضاب والاكبات عامرة بالقرى واكثر سكانها من الغالالا والأتينو المسلمين ومنها ما يسكن فيها الامجريون المسيحيون

وكان سكان هذه الجهات من قبل اكثر مما هم الآن فقتل عددهم فلك الاوثة وتوالي الحروب الداخلية

مررنا الساعة السادسة على نهير ونزلنا أزاء جبل (هلفتا) ويسمى المحل الذي نزلت فيه قافلتنا (بددسا) وقد تعب جداً رجالنا وبغالنا من حزونة الطريق في هذه المرحلة وكثرة النزول والطولوع في جبال وعرة . فلذلك ما نزلنا في المحل المذكور حتى أخذ الرجال الذين ليس لديهم ما يشغلهم مثل نصب الخيام وغيره يتمددون تحت ظل الاشجار طلباً للراحة والبغال صارت تتمرغ في التراب على عاداتها بعد أخذ ما عليها من الاحمال . والمجارج منها كانت تنظر الى النيران التي كان المكارية يشعلونها نظر الحزن والكآبة وترفع أذنيها وتظهر بعض حركات وأصوات كأنها تريد تتأوه وسبب ذلك ان سكان هذه البلاد يهملون خدمة البغال الخدمة اللازمة فيرى الانسان حوافرها طويلة بارزة ولا ينظفونها ولا يعطونها العلف اللازم لها بل يتركونها بحالتها الطبيعية فينزل المطر الشديد ويفسلها عند ما تكون هذه الحيوانات خالية من الحمل والشغل اذ تترك دائماً في العراء وبعد قليل تظهر الشمس الشديدة فتنشئها حالاً وعلى هذا المنوال تخدمها يد الطبيعة والقدره من نفسها . ولكن لا بد من كي البغال المجروحة وذلك انهم يشعلون ناراً حامية يضعون فيها حدائد منحنية ذات أيدٍ

خشبية طويلة وتؤخذ البغال الجريحة من بين السليمة وتشد في رجلها سيور من الجلد وتلقى على الارض ويجلس المكارية على رأس البغال وعلى سائر أطراف جسمه ويمسكونه كيلا يتحرك ويأتي آخر بالحديد المحمأة لدرجة الاحمرار ويكوي بها الجرح فيمزق الشعر والجلد الذي على أطراف الجرح ويدخل الحديد المحمي حتى يصل الى اللحم وتتصاعد روائح كريهة والبغل يجأر من شدة الألم والبغال المنتظرة دورها تنظر هذه الحال بنظر الاندهاش واليأس آخذ منها مأخذه وفي الغالب لا يحملون البغل عقب الكي بل يتركونه يستريح بضعة أيام . هذه هي الخدمة الوحيدة التي يخدم المكارية بها بغالهم ولقد كنت أسخط على هذا وأمرهم ان يكونوا بعيداً عنا وبالجملة ان هذه الحيوانات تعيش في هذه البلاد بيد الطبيعة ولا يعتني أحد بخدمتها قط على ان الاعتناء بالدواب في الاقطار المجازية الواقعة ازاء هذه البلاد عظيم جداً حتى ان سائق المركبة في المدينة المنورة ينظفها ويخدمها ويكبسها كل يوم مساءً وهو ما يعبر عنه الغريون بالمساج (Massage) والتكيس في الحجاز مرغوب جداً فتجد أغلب الناس في الحمامات والمنازل يكبسون أنفسهم من غير ان يكون هناك مرض يستلزم ذلك بل يعملون التكيس طلباً لراحة البدن فقط حتى ان الانسان ليرى كثيراً من الناس يتمددون على حصيرة في القهاوي أو الساحات العمومية من غير مبالاة بالناس الراحين والغادين والمكبس يكبسهم

وأغلب المكبين في الحجاز من الهنود ويكبسون من اراد باجرة نحو عشرين فضة . وهذه القاعدة نفسها جارية في الحيوانات أيضاً . وقد اندهشت عند ما رأيتهم يكبسون الحيوانات لاول مرة وكنت راجعاً ليلاً من مكتب التلغراف في ساحة المناخة الى منزلي فرأيت حماراً كبير الجثة ملقى على الارض ومصاحبه جالس عليه يكبسه وكان الحيوان يظهر امارات الراحة والاستحسان بتشخيره الخفيف ويمد رجله الثانية غند ما يتم تكيس الاولى فقلت لصاحب الحمار ماذا تفعل أيها الرجل فاجابني ان هذا البهيم المسكين تعب جداً هذا اليوم فأنا اكبسه حتى يستريح

هذا والمكارية هنا يداوون بغالهم بأنفسهم أما اذا مرض الواحد منهم فقد كانوا يأتون لعندي ليستمدوا من مهارتي الطبية على زعمهم . فكنت أعالجهم حسب ما تدلني تلك المهارة المزعومة فأعطي مسهلاً لمن يشكو معدته أو بطنه او روح النعنع وحبوب (آتى ديسانريكوم) للذي يشكو من الاسهال وفن آستين او اتيبيرين للذي يتألم من وجع الرأس . وقد حضر اليوم لعندي أحد المكارية وهو يعرج فمد رجله ونظر في وجهي نظر الاستمداد فوجدت في رجله ورماً شديداً من الاصابع الى نصف أخمص القدم وبين الأصابع جروح ملتئمة يكاد يظهر فيها الدود .

فلما رأيت حال هذا الرجل حرت فيما أعمله لاني لست بطبيب ولا علم لي بفن الجراحة وليس عندي شيء من المراهم فخطر في بالي حمض البوريك فقلت له اغسل ماء صافياً في حلة نظيفة وسأعطيك دواءً تضعه في الماء المغلي فتغسل به رجلك وبعد ذلك اربطها وداوم على هذا الدواء بضعة أيام مساءً وصباحاً فتبرأ ان شاء الله . ولكن الرجل أخذ يطلب مني بواسطة الترجمان الاسراع بعلاج فأخرجت من جيبي حقة ماء كولونيا فحقت محل الجرح بهذا الماء الذي ألم الرجل جداً حتى احمرت عيناه وصار يتمرغ على الارض ويئن و بعد نصف ساعة خف الألم فأحضرت قليلاً من ماء البوريك لغسل الجرح به ثم وضعت السمن ليطري الجرح ويقوم مقام المرهم فليحك الاطباء ان كنت فعلت حسناً أم لا . وأما رفقاء الرجل المجروح فلما رأوا رفيقهم وهو يتمرغ على النراب ويئن ويتألم أخذوا ينظرون اليّ بطرف عجيب يستر تحته الريب والشك مما أعطيته لرفيقهم فهمت ذلك في الحال وأردت الحقنة عليّ وصرت أتي ماء الكولونيا على وجهي فزال ما كان دخل في قلوبهم من الشك والارتياب واقتنعوا بأن ألم الرجل ناشئ من جرحه وان الدواء الذي أعطيته اياه ليس مسموماً .

كان محل نزول قافلتنا هنا كثير الصيد كالطيور والأرانب والغزلان كما انه كان كثير الحشرات والهوام مثل النمل وأبو دقيق (فراش) وما أشبه حتى انه اذا

أراد الانسان ان يأخذ من أنواع أبو دقيق ويلصقتها في دفتر يجمع مجموعة من أجل ما يمكن من المجاميع

كان طباخنا ومساعده كافين لاحضار الطعام لنا ومع ذلك كان كل واحد منا يريد ان يخدم المطبخ فكنت ترى البعض منا يصطاد الطيور والبعض منا يقوم بعمل الحلويات مثل شوكت افندي الالباني الذي كان يهتم بالما كل اهتماماً خصوصياً ولكوننا نحن الثلاثة اعضاء الوفد سور بين ما كانت الكيبة الشامية لتغيب من المائدة قط وقد علمنا الطاهي عمل الكيبة المذكورة من أول يوم فكان يستعمل لذلك في غالب الاوقات لحم الدجاج الموجود بكثرة عظيمة في هذه الجهات وبالجملة لم نكن لشكو من الطعام

وقد تعود الجنود والخدم الذين كانوا مسلمين تناول الطعام من غير ستار لعدم تعصبهم وأما البغالة المسيحيون فانهم ما قدروا على ترك عادة الاكل تحت الستار وكان طعامهم على الغالب من الخبز المصنوع من دقيق الدف والقهوة الكثيرة والفلفل الاحمر واللحم النيء . ولا أدري كيف تصيب العين هذا الطعام البسيط ؟ وما كنت في طريق الحجاز كنت أرى جمالنا الجريحة تعذب وتألم من سقوط الطيور الجارحة كالعقبان وانفران وما اشبه على ظهورها لتأكل قطع اللحم من الجرح فيصير الجمل يهدر ويزبد ثم يلقي بنفسه على الارض تخلصاً من أذى الطيور الجارحة وقد رأيت هنا بغالنا الجريحة تعذب من هذه الحالة نفسها فكأنه لا يكفي ما تقاسيه من شد السيور والجلود على بطونها وكي جروحها حتى تنسلط عليها الطيور الجارحة وتدمي جروحها فترى الطير ينقض على ظهر البغل وقبل ان يتمكن البغل من طرد العقاب بذيله يخطف قطعة من لحم الجرح ويطير ثانياً

هرب اليوم بغل من البغال المجروحة قبل أن يأتيه دور الكي وأخذ يجري من غير لجام وبردعة في هذه الصحارى كغزال شارد وقام ثلاثة من البغالة للجري وراءه وكان يدا اثنين منهم سير طويل يمسك كل منهما بطرفه فصارا يعدوان خلفه ككلاب

الصيد وكان الثالث يسعى لتحويل البغل نحو رقيقه القابضين على الجلد . وبعد ان ركضا مقدار نصف ساعة نفذت قوى البغل فوقع بالجلد وأدركه المكارية الذين كانوا يعدون عدواً حثيثاً من غير ان يظهر عليهم علامة من علامات التعب . وهذه ايضاً هي حالة أهل البادية الذين وصفتهم في رحلتي الى صحراء افريقيا الكبرى هنا أصيب أحد جنودنا المسمى (انجي) بألم شديد في بطنه ففسده أحد رفاقه بكل قوته وهذا يدل على ان التكبيس معروف في هذه البلاد أيضاً . ومع ذلك فان الألم لم يفارقه فاضطرت ان اداويه بروح النعنع وبيعض أدوية اخرى أما طعامنا هذا المساء فشوربا بالبيض وشواء الحمام البري وكبد الخروف ومجر اللحم وكبيرة ولقمة القاضي



يوم الاثنين ٢٤ مايس (مايو) مرحلة قالمو

بحيرة (جرجر) — اعشاب بطول القصب — الاعشاش المتدلية

قنا اليوم من محل نزولنا في منتصف الساعة الثانية عشرة وأخذنا تقطع أراضي تعد مستوية بالنسبة للتلال والجبال . وخصوبة الاراضي هنا وقوة نماتها عظيمة جداً ويوجد فيها طيور الصيد والحيوانات بكثرة وانما سكان هذا القطر المسمى (جرجر) قليلون جداً على نسبة سعتة وفي الساعة الثانية نظرنا بحيرة (جرجر) عن يسارنا وكانت المسافة بيننا وبينها كيلومترين . وكان سيرنا محاذياً لهذه البحيرة فلذلك كنا نراها عند ما نكون سائرين في الارض المستوية ونحفي علينا عند ما نسير بين الجبال والهضاب وهذه البحيرة اكبر من بحيرة (هرمايا) السابق ذكرها بثلاث مرات وعلوها عن سطح البحر ١٧٥٠ متراً وفيها كثير من الطيور مثل الوز البري والبط البري وغيرها من الطيور كما انه يوجد في مائها بقر الماء (Hippopotam)

وتخرج هذه الحيوانات من الماء ليلاً فتعمرى بالارض الواقعة على أطراف البحيرة وتختفي نهاراً في الماء وبعد أن سرنا ساعتين سيراً موازياً للبحيرة غابت عن انظارنا وفي الساعة الخامسة وصلنا لقرب بحيرة (جفا اناني) ونزلنا تحت شجرات جسيمة بالقرب من العزبة وفرشنا طنافسنا على قاع غير واسع وقد كانت احدى القوافل المارة قبلنا من هنا قد قلعت كل ما فيها من الحشائش والنبات وأعدته للنزول فيه . وأما ما بقي من الاراضي التي على أطراف محل نزولنا فأنها كانت مستورة بالحشائش والنباتات الواصلة الى كتف الانسان والناظر اليها من بعيد يظنها غابة من القصب . والى يومنا هذا من رحلتنا لم نر قط محلاً خالياً من الحشائش والنبات حتى نضرب الخيام فيه . والمحلات الخالية فيها هي الاراضي المحروثة أو المزروعة حديثاً

استرحنا مقدار ساعة وتناولنا طعامنا وورعت بغالنا من غير ان نخرج خطوة واحدة من محل نزولنا ثم استأنفنا السير وبعد قليل وصلنا الى نهر (جفا انباني) . وقوة هذا النهر هي بقدر ما يكفي لادارة حجر طاحون وماؤه عذب كسائر المياه التي كنا نصادفها في طريقنا . وهذه الاراضي التي كنا نسير فيها من الصباح كلها خضرة كالزمرد ولكنها كانت قليلة الاشجار حيث تشبه الاراضي والكروم الواقعة على الضفة الاسيوية من البوسفور . ولما رأينا هذه الاشجار على بعد ظننا بعضها شجر برتقال أو كباد لان أغصانها مزينة بكرات كثيرة كالبرتقال . فلما دوننا منها علمنا ان هذه الكرات المعلقة على الأغصان هي عبارة عن مئات من اعشاش لطيور صغيرة من صنف العصافير المسماة (قناريا) ذوات اللون الاصفر والتغريد الجميل وكانت هذه الاعشاش مصنوعة من الياقوت الرقيقة القوية بشكل دقيق جداً ومعلقة بالغصن بواسطة حبل مصنوع من الياقوت أيضاً طوله شهر واحد ولذلك كنت ترى الاعشاش بما فيها من الافراخ تهتز دائماً بتأثير الريح ولا ينفذ من هذه الاعشاش المطر ولكل عش باب جعل قريباً من الاسفل لخروج ودخول العصفور . وكانت هذه الاشجار المأوى بالعصافير التي كانت تتطير من غصن الى غصن وتغرد بأصواتها اللطيفة استرحنا مقدار ساعة ثم قمنا واستمرينا في طريقنا وبعد ساعة أخرى مررنا بنهر آخر يسمى (مالتابلو) وهو بجسامة النهر السابق ذكره وفي الساعة السابعة وصلنا الى محاذة قرية (قالم) ووجدنا هنا أيضاً نهيراً آخر ونزلنا لقضاء الليل هنا . وكان محل نزولنا على هضبة صغيرة من حولها هضاب أخرى قليلة الشجر والخضرة . ولم نجد في هذه الهضبة محلاً خالياً من الرطوبة فاضطررنا ان نأتي بالحشائش اليابسة (الناشفة) لنضعها على اتقاع المبلول ونفرش عليها البسط للجلوس عليها . وقد بردنا جداً لوجودنا على علو ١٧٥٠ متراً من سطح البحر فقطعنا الوقت في اصطاد الطيور . وفي اثناء هذه الليلة ثارت زوبعة شديدة نزلت من بعدها أمطار غزيرة وقد اقتلعت الزوبعة خيمتي والقمتها علي .

يوم الثلاثاء ٢٥ (مايو) لاغاهارديم

منزل رأس ماكونن — المشروبات المسماة طاللاوتيج وبرز — عقاب شديد لذنب تافه —
داخل الكوخ البلدي — الشيخة النباتية

أراد المكارية ان نقضي هذا اليوم هنا بدعوى تشيف الخيام وقد استهزأوا
هنا المرعى لبغالهم ولكن اكتفينا بتشيف بعض الخيام لحد الساعة الواحدة وقمنا نسير
لننزل في أقرب منزل ولتقرب هذا المحل تركنا المكارية في (قالمسو) على شرط
ان يلحقوا بنا بعد ساعتين . وأخذنا تارة نصعد على مرتفعات عالية وطوراً ننحدر
في منحدرات عميقة واحياناً نزلق في الأوحال وبعد ان قطعنا عدة أنهار شديدة
الفيضان من السيول وصانا الى لاغاهارديم . وهذه القرية هي جملة الكواخ مبنية
على هضبة مرتفعة يجري في سطحها نهر صغير . وسكان لاغاهارديم من المسلمين مثل
البلاد التي مررنا بها في طريقنا وليس فيها من المسيحيين الا قليل

نزلنا في محل قريب من الكواخ القرية حتى اذا نزل المطر اتجاننا الى الكواخ
وتركنا الخيام لثلاث ساعات فيما وقعنا فيه الليلة البارحة . ولرأس ماكونن هنا منزل كبير
بيضي الشكل مبني على طرز الكواخ الاخرى فأحضر لنا الاهالي بعض جلود
البقر فبسطناها على القاع تحت شجرة امام منزل الرأس ماكونن وفرشنا عليها البسط
الموجودة وجلسنا للاستراحة وتناول الغداء . ولو لم يأت الاهالي بهذه الجلود لما تسنى
لنا الجلوس على البسط من كثرة الاشواك النامية في هذه الاراضي . وبعده الطعام
زرت منزل الرأس ماكونن فوجدت مساحته ١٦ متراً طولاً و٨ أمتار عرضاً له
بحاجز في أحد الجوانب من عدة أعمدة يستند عليه السقف ويستعمل هذا المحل المحجوز

كحزانة لحفظ الذخائر وما يلزم للمنزل . وقد ألصق على الحائط الداخلي قاش أبيض ووضع امامه مقعد للجلوس . ليس في هذا المنزل من الزينيات سوى بعض جرائد مصورة معلقة على الحائط وصورة ملكة انكلترا وصورة قيصر الروس وصورة ملك اليونان وصورة الرأس صاحب المنزل نفسه . وأما الرأس فلا يسكن هنا بل يأتي هذا المنزل ويقضي فيه ليلة أو ليلتين عند مروره في تجواله في هذه البلاد او خروجه الى الصيد والقتص . وفيه حارس قد أفرغ المنزل بشكل فندق ينزل فيه أبناء السبيل وكان يبيع فيه الجرار والقرع والمشروبات المسماة (طالالا) و (تيج) ضمن قفاني تباعها لعابري السبيل حبشية حسناء تعرف الطرق اللطيفة لاستجلاب الزباين . والمشروب المسمى (طالالا) هو ضرب من الجعة (بيرا) المعروفة يستخرج في هذه البلاد من الشعير أو من الدرة . وأما المشروب المسمى (تيج) فانه مزيج من الماء والعسل مختمر بنوع من الاعشاب تسمى (كچو) بعد ان يمر عليه زمن يكون في حدة طعم الشامبانيا . واذا شرب الانسان هذا المشروب وهو جديد يجد له طعماً كطعم عصير العنب ولا يسكر شاربه .. والمسلمون هنا يستعملون هذا المشروب من غير ان يضعوا فيه (كچو) ويسمونه برز

ان محل نزولنا هذا اليوم كان أجمل المحلات التي كنا نزل فيها فكان امامنا سهل زمردى واسع فيه بعض التلال التي تشبه الامواج في البحار . وكان على جوانبنا وورائنا هضاب عالية ذات خضرة لطيفة . وكنا نمر في طريقنا على كثير من اشجار تسمى هناك (قول قوال) وهي شجر الالستيك وتارة يكون مقدار هذه الاشجار كثيراً وتارة ثقل جداً حتى وصلنا الى هنا . والانهار التي مررنا منها لا يمكن قطعها بعد شهرين أي في ابان فيضانها في موسم اشتداد الامطار فتضطر القوافل ان تنتظر أياماً على شاطئ النهر وقت هبوط الفيضان .. لذلك يجب علينا ان نفتكر في طريق آخر للاياب الى ساحل البحر

ان النقطة التي نحن فيها الآن ترتفع عن سطح البحر ١٦٠٠ متر . وهذه الاراضي

وما حولها من نهر (هرنأ) الذي كنا مررنا به قبل ثلاثة أيام الى نهر (أواش) الذي سنصل اليه بعد ثلاثة أيام أخر كانت كلها لمدة قريبة تحت ادارة (فينور أرى أصنعا) ولكن الرأس ما كونه نزع ادارة هذه البلاد منه وألقاه في غيابة السجن مكبلاً بالحديد عقاباً له على ضربه أحد عبيد الرأس الموما اليه بغير حق . وهنا وفد علينا (آتو آفي) شوم هذه الاراضي (اي عمدتها) ومعه سكرتيره اتوسارتي . آنو آفي هذا كان حضر واقعة (عدوه) المشهورة التي حدثت بين الطليان والاحباش وكان تحت امرة رأس ما كونه . وقد شرح لنا بعض حقائق عن هذه المعركة سندرجها في محلها . وكان يحمل مسدساً كان اغتنمه في الواقعة المذكورة من الطليانيين فارانا اياه وقال ان الطليان قتلوا من الاحباش برصاص المسدسات من هذا النوع اكثر ممن قتلوا برصاص البنادق فكنا اذا اقتربنا من المحجروح الطلياني يطلق من مسدسه مع ما هو عليه من عدم القوة

رأينا هنا قرب كوخ بجانب كوخ الرأس اثنين من شبان الاحباش يطحنون بمدقات خشبية النبات المار ذكره المسمى (كچو) وقد وضعوه ضمن (هاون) كبير مصنوع من الحشب . فكنا يقولان عند كل دقة (اينج اينج اينج) والنساء قد أحطن بهما يغنين بانغام موافقة لضربات المدق

وبعد ان تفرجنا على هذا المنظر والاحباش والحبشيات تفرجوا علينا أيضاً دخلنا لرى أحد الكواخيم فرأيت فيه فتاة تطحن دقيق الحبوب المسمى (دف) فكانت واقفة على رجليها وراء القسم العالي من الحجر وتضع الحبوب على الحجر وتضغط عليها باسطوانة حجرية فينطحن الحطب وينزل دقيقه الى المحل الموجود بالقسم السفلي من الحجر . وطريقة الطحن هذه لا تشبه قط الطريقة المستعملة عندنا للطحن بواسطة الارحية ومطاحن اليد . ثم كان في وسط الكوخ نار مشتعلة وعليها قدر فيه طعام فكان الدخان المتصاعد من النار يخرج من شقوق صغيرة بجانب السقف وبقرب القدر امرأة طاعنة في السن جالسة على الارض وهي تدخن بنوع من الشيشة

مصنوعة من القرع لها فم طويل من البوص بدلاً عن اللي ورأس الشيثة من الفخار موضوع على رأس القرع في القسم الاقل ثخناً منه . ويوجد باحد أركان الكوخ سرير يسمى (الفا) نصب هناك لنوم صاحب المنزل . وقوائم هذا السرير وأطرافه مصنوعة من الخشب والوسط من سيور الجلد . وبركن آخر بضع نسوة جالسات على الارض يتقون القمح والدف وامامهن صواني كبيرة مصنوعة من النبات أو من جلد البقر . وفي المخزن الخاص بمحفظ ذخائر المنزل يرى الانسان كثيراً من أنواع القرع يستعملونها بدلاً عن القدور والخوابي لوضع السمن والعسل وما مثله . ما أبسط هذه المعيشة . وبالجملة ان ثروة هؤلاء الناس هي في الحقيقة ثروة الطبيعة

وبعد قليل وردت قافلتنا فنصبت الخيام وأحضر الطاهي الطعام فتناولناه . وكان الماء كدرًا جدًّا من كثرة السيول فاضطررنا لترويقه حتى تمكنا من شربه . ونحن الآن على علو ١٦٠٠ متر عن سطح البحر



يوم الاربعاء ٢٦ مايس (مايو) مرحلة قاجانواها

صعود ونزول في طرق وعرة — طبيعة الاراضي تتغير — الصيد الكثير — قرع بدل تمثال

أصبح المكارية اليوم وطلبوا الصناديق والاعمال باكرًا لوعودة الطريق وكثرة الصعود ولذلك قلعنا الخيم في الساعة الحادية عشرة وسلمنا الاحمال للمكارية وبينما كنا نشرب القهوة قبل قيامنا وفد علينا للوداع آنو آفتي المار ذكره ومعه آتوسارتي ومأمور البوليس وغيرهم

وفي الساعة الثانية عشرة سرنا صاعدين جبل (النوكي) الذي كنا نزلنا في سفحه وهذا الجبل في غاية الوعورة ولكن الطريق الذي كنا نمشي عليه كان كثير المنحنيات فلذلك كانت البغال قادرة على تسلقه ولكن بصعوبة . وبعد ذلك أخذنا نسير في هضاب ذات صعود خفيف وانحدار وفي الساعة الواحدة بلغنا الذروة التي كانت أرفع نقطة من هذا الجبل وهناك ظهر امامنا على استقامة الجهة التي نحن متوجهون اليها حوضه (آواش) يقطعها نهر (آواش) الذي كان بحاله هذه أشبه بسلك رفيع من الفضة كما اننا رأينا جبل (قومي)

أما الاشجار الموجودة على جبل (آالنوكي) فانها كانت صغيرة بالنسبة لاشجار الجبال الاخرى ولم تكن في حالة غابات بل كانت متفرقة . ويوجد بين هذه الاشجار شجرة تشبه المسلة لا يزيد علوها عن ثلاثة او أربعة امتار ولكن يتكون منها في الارض دائرة لا يعلو قطرها عن عشرة امتار أو خمسة عشر متراً . وأغصانها ممتدة افقياً . وهنا أخذ منظر الاراضي يتغير فصرنا نرى جبل (قومي) لعاري عن النبات والخضرة كقطعة صخرة عظيمة وكان لون أراضي صحراء (اواس) مصفراً حتى ان الانسان يظن ان هذه الاراضي سبخة لا تصلح للزراعة ولكن علمت من الذين كانوا برفقتي ان هذا الاصفرار ناشئ من لون الحشائش المصفرة وانه ليس لون الارض واستمر نزولنا في الانحدار على جهة الصحراء من جبل (النوكي) من الساعة الواحدة الى

الساعة الثالثة وكان هذا المنحدر أيضاً وعراً وحرناً كالصعود . ولما رأيت ما يعاينه بغلي من التعب أشقت عليه فنزلت لأسير راجلاً ولكن ما قطعت مسافة ربع ساعة حتى رأيت نفسي مضطراً للركوب ثانياً لأن رجلي زلت مرتين فوقعت على الصخور وعلمت من ذلك ان البغل امهر مني في السير في هذه المحلات لانه تعود السير في تلك الاودية والجبال الوعرة . وفي الساعة الثالثة بلغنا سفح الانحدار ودخلنا في أراضي (ارغها) والاشجار هنا صغيرة لا ظل لها وبعضها متفرق عن بعض .

هنا أخذت طبيعة الارض تتغير . فرأينا حشائش ونباتات قصيرة صفراء بدلاً عن الحشائش الطويلة الخضراء . وصرنا نبحث هنا عن شجرة لننزل في ظلها فنتغدى فوجدنا واحدة بعد بحث طويل ولكن ظلها لم يكف لذلك فقام أبو بكر جاويز الذي كان على غاية من النشاط في اشغاله وقطع أغصاناً كثيرة من الاشجار الأخرى ووضعها على أغصان شجرتنا وأراد المكارية بالنظر لشدة تعب البغال ان نقضي الليل في هذا المحل ولكن لم أوافقهم على ذلك ، بل بعد ان تناولنا طعام الغداء واسترحنا قليلاً قمنا مستأنفين السير متوجهين الى (قاجانواها) التي كنا اتفقنا على النزول فيها وقد تخلف المكارية والبغال وراءنا فكررت عليهم وجوب اللحاق بنا . وقبل السير سقينا بغالنا من المياه الرابضة هناك المتخلفة من مياه الامطار . والمحل المذكور كان شديد الحرارة لوقوعه في بقعة منخفضة .

ورأينا صنفاً من الطيور بجسامة الديك الرومي يسمى بحمًا وكثيراً من الدجاج البري والفزلان والأرانب فضر بنا بالبندقية ثمانية من الدجاج المسمى (بحمًا) فوق بعض منها بين الشوك والحشائش فلم نجد لها والبندقية أخذها الطاهي ليجهزها لطعام المساء . مررنا هنا بشجرة معلق عليها قرع ذو ذنب يستعمل للشرب في هذه البلاد وتحت الشجرة على الارض خرقة مفروشة وقد قيل لنا ان هذا القرع وهذه الخرقة موضوعتان تذكراً لاحد الغابيين المشهور بالشجاعة والبأس .

وفي الساعة عشرة بلغنا (قاجانواها) ومعناها (الماء الصغير) فوجدنا هنا

الاشجار النامية على طرفي النهر كبيرة ومتلاصقة والقاع مستور بالحضرة والناظر على طول النهر يرى امامه منظر الماء تظله الأشجار الكثيفة كأنه نفق والحاصل ان هذا المحل كروضة من الجنان بالنسبة الى الصحراء القليلة الاشجار والحضرة والكثيرة الحرارة ويوجد هنا كثير من شجر التمر هندي فأخذنا تقطف منه ونحله بالماء ثم نشربه ومنبع نهر قاجانواها في سفح جبل (كومي) ويجري ببطء وسط نفق مصنوع من الاشجار من غير ان يرى أشعة الشمس . وهذا النهر اللطيف مشهور بالممالك والمخاطر وذلك لان الحيوانات الوحشية مثل الاسود والنمور والذئاب والضباع تأتي الى حافته وتلتجئ لظلال الاشجار هر با من شدة حرارة الصحارى والقفار والذي لا يأتي منها في النهار يأتي ليلاً ليشرب ماءً لذلك أقننا صواويننا بعيداً عن الماء بمقدار خمسين متر حسب عادة هذه الجهات على رابية مرتفعة . ولم نغسل أيدينا وأرجلنا ووجوهنا ونسترح قليلاً على ساحل الماء الا والسلاح بأيدينا وقد استحضرننا معنا الماء اللازم لنا ليلاً قبل ان يهجم الظلام .

يوجد على بعد مسافة كيلو متر واحد من النهر هضبة قليلة الارتفاع عليها بعض الكواخ متر ووكة وقد علمت ان هذه الكواخ كانت مخازن لبنادق (جرا) التي اشتراها الامبراطور منليك من الفرنسيين وان الاحباش كانوا يوزعون هذه البنادق من هنا على المعسكرات والبلاد . وقد وجدنا في محل نزولنا كثيراً من الحطب والحشايش المحففة التي تركها الرأس ما كونه وقد كان مرّ من هنا قبلنا بقليل .

وتقرر ان نرحل من الآن وصاعداً من محل نزولنا قبل بزوغ الشمس وذلك لشدة حرارة السهول التي سنمر بها على طريقنا . وقد قضيت الليل تحت الصيوان الصغير ولم اشأ اقامة الصيوان الكبير . أما الجنود والبقالة فانهم ناموا في العراء لشدة الحر . أقننا هذه الليلة الحفراء اكثر من سائر الليالي كما اننا اكثرنا من وقود النيران ابعاداً للوحوش الكاسرة . وفي الليل نارت زوبعة شديدة وكان يتخلل صوت الريح الشديد أصوات الجنود والبقالة وهم ينشدون، بعضهم باللغة الفالبة وبعضهم باللغة الحبشية

يوم الخميس - ٢٧ مايس (مايو) مرحلة فنطاللي

نهر اواش - الاقتصاد في الجسر (الكوبري) - كره بو - اراض بركانية

قنا اليوم قبل الفجر وأخذنا نحمل اثقالنا لتمكن من السير قبل ان يشتد الحر
وسرنا في منتصف الساعة الحادية عشرة أي مع بزوغ الشمس وقطعنا نهر (قاجانواها)
ثم اخذنا نسير في اراض ذات هضاب قليلة الارتفاع وبعد أن قطعنا بضعة مجاري
انهار ليس فيها ماء وصلنا في الساعة الواحدة وربع الى نهر آواش . وفي اثناء سيرنا
كنا نسمع تارة عن يميننا وطوراً عن يسارنا أصوات الضباع والذئاب وغيرها من
الحيوانات . يجري نهر اواش في واد كبير كثير الميل والماء عميق بالنسبة لجسامة النهر
ولا يتمكن الانسان والحيوان من الوصول الى حافة النهر الا بعد صعوبات حمة اذ
يمر من طريق كأنه درجات سلم من كثرة الصخور الكبيرة . ويوجد جسر (كوبري)
طوله ٢٥ الى ٣٠ متراً وعرضه متران مشيد على عوارض حديدية واكثر ما فيه من
الخشب وقد أقيم على القسم الاقل عرضاً من النهر . وقد شيدت الحكومة الحبشية
هذا الجسر عقب الحرب الحبشية الطليانية . والطرف الواحد من الجسر عليه ألوان
الراية الحبشية وعلى الطرف الآخر ألوان الراية الطليانية فالناظر الى ذلك يظن انه امام
قوس قزح او نموذجات من الألوان كلها .

ويعتج الناس عند انحطاط المياه من المرور من الجسر بل يمرون من النهر نفسه
خوضاً ويوضع على طرفي الجسر كثير من السياج والعليق منعاً للمرور ويوجد بالجهة
التي أتينا منها كوخ صغير خاص لاقامة الخفير المكلف بملاحظة عدم مرور الناس
من الجسر عند نقصان مياه النهر . وقد قيل لنا ان القصد من ذلك هو الاقتصاد في
الجسر حتى يبقى مدة طويلة .

جلسنا مدة على حافة النهر ومتعنا أبصارنا بحمال الماء وانحداره البديع والبعض منا استحم من غير ان يجسر أحد على الدخول لوسط النهر خوفاً من التماسيح التي تكثر فيه وقت فيضان النهر. وهذا النهر هو اعظم انهار الحبشة طول مجراه ٧٠٠ كيلو متر من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ثم يغوص في البرك والمستنقعات بأراضي اوسا غربي خليج تاجورا. ووادي اواش هو احط الوديان في هذه الجهات لذلك ينصب فيه كثير من المياه والنهيرات من اليمين واليسار كما انه يأخذ جميع مياه المطر التي تنزل على الجبال والهضاب الواقعة على طرفيه. وهو أحد الطرق الطبيعية المؤدية من ساحل البحر الاحمر الى داخل الحبشة وقد مررنا على الجسر لكثرة الماء في النهر وأخذنا نسير صعوداً على الجهة المقابلة لمحل نزولنا وكانت شديدة الوعورة وبعد قليل وصلنا الى السهل ولشدة الحر لم نشأ ان نستمر على السير فنهزلنا تحت شجرة وعزمننا على المكث هنا الى وقت العصر وأخذ البغالة بغالهم وعادوا الى النهر ليسقوها بعد ان انزلوا عنها الأثقال والسبب في ذلك هو انهم لو سقوا البغال ونحن مارون على النهر وعابها الاحمال لعطشت البغال ثانية من شدة التعب الحاصل من تسلق الجبل. وقد اخذنا معنا الماء اللازم لنا لانه لا يوجد ماء في المحل الذي سنزله في هذا المساء قضينا النهار في حر شديد جداً حتى ان الشمع الموجود معنا ضمن الصناديق ذاب فصار كأنه كتلة طين. ويقال لهذه الاراضي الكائنة على هذه الضفة من نهر اواش (عروس) ولا يوجد هنا من الاشجار الكبيرة الا النادر كما ان الاشجار الصغيرة الموجودة هي عبارة عن شجيرات من العليق والنبات الموجود مصفر اللون قليلاً. ولما كنا ننام ليلاً في الجبال الأخرى التي مررنا بها كنا نقوم في الصباح فنجد الصواوين وكل ما بقي خارجها من الأثقال وغيرها مبتلة جداً من كثرة الندى وأما هنا فلم نر أثراً للندى. وقد قيل لنا ان المطر لا ينزل في هذا المحل الا قليلاً لانحطاط الموقع وقلة الأشجار فيه. ويوجد في هذه البادية قوم يسمون (كرهيو) يعيشون عيشة بدوية يرحلون من محل الى محل. لا يرفون الزراعة والفلاحة ولا يدينون بدين

لونهم اسود ولباسهم فوطة في وسطهم فقط ومنهم من يضع فوطة أخرى على اكتافه ولا يعرفون اكل الخبز بل يتغذون بألبان الماعز والنعاج والنوق والبقر وليس لهم خيام أو صواوين بل يصنعون الكواخا حقيرة من أغصان النباتات والحشائش المجففة على علو متر واحد ويدخل الواحد منهم الى كوخه زحفاً على يديه .

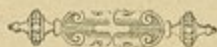
اشتد الحر اليوم جداً وصار الجلوس داخل الصواوين من المستحيل والاشجار الموجودة في محل نزولنا قليلة الظل لصفرتها وقلة أوراقها فاضطررنا لقطع كثير من أغصان الاشجار الأخرى وأوراقها لنضعها على أطراف الاشجار التي كنا نستظل تحتها وكان أنشطنا في هذا العمل شوكت أفندي الالباني فانه أخذ يقيم الكواخا من أغصان قطعها وأتى بها من أشجار بعيدة كأننا سنقيم هنا مدة طويلة فكان يشتغل بدون تعب وكل تحت الشمس المحرقة ولما آن أوان السير عصارى النهار كان لا يزال يشتغل في اتمام الكوخ الذي اضطر الى تركه وهو ينظر اليه بتحسر

بعد ان غادرنا هذا المحل وسرنا قليلاً غاب مجرى نهر أوأش عن أبصارنا ولم نره ثانية . وكان لون صخور المجرى اسود جداً وقد رأينا قافلة آتية من داخل البلاد ومعها جلد أسد اصطيده حديثاً

داومنا السير الى ما بعد المغرب بساعتين ونصف وقد مررنا من مضيق جبل فطاللي ونزلنا في هذه الساعة في العراء من غير ان ننصب الخيام وكنا قد أخذنا معنا أربع صفائح كبيرة مملوءة ماء من نهر أوأش وسلمناها الى البغالة قبل سفرنا من مرحلة النهر المذكور فلما بلغنا المضيق طلبنا منهم صفائح الماء فلم نجد فيها نقطة ماء فآخذوا يعتذرون بان الماء تسرب من خروق الصفائح على اننا كنا صنعنا هذه الصفائح عند ما كنا في هزر بصفة خصوصية لحفظ الماء وجعلنا لها أغطية محكمة الوضع لمنع نفوذ نقطة ماء منها للخارج لكن علمنا ان البغالة أرادوا ان يخففوا الحمل عن البغل فشرىوا من الماء ما شربوه وصبوا الباقي في الطريق فدعانا هذا الامر ان نراقب آتية الماء بعد الآن مراقبة دقيقة وكان الطاهي طبخ لنا طعام المساء قبل قيامنا من أوأش

ووضعه في أوامٍ مخصوصة كما أنه كان ملاً الكبران الكبيرة بالماء ولولا ذلك لكانا وقعنا
 في حيرة وارتباك من عدم وجود الماء . هذا وقد أقمنا على أطراف محل نزولنا سوراً
 من الصناديق والاثقال التي كانت معنا حتى لا تدوسنا بغالنا التي كانت ترعى بجانبنا .
 وفي الليل ثارت زوبعة شديدة جداً فحمدنا الله على أننا لم ننصب الصواوين التي ما
 كانت تستطيع مقاومة هذه الرياح الشديدة التي أقلت راحتنا وأذهبت نومنا
 فاضطرتنا أن نحمل أثقالنا ونستأنف السير في أواخر الليل كنا سائرين على الطريق
 وامامنا مصباح ينير لنا الطريق الذي كان في غاية الوتورة ولولا نور المصباح لسقط
 كثير منا في حفر عميقة موجودة بين الصخور والاحجار . وقد كان الطريق صخرياً
 وكانت صخوره كثيرة التعاريج كثيرة الهبوط والصعود والساثر فيها يظن نفسه سائراً
 في مقلع أحجار وذلك من تأثير السيول الجارفة وفعل البراكين وبينما يكون السائر
 متبعاً أثر الطريق الظاهر في أرض مستوية اذ يقف امام حائط من الصخور الشامخة
 فيضل طريقه ويضطر للبحث عن طريق آخر للنزول أو الصعود . وبعده ساعتين مررنا
 بمضيق (اياجنبر) وكنا نسير على فم بركان يحيط به كثير من الفحم فكانت روائح
 الغاز منتشرة جداً حتى ان يس جاويز سأل (هل كان هذا المحل خاصاً باستخراج
 الغاز) وبالجملة ان هذا البركان كان كأنه لم يطفأ

وهذا المضيق سمي بهذا الاسم نسبة الى رجل من مشاهير الحبش يسمى
 (اياجنبر) فقتله قبيلة (كرهيو) المارذ كرها غيلة في المضيق المذكور . ورأينا هنا
 بغلاً تركه أصحابه لانه انقطع عن السير لما أصابه من التعب فلموت ملاقيه لا محالة
 لان مورد الماء بعيد عنه فاذا سلم من أنياب الحيوانات المفترسة لا يسلم من العطش .
 واذ كنا في أواخر الشهر القمري طلع علينا القمر فصار يساعدنا على السير في هذا
 الطريق ثم نزلنا نستريح هنيئة وتناول قليلاً من القهوة



يوم الجمعة ٢٨ مايس (مايو) (مرحلة تاديجمالك)

ديك ديك ! — بح ! — ارغوبيا — حر شديد — النار والدخان — الذباب الهائل —
المواشي الجميلة

أخذ الطاهي بعد نزولنا يجهز لنا ما يلزم للفطور صباحاً فطبخ القهوة على نار
النباتات الجافة فكان فطورنا عبارة عن القهوة وقليل من خلاصة مرق اللحم المسمى
(ليك) والبصماد . و بعد استراحة ثلاثة ارباع الساعة استأنفنا المسير . و بعد قليل
ظهر جبل فظاللي امامنا ظهوراً تاماً فكان كقوس يحيط بالارض التي كنا نسير فيها
و بعد برهة بلغنا طرفه الواقع امامنا وأخذنا تتسلقه من سفحه ذي الصخور العظيمة
فلما بلغنا ذروته رأينا امامنا جبل (فرحان) وعلى سفحه (تاديجمالك) والوادي ذو
الاشجار الخضراء والنهر المسمى بهذا الاسم . ولما عاينا هذا المنظر البديع ازداد
شوقنا للوصول الى هذا المحل فصرنا نزل بكل نشاط من هذا الجبل الأجرد الذي
كنا نسير عليه . وفي هذا المسير اصطاد شوكت افندي بالبندقية بضعة غزلان صغيرة
الجسم تسمى (ديك ديك) وهي اكبر بقليل من الارنب الكبير . ولا يكبر اكثر
من ذلك وكنا كلما اقتربنا من تاديجمالك نرى طيور الصيد مثل البج والذجاج
البري واليام البري بكثرة تشبه العصافير الدورية في مدننا لذلك منعنا صيدهم بالبارود
خوفاً من تفاد القراطيس (الخرطوش) الموجودة معنا .

وصلنا الى (تاديجمالك) بعد ان قطعنا في سيرنا هذا اليوم ست ساعات .
ويجري من هذا الوادي نهر يسمى (قسام) وهو من توابع نهر اواش وينبع نهر
قسام من سفوح جبل (مقرز) ويجرى مسافة ٢٠٠ كيلومتر تقريباً من الغرب
الى الشرق ثم ينتهي بنهر اواش قرب محل يسمى (سادي مالك) وسعة هذا النهر

كسعة نهر (كاغدخانه) (١) وماؤه عذب وسريع الجريان . ولكون مجرى النهر في (تاديجا مالقا) يقرب من سطح الارض الواقعة على حافته يفيض عند سقوط الامطار على تلك الاراضي ويغمرها فلذلك تنمو الاشجار على طرفيه بكثرة . رأيت هنا لأول مرة أصول الري بفتح الترع فقد حفرت ترعة في نطقة تبعد قليلاً عن (تاديجا مالقا) وجرى فيها الماء من نهير وأسيل الى الاراضي العالية الكائنة هناك فأحياها وجعلها مزارع مخصبة حيث بني فيها بضعة عشر كوخاً للزراع . نرى الآن امامنا جبل فرحان ولا يوجد في هذا الجبل أشجار كبيرة عالية مثل الموجودة في الجبال التي قطعناها ولكن يوجد ما يمكن ان يؤخذ منه الحطب اللازم لنا . وفي هذا الجبل قوم من المسلمين يسمون (أرغوبة) ويستغلون بالزراعة والفلاحة وعندهم كثير من المواشي مثل البقر والغنم والماعز وما أشبه . أما الحر هذا اليوم فانه كان شديداً جداً . وقد كانت لاراضي التي مررنا منها في هذه المرحلة جبلية قليلة الماء والاشجار لذلك سررنا جداً لما رأينا الماء والاشجار والخضرة هنا ورأينا أنفسنا في نعيم عظيم . ولما وصلنا الى حافة النهر مررنا الى الجانب الآخر لترى محلاً جميلاً نجلس فيه فوجدنا هناك الرجل الحبشي الذي كنا راقنائه في طريقنا فلما رأنا قام واستقبلنا أحسن استقبال ورجانا ان نجلس معه ثم أخذ يكرمنا بتقديم الكازوزه والقهوة وبعد ان جلسنا مدة غير قصيرة تجاذبنا فيها أطراف الحديث معه ذهبنا الى محل نزولنا وجلسنا تحت ظل شجرة بعيدة عن مجرى الماء واقعة في قطعة أرض مزروعة ذرة وسبب عدولنا عن النزول على ضفة النهر ما رأيناه من كثرة الوساخة والاقذار المتخلفة عن نزول القوافل هناك وكثرة الذباب والنمل وسائر الحشرات . لذلك اخترنا هذا المحل ونصبنا مطبخنا فيه وأخذ الطاهي يطبخ ما اصطدناه من الغزلان والدجاج المسمى ببحاً لاحضار طعام الغداء والعشاء معاً . قلنا ان الحر كان شديداً جداً وقد زاد هذا الحر صعوبة الريح الحار التي كانت تأتي بالرمال والغبار والتراب وتلقيها علينا . والحاصل اننا لم نسترح كما كنا ننتظر

(١) نهر قرب الاستانة بحسب في خليج القرن الذهبي

عند ما أقبلنا على هذا المحل ورأينا الوادي عن بعد

وكنا نرى من محلنا الدخان متصاعداً من النيران التي أوقدها الاهلون على الضفة الاخرى من النهر في الحشايش والنباتات الجافة حسب عادتهم وكان صوت فرقة الاغصان وهي ملتفة يصل الينا . وقد اعتاد الناس في الحبشة احراق الغابات والاحراش ليعملوا من أرضها حقلاً يصلح للزراع كما انهم يحرقون كل سنة النباتات الجافة على الارض ليقوم رمادها مقام السماد فتنبت الاعشاب نباتاً حسناً

وقد أنزل البغالة الاحمال بعيداً عن النهر وساقوا امامهم البغال التي كانت قد تعبت وطمئت جداً لانها لم تشرب من حين قيامنا من محطة أوأش فاخذوها الى الماء فاخذت تكرع منه كرعاً يخيل لنا انها لا ترتوي من شدة العطش . وقد أثر حر هذا اليوم على رجالنا من الجنود والبغالة مع انهم من أهل هذه البلاد ومتمنون على احتمال الحر وشدته فاخذوا يستلقون تحت ظلال الاشجار كأنهم اموات لا حراك بهم . وكنت أود ان أعرف مقدار درجة الحرارة في هذه الاصقاع ولكن كنت وضعت في هرر مقياس الحرارة في أسفل احد الصناديق ظناً مني ان الطمس سيكون دائماً معتدلاً مثله في هرر وقتئذ . وهذا الحر أمره طبيعي لاننا بعد ان كنا على ارتفاع ٢٥٠٠ — ٢٧٠٠ متراً في رؤوس الجبال هبطنا مرة واحدة الى ٩٢ متراً والذباب هنا كبير بقدر النحلة أخضر اللون واذا لسع الانسان يؤلمه كالنحلة والزناير . وبينما كنت اكتب هذه السطور ورد الماء قطيعان أحدهما غنم رأسها مع الرقبة اسود حالك وما بقي من جسمها أبيض كيباض القطن الناصع . والقطيع الآخر عجول صغيرة أجسامها بقدر أجسام الماعز . ويلتقي طريق (چرچر) في هذا المحل بطريق (ادال) لذلك تتقابل القوافل هنا وتوجد أحياناً بكثرة ورأيت بالقرب منا بضعة اكواخ متروكة من اكواخ القبيلة المار ذكرها المسماة (قره يو) ولم أعلم انها اكواخ هؤلاء الناس حتى اقتربت منها وقد كنت ظننتها في باديء الامر أي عن بعد ٢٠٠ متر خاليا للنحل . وهذه الاكواخ هي عبارة عن عدة اغصان مغطاة بالحشائش الجافة

ليس الا . ولما صار العصر أخذت القوافل النازلة على طرفي النهر تحمل أثقالها استعداداً للرحيل . والعادة عند القوافل في بلاد الحبشة انها اذا وصلت الى نهر تريد النزول عنده تجتازه في الحال الى الضفة الثانية وسبب هذه العادة هو خوف مفاجأة الامطار للقافلة فانها اذا انهمرت يفيض النهر فيتعذر بل ويستحيل وقتئذ العبور الى الضفة الاخرى فتضطر القافلة اذا كانت لم تجتاز النهر الى انتظار زوال الفيضان وهذا يؤخر سيرها بالضرورة فلذلك يعبرون الماء وينزلون على الضفة الاخرى حال وصولهم الى النهر ولما أزف الرحيل كان كل واحد منا عديم النشاط مضعع الجسم كأنه مريض وهذا من كثرة الرطوبة الناشئة عن المياه الراكدة على أطراف هذه الاراضي فقمنا نحمل أثقالنا ونهزود من الماء لنصعد الهضبة الكائنة امامنا وننزل في محل مرتفع للمبيت فيه فبعد ان سرنا نحو ساعة ونصف وصلنا الى انسهل الكائن باعلى الهضبة المذكورة فترلنا وبعد ان تناولنا طعام العشاء بعزم شديد نمنا ولم نصبح الا وقد زال عنا كل ما طرأ علينا من الكسل قرب النهر



يوم السبت ٢٩ مايس (مايو) مرحلة جوبا

رحلة لتمهيد الطريق — تمهيد طريق للعجلة — نيران هائلة — نزولنا في العراء

استيقظنا قبل بزوغ الشمس فوجد كل واحد منا في نفسه نشاطاً وهمة بفضل الهواء الجيد . وقد كان ذهب اثنان من خدمتنا للبحث عن بقل ضل البارحة منا بينما كنا في (تاديجمالكا) ولما لم يعودا ظننا انهما لم يعثرا على البقل فعزمنا على البقاء هنا للعصر لا نتظارها ولا استجلاب الماء اللازم لنا من نهر (قسام) الذي مررنا عليه البارحة وهي فرصة حسنة أيضاً للبالغ لتستريح . وقد كنا نود أن نقضي التهاركله في العراء لنتمتع بذلك الهواء الجاف النقي الحامي من الشوائب ولكن شدة حرارة الشمس اضطررتنا لأن ن نصب الخيام والصواوين ففعلنا ورفنا سجونها ليتخلها الهواء الطري المنعش للابدان . وعلمنا هنا ان الماء لا يوجد امامنا في مرحلتي (جوبا) و (منابلا) اللتين سنتطعهما لذا أمرت رجالنا بتحضير طعامهم وخبزهم عن يمين حتى لا تضطرم الحاجة لاخذ الماء الذي سنحمله معنا وهوؤلاء الرجال لا يعلمون كيف يحتاطون لأنفسهم وليس عندهم أقل تفكر بما يأتي في الغد ففي الامس كنا نازلين قرب الماء فلم يخطر على بالهم عجن الدقيق وخبزه ولما أمرناهم بتحضير عجينهم أرادوا ان يأخذوا الماء اللازم لهم من الماء الذي حملناه للسفر بدون أدنى تفكر في انه سيلازم لنا في الغد هذا مع ما كنا سمعناه منهم انفسهم من ان كثيراً من الناس هلكوا عطشاً بين نهر اواش و (تاديجمالكا) و بين هذه والمحطات الكائنة امامنا ومع هذا فانك لا تجد واحداً منهم يحمل كوزاً أو أناء أو ركة لحل الماء اللازم له بل ان كل واحد يتكلم على زميله بحمل الماء . قلنا اننا نصبنا خيامنا للاستظلال . اما المكارون فما نصبوا خيامهم . بل صنعوا الكواخا من أغصان الشجر وجلسوا تحتها للاستظلال لان الشمس كانت محرقة هذا مع ارتفاع الهضبة التي كنا نازلين عليها . وما شر بنا

قط ماء بكثرة مثلما شر بنا هذا اليوم حتى ان رجالنا اضطروا مراراً ان يذهبوا
 بالقرب الى التهر ليملأوها منه . بيد ان الحرارة اخذت قبيل الغروب تنخفض فقمنا
 واستأنفنا السير في طريق مبهّد مثل الطرق التي تعمل في البلاد المتمدنة (شوسه *Chaussé*)
 وقيل لنا ان جلالة منليك نجاشي الحبشة كان اوصى من أوربا على عدة تدار بالبخار
 لرصّ الشوارع (مثل التي تستعمل بالقاهرة لرصّ الشوارع و يسميها العوام و ابور
 الزلط) وقام بجر العدة بضعة آلاف من الرجال بالمناوبة حتى أوصلوها من الساحل
 الى هذا المحل عن طريق (آدال) لانه اكثر سهولة من الطرق الاخرى ولما وصلت
 العدة الى هذا المكان لم يعد في الإمكان جرها لصعوبة الطريق لذلك استعملوا آفاقاً
 آخرين من الناس لفتح طريق يذهب من هذه الهضاب والحزون الى آديس ابابا
 عاصمة المملكة و بذلك تسنى لهم ايصال العدة المذكورة الى العاصمة وبالجملة فقد
 أتوا بالعدة لرصّ الطريق ولكن عملوا طريقاً لا يصالها . وقد كنا نسير مرّة على الطريق
 المذكور ومرة اخرى نحميد عنها وتقطع الاراضي السهلة اختصاراً للمسافة . ولما خيم
 علينا الظلام رأينا عن بعد ناراً عظيمة متأججة قرب قلعة بلغا على جبل واقع على يميننا
 وقد سألنا فقيل لنا ان السكان هناك يحرقون غابة كثيفة ليجهلوا حقلها يصلح للزرع
 ولما اشتد الظلام أوقدنا مصباحاً وحمله احد رجالنا وسرنا نقطع طريقنا على نوره حتى
 وصلنا (جوبا) . و يسمى مجموع الاراضي من (تاديجمالكا) لحد المحطة المسماة
 بالجبي مقاطعة منجار .

ان جوبا هذه هي عبارة عن قرية صغيرة مؤلفة من بضعة عشر كوخاً كسائر
 قرى هذه البلاد . وليس فيها مياه جارية ولا ينابيع لذلك تجد نساء أهلها يذهبن
 الى الاماكن البعيدة ليأتين بالماء من غدران أو برك تجمعت هناك من مياه الامطار.
 ولما وصلنا جوبا لم تكن وصلت بغالنا بعد فاضطررنا ان ننزل في العراء وان نستعمل
 البسط بدلاً عن الفرش والكساوي الكبيرة بالطوب بدلاً عن اللحف واخراجنا بدلاً
 عن الوسائد .

يوم الاحد ٣٠ مايس (مايو) محطة منابلا

أعمال النساء الشابة — طاللا

لم تصل الى الآن أحمانا ومتاعنا ولم نشأ ان نبقى في محل كهذا ليس فيه ماء لذلك عزمنا على السير الى المرحلة الاخرى الكائنة امامنا وهناك ننتظر وصول البغال والاحمال . وعلى ذلك أخذنا في السير و بعد ساعة مررنا بمسجد خرب ومدافن خاصة بمسلي قبيلة (اورغوبه) وعائنا من هنا بحيرة ذات ماء مالح تسمى غلوله على بعد خمسة أو ستة كيلومترات على يسارنا . و بعد ان سرنا أربع ساعات بلغنا (منابلا) وسكان هذه القرية يأتون بالماء اللازم لهم من غدران تجمعت من ماء المطر كائنة في واد عميق خطر المنحدر جداً . وقد ذهبت الى أعلا الوادي وأشرفت من هناك على تلك الهوة العميقة فباني ما رأيته من عمق الوادي ووعورة الصخور والاحجار ويكاد الانسان يعتبره دوار من هذا المنظر الرهيب . والوادي ليس فيه شيء من النبات بل كله أحجار وصخور سوداء . وقد تذكرت هنا الوادي الموجود فيه دير مارسابا في فلسطين الخاص بسجن واقامة الرهبان المحكوم عليهم أو المراد تهذيب نفوسهم فانه يشبه من كل الوجوه هذا الوادي الهائل بوحشته وعدم انباته وقلة مائه وانقطاع المرور منه . وقد رأيت النساء وهن صاعدات يتسلقن الصخور وعلى ظهورهن أورووسهن الجرار الكبيرة المملوءة ماء

نزلنا تحت شجرة خفيفة الظل فأخذ أبو بكر جاويش الذي كان نشيطاً جداً وسائر خدمنا يقطعون الاغصان من الأشجار ويضعونها على شجرتنا ليتسع ظلها ويكفي لاطلالنا على قدر الامكان . و بعد قليل حضر رجل ومعه قربة ماء فاشتريناها منه ثم أتت امرأة عجوز تحمل جرة كبيرة من المشروب المسمى طاللا فباعته

لجنودنا وخدمنا الذين أحاطوا بالجرة في الحال اشغفهم بشرب هذا المشروب ثم أخذوا يشربون ما في الجرة بالقرع المجفف الذي يقوم مقام غطاء لها ومقام كأس للشاربين ولم يمض خمس دقائق حتى نفذ ما في الجرة فلما رأى بنات القرية ونساؤها اقبال الجنود والخدم على شرب طلالا صرن يأتين بجرار ويحومون حول قافلتنا ليعنهن جنودنا وخدمنا . ولما رأيت ان هؤلاء الجنود والخدم شربوا كثيراً خشيت أن يتجاوزوا الحد وتقع فيما لا تحمد عتبه فمنعت شرب طلالا هذا اليوم . أما بغالنا والمكارون فانهم ما زالوا متأخرين ولم يصلوا الينا هذا اليوم أيضاً وسبب ذلك ترجيحهم راحة بغالهم ورعيها على حث السير . ولكن نحمد الله على أنه كان في اجر بتنا واوانينا مقدار كاف من الغداء والماء . وكان الهواء مساعداً على النزول في العراء وانما كانت الطرق والأطراف كثيرة الغبار من جفاف الطقس وقلة الماء اعتباراً من تادي مجامالك فكلما هبت الريح يتصاعد الغبار فتعمى الابصار . مكثنا هكذا تحت الشجرة وبيدنا المظلة طول النهار وقضينا الليل تحتها أيضاً متوسدين البساط الموجود معنا وقد وضعنا تحته قليلاً من الحشائش الجافة ليقوم مقام الوسائد .



يوم الاثنين ٣١ مايس (مايو) مرحلة بالجي

طلع النهار وبزغت الشمس ولم يأت أحد من بغالتنا سوى المسمى (عياللا)
فارسلنا ثلاثة جنود ليبحشوا ويأتوا بهم الى نهر (بوركا) حيث عزمنا على النزول . ثم
أخذنا في السير تارة في أراضٍ مستوية وأخرى على هضاب قليلة الارتفاع وكنائزى
على طريقنا كثيراً من الدجاج البري والدجاج المسمى (تج) والغزلان والارانب
فاصطدنا منها ما يكفي لطعام المساء وحملها الخدم . وفي منتصف الساعة الثالثة وصلنا
الى (هرني) التي هي محل انعقاد سوق القطر المسمى (منجار) . وجدنا هذه القرية
الكبيرة معمورة واكواخها منتظمة . يجتمع فيها كل يوم سبت كثير من الناس يأتون
اليها من القرى المجاورة للبيع والشراء . وبينما كنا سائرين في الطريق لقينا عمدة
(شوم) چرچر وما حولها المسمى أغياباش ولدو وهو مسلم وقد كان رافق الرأس
ما كونه في رحلته الى اديس ابابا حيث كان عائداً منها الى بلده فبعد ان سلم علينا
وتجاذبنا اطراف الحديث قال لنا انه متأسف لعدم وجوده في الاراضي الكائنة تحت
ادارته عند مرورنا منها وانه يرجو نزولنا ضيوفاً عليه في الاوبة وان نخبره بسفرنا من
العاصمة بالتلفون فتقبلنا دعوته بالشكر له ووعدناه بان نمر عليه حين الرجوع ونزل
عنده . وقد مدح جنودنا هذا الرجل واثنوا عليه وقصوا لنا كثيراً من احواله الخصوصية
كثروته العظيمة وكرمه الخاص وشجاعته وعلو همته وانه قتل بضعة عشر فيلاً وعدداً
من الاسود والنمور وانه جندل كثيراً من الاعداء في حومة الوغى

استمرينا في السير حتى بلنا مهيراً يسمى (بوركا) . وقد سرنا مرأى هذا الماء
جداً لاننا بعد ان تركنا (تاديما مالكا) لم نر ماء ولا أنهاراً . وهذا النهر هو من

توابع نهر (قسام) الذي كنا قطعناه في (تاديجا مالكا) الذي مرّ ذكره .
والناظر الى مائه يظن انه واقف لا يجري لقلة انحدار مجراه ويكفي ماء هذا
النهر لادارة حجر طاحون واحد فقط . وكنا نرى من هذا المحل قرية (بالجبي) على
هضبة مرتفعة صعبة المنال وهي غرينا وما أشبه هذه القرية بعش الدسر لارتفاعها
ويأخذ أهلها وأهل قرى القرية ماءهم من هذا النهر وقد حفروا أيضاً حفراً يجتمع
فيها ماء المطر فينتفعون بها بيد ان هذه الحفرة يأسن فيها الماء فيغدو ضاراً
فرشنا بساطنا تحت شجرة تبعد ٣٠ متراً عن الماء ووضعنا على الشجرة بضعة
اغصان وعدة من اغطية الجنود وجلسنا تحتها وبيننا نحن كذلك اذ مر بنا الوف من
القردة فأطلق عليها شوكت افندي بندقيته فأخذت تجري وتصيح وكان صغارها
التي لا قدرة لها على الجري تركب على ظهر امهاتها وآبائها فكان منظر هؤلاء الخيالة
من القردة أجهل من منظر مشاتها فهو مضحك جداً وبعض هذه القردة سمين كبير
الجسم جداً حتى ان شوكت افندي ظنها ادياباً ولو لم أر كثيراً من القردة الكبيرة
الجسوم في حدائق الحيوانات في أوروبا لكننت ذهبت مذهب شوكت افندي وبعد
قليل من نزولنا ا كفهز وجه السماء واشتد البرق والرعد وأخذ المطر ينهمر كأفواه القرب
وكنا لابسين أحذية المطر الطويلة الساق (الجزمة العسكرية) راكساء المصنوع من
الستك المانع لنفوذ الماء وبأيدينا المظلات فلم نبتل بالماء ثم انتقطع المطر وتشمعت
الغيوم وظهرت الشمس وراء السحاب مرسله اشعتها الحارة . وقد كانت اتسخت
أجسامنا من الغبار الذي كان يثيره الريح في وجوهنا من حين قيامنا من مرحلة نهر
اواش فلما استرحنا قليلاً اخذ كل منا يذهب وحده الى محل في النهر للاغتسال وازالة
هذه الاوساخ وذهبت أنا أيضاً للاستحمام وتجردت من الملابس ووضعتهما بين
حجرتين ثم دخلت في الماء وأخذت أنظف جسمي بالليف والصابون ولم يكن عندئذ
أحد قرب هذا المحل فوضعت الصابون على وجهي وغمضت عيني لتلايدخل الصابون
فيهما ولما فتحتهما رأيت شيئاً نجماً على كقطعة من الغمام ولما أمعنت فيه النظر

استطلاعاً للخبر اذا هو حبشي لونه يقرب للسواد واقف على صخرة مرتفعة تعلو عن رأسي وهو منحني على يديه الى الامام يمسك بهما احرامه الكبير وطرفه الواحد على رأسه وكان عاري الجسد الا القسم الاسفل من جسمه . فسألته بالاشارة عما يريد بهذه الوقفة الغريبة فاشار باصبعه أولاً الى الشمس ثم الى رأسي ففهمت انه يريد ان يحافظ عليّ من حرارة الشمس فشكرته ونويت ان لا أستخيم بعد الآن في الشمس لان شمس هذه البلاد تؤثر في الحال على رؤوس البيض فيصاب الانسان بضر بها كما اني رأيت ان لا أقف بعد ذلك تحت شمسية ذات روح مثل التي وقفت تحتها اليوم

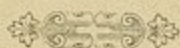
بعد ان أتمنا الاستحمام وجلسنا تحت شجرتنا اقترب منا بعض الاطفال الذين كانوا يتفرجون على ملابسنا وأزيائنا فاعطى يس أفندي للاقرب منهم بعض قطع من السكر . فاخذها وأراها لرفاهه فصاروا ينظرون اليها كمن لا يعلم ما الفائدة منها ثم ذاقوها بالسنتهم فلما وجدوها حلوة الطعم حكموا بانها (ملح افرنجي) وذلك لمشابهتها الملح في اللون وقد ترجم لنا كلامهم أحد خدمنا وبعد ذلك اكلوا قطعة السكر ثم صار كل واحد بالدور يطلب ملحاً أفرنجياً فوزع يس أفندي قطعاً أخرى عليهم فانصرفوا يشكرون ولما وصلنا الى مرحلة بوركا ذهب بكر أفندي الى مكتب التلفون الكائن في قرية (بالجي) وشكا الى عمدة (شوم) البلد والى آديس أبابا من كسل البغالة واهمالهم ففي الحال قام العمدة وركب للبحث على المكارية واحضارهم الى حيث ينزل . ولما قطعنا الامل من انضمام بغالتنا لنا هذه الليلة أيضاً عزمنا على المسير الى قرية (بالجي) فكان الطريق وعراً كثير الصخور والحزون يكتنفه من جهته جبل شامخ يشبه الجدار ومن الجهة الاخرى هوة هائلة يبلغ عمقها بضع مئات من الامتار فينما كانت البغال تتساق صاعدة في هذا الجبل الشاهق بكل مشقة وعناء كنت ترى بعض بنات الاحباش يصعدن بكل راحة وسرور وعلى ظهورهن أحمال المطب أو جرار الماء وهن يشدن الاناشيد ويغنين كأنهن راجعات من نزهة

وصلنا بعد ساعة الى (بالجي) . ووجدنا هذه القرية في سفح هضبة مرتفعة

جداً ومشرفة على وادي بوركا الذي مررنا منه وعلى الهوة التي أتينا منها . دخلنا
كوخ شوم البلد وكان البرد هنا شديداً فكنا نوقد النار خارج الكوخ ثم ندخله
فيه للتدفئة فيينا كنا نشكو نهراً من شدة الحر نشكو الآن من شدة القر . والكوخ
الذي كنا فيه كسائر أبنية هذه البلاد يشبه خيمة ذات سجد مدورة وفي وسط
الكوخ عمود تستند عليه عواميد السقف وهي متفرعة منه كمنفرع عيدان المظلات
الحديدية ومستندة من الجهة الأخرى على حيطان الكوخ .

أما الباب فأطرافه من الخشب وهو نفسه (أي الرتاج) من جلود الثيران وقد
كنت ذكرت ان الناس هنا يتخذون هذه الجلود بدلاً عن الطنافس لكثرة هذا
الحيوان في هذه البلاد . وبناء الكواخ في البلاد الخشبية يشابه بعضه بعضاً وإنما
هناك فرق صغير في بناء الكواخ البلاد التي في السهول المنحطة الشديدة الحرارة حيث
بيضون الجدران المصنوعة من العليق والنباتات بالكس أي الجير على قدر قامة الانسان
ويتركون ما بقي على حاله استجلاباً لتيار الهواء . وأما الكواخ الجهات المرتفعة الباردة
فيتركون بعض ثقوب بنسبة شدة البرد فقط لذلك كنا اذا أقبلنا باب كوخنا هنا
نظل في شبه ظلام .

وفي المساء وصل بعض المكارية بالاجمال فتعشنا واسترحنا على قدر الامكان
رأيت هنا نوعاً من الحصير أليافه رقيقة جداً كأنها شعر أو وبر ناعم وهو مع
ذلك قوي كما اني رأيت نوعاً من الاحرامات يشبه الاحرامات المستعملة في البانيا
يستعمله سكان هذه البلاد بدلاً عن الفرش للنوم والتدفئة .



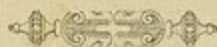
يوم الثلاثاء ١ حزيران (يونيو) مرحلة تنجيه فيدنسا

مراع مرتفعة — ثيران جميلة — نهر چنقورا — نهر لقادوني — عراء الحيوانات الوحشية —
برد شديد

كانت نتيجة تشكي رفيقنا بكر افندي بالتليفون الى آديس ابابا عن بطاثة البغالة ان صدر الامر لشوم البلد (اي عمدته) بالبحث عن البغالة فكان كذلك اذ نهض الشوم بنفسه للبحث عن المكارية وساقهم امامه حتى أوصلهم الى حيث كنا نازلين فأخذوا يعتذرون بالتعب الذي أنهمك قوى البغال فلم تستطع السير الحثيث فقلنا لهم اننا بعد الآن لا نقوم من محطة ما لم تمش البغال لها امامنا كما اننا لا نسمح لهم بالابتعاد عنا قطعاً . وفي الحقيقة ان البغال كانت في منتهى التعب والجوع من قلة الكلاً والمرعى في الطريق ومن مواصلة السير منذ بضعة أيام والذي ظهر لنا من حالة البغالة انهم لا يريدون السفر هذا اليوم بل يريدون الراحة وقالوا انهم لا يستطيعون مواصلة السير ما لم نمكث هنا يوماً لتسترخ فيه البغال ثم ان بعض البغالة اختفوا عن أعيننا ظناً منهم انه لا يمكن تحميل البغال ما داموا غائبين فأشرت بالبحث عن شعير وذره لتقيت بهما البغال فتقوى على السير ولما أحضروا الشعير وضعوه للبغال وبعد ان اكلت كفايتها أمرتهم بحمل الاثقال فحملوها على البغال على الرغم منهم وشدة رغبتهم بالبقاء هنا هذا اليوم وقنا في الساعة السادسة ونصف وصرنا في أراضٍ منبته مخصصة جداً كثيرة السكان والقرى حيث كنا نمر كل خمس عشرة دقيقة على قرى عامرة . والمواشي هنا سمينة كبيرة الجسم كـ اثر المواشي التي شاهدناها في طريقنا ولم أرقط في حياتي مواشي أجمل من مواشي الحبشة وقد سبق لي ذكر طرف من جمال الماعز وبياض الخرفان الناصع في الفصول السابقة . وأما ثيران الحبشة فانها لا مثيل لها وهي كبيرة الجسم على رقابها سنام من اللحم وقرونها طريلة ومتناسبة كالأهلة

وهي رخيصة جداً . فالثور الذي لا يباع بأقل من ١٢ ليرا في غير هذه البلاد يؤخذ هنا بليرة ونصف وسبب ذلك قوة انبات الارض ووجود المرعى وقد كنت ذكرت آنفاً ان اللحوم في بلاد الحبشة كثيرة ورخيصة للغاية .

وصلنا الى نهر جنقوره بعد ان سرنا ساعة ونصفاً . ويجري هذا النهر في أرض خالية من الأشجار وهو أسرع جرياناً من نهر بوركا فلذا كانت مياهه أنظف وهو يكفي لادارة حجري طاحون . وقد وقفنا هنا بضع دقائق نزودنا من الماء وشربت البغال ثم سرنا في طريقنا مارين في سهول قابلة للزرع ولكن المزروع منها جزوء صغير والباقي متروك . وأما الشجر في هذا السهل فأخذ في النقصان فما كنا نصادف شجرة الا كل ساعة ونصف . والاراضي المنروكة غير المزروعة كانت مغطاة بطبقة من العليق والنباتات البرية . وفي الساعة الحادية عشرة وصلنا الى ماء (لنادوي) الذي يشبه في بطاء جريانه وانسلاله بين الصخور والاحجار ماء (بوركا) واصطدنا هنا بطتين بريتين . ثم واصلنا السير الى أن وصلنا في الساعة الحادية عشرة ونصف الى ماء (تجفيدنسا) الجاري أيضاً ببطء وبعد نصف ساعة مررنا بماء آخر بطيء الجريان أيضاً وفي الساعة الحادية ونصف نزلت القافلة في الصحراء لتقضاء الليل . وهنا اضطررنا لكسر أحد صناديقنا الخاصة بالموئن لنتمكن من طبخ طعامنا فخرقناه مع الجملة . وأما نيران الليل فقد كانت كلها من الجملة لذلك كانت ضعيفة فكان ضعفها سبباً لاقترب الحيوانات الوحشية في الليل منا وازعاجهم ايانا بأصواتهم وعوائهم . وكان البرد في الليل شديداً جداً فكنا طول الليل نرتعش من البرد . وبردت مياهنا حتى تخالها مبردة بالثلج .



يوم الاربعاء ٢ حزيران (يونيو) مرحلة عقاقى

هضاب متوالية — ضيافتنا عند الحاج أحمد أفندي — غرامافون — يوفه

وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً أشرقت الشمس وأخذت ترسل حرارتها على الاطراف ومع ذلك رأينا ان نشرب الشاي لتدفئة أجسامنا . وما قدرنا ان نقوم من هنا الا في الساعة الحادية ونصف (عربية) صباحاً وذلك لتمنع البغالة من القيام بسبب وجود الكلاب بكثرة في هذا المحل . ومنذ رحلتنا من (الجبي) أخذنا تقطع الاراضي بصعود خفيف وأما الاراضي التي كنا تقطعها اليوم فانها كانت ذات مرتفعات ووديان خفيفة المنحدرات . وقد لاح لنا على بعد الوادي المسمى عقاقى الذي عزمنا ان تنزل القافلة فيه وظننا اننا اقتربنا منه وان ليس ثمة هضاب تحول بيننا وبين الوادي المذكور ولكن خاب ظننا هذا ذكنا كلما صعدنا اكمة نرى امامنا أخرى فنصعد في هذه وتهدر في تلك وهذا الطريق أشبه بالطريق بين رابع والمدينة فانه على هذا النمط أيضاً اذ يرى المسافر رابع عن بعد فيظنها قريبة منه فاذا صعده هضبة رأى هضبة أخرى امامه وبالجملة فقد وصلنا الى وادي عقاقى في الساعة السابعة بعد ان قطعنا عدة اكمت . وهذا الوادي واسع وعميق جداً الا ان الماء الجاري فيه ليس باكبر من نهر قسام الذي مررنا عليه في تاديما مالكا وفي موسم الامطار ينصب في هذا النهر كثير من السيول فيفيض الماء ويأخذ بالارتفاع في هذا الوادي العميق لذلك أقاموا عليه جسراً (كوبري) منتظماً من الخشب على قوائم مبنية من الحجر طوله ٣٠ متراً وعرضه متران . وأطراف هذا الوادي مثل الاراضي التي مررنا منها عاربية من الاشجار . ولما نزلنا في هذا المحل وعزمنا على تهيئة الطعام لم نجد خشباً لا يقاد النار لتسخين طعامنا فاضطررنا ان نجتمع من هنا ومن هناك قليلاً من القش والنباتات الجافة

كنا اتفقنا مع البغالة على ان نزل هذا اليوم في (جولا) وهي على بعد ساعة ونصف من آديس آبابا ولكن مضى علينا ونحن في العقاقى بضع ساعات ولم يصل منهم الا بضعة أشخاص كما ان هؤلاء لم يرضوا ان ينتقلوا من عقاقى ولا خطوة بل طلبوا ان تقضى هذه الليلة هنا . ويوجد في أعلا هذا الوادى مزرعة ومنزل للحاج أحمد أفندي عبد القادر الجداوى الاصل أحد التجار الكبار في آديس آبابا وقد كان الموما اليه دعانا بالتلفون عند ما كنا في (بالجي) للنزول في منزله هنا وفي آديس آبابا . وبينما كنا تناول طعام الظهر قرب النهر اذ وفد علينا حتى أفندي الداغستاني جواهرجى الامبراطور (منليك) وزكريا أفندي الالباني المتعهد للامبراطور بالاشغال القصبية وصحبتهما كثير من الناس ورجال من وكلاء أحمد أفندي وماليكه فكلفونا ان نصعد الى المنزل الكائن في أعلى الوادى . وبعد الطعام ركبنا البغال وأخذنا تتسلق تلك المرتفعات حتى بلغنا بعد نصف ساعة السهل الذي في أعلى الوادى ودخلنا في أراضٍ مزروعة هي ملك أحمد أفندي عبد القادر . ووجدنا بالمنزل الذي كان عبارة عن كوخ كبير كثيراً من الجوارى والسود والماليك وكهن مشغلات بتحضير الطعام وتمهئة المنزل . وقد كن أقن على الحشائش الخضراء التي امام المنزل صيوآناً كبيراً ذا قسمين وفيه فونوغراف كبير فاخذنا نسمع الادوار التركية من أنغام الاستانة وتناول من أنواع البسكويت والحلويات الجمدة المصنوعة من الفواكه مثل التفاح والكمثرى والاناناس وأشربة الليمون واللوز والرمان والسجائر المختلفة الانواع فظننت نفسي في قاعة أعظم أوتيل وبينما كان الفونوغراف يغني أنى خدمنا وجنودنا الاحباش وأخذوا ينظرون في الآلة الحاكية فخاروا ودهشوا وأخذوا يتساءلون فيما بينهم (كيف دخل هذا الانسان في هذه الآلة) ولم يقتنعوا بكلام القائل لهم انه لا يوجد في الآلة انسان ويظهر انهم لم يروا الفونوغراف الا هذه المرة فقط والحق يقال انى أنا أيضاً دهشت ولكن من روية الفونوغراف في هذه الاصقاع اذ لم يكن ليخطر على بالى انى سأجد فونوغرافاً في آديس آبابا . وبعد ان أوقفنا الفونوغراف

أخذنا تتجاذب أطراف الحديث نحن والذين وردوا لاستقبالنا وقال لنا وكيل أحمد أفندي أنه تخلف لاشتغاله بتزيين منزله ومهيبته في آديس أبابا وقد علمنا ان سرور المسلمين هنا من ورود الوفد السلطاني لا مزيد عليه حتى اننا رأينا البعض منهم يبكون من فرحهم وأخبرنا بان كل المسلمين القاطنين في آديس أبابا سيخرجون في اليوم التالي لاستقبالنا ولما وصلت البغالة ومعهم الاثقال نصبنا الخيام . وفي هذه الاثناء وصل أحمد أفندي عبد القادر من آديس أبابا وهو رجل على غاية من الترية والأدب والكرم وحب الخير وقد ثبت لي ذلك من أعماله ومن حسن شهادة الناس به ومما سمعته من المدح فيه والثناء عليه من أفواه الناس اثناء الطريق . وقد عجبت جداً من نشاط هذا الرجل الذي مع كثرة خدمه ومما ليكه ما كان يرضى الا ان يشتغل بنفسه وقد أرانا ورقة فيها اذن من ناظر قصر الامبراطور بنزول الوفد السلطاني بمنزله عاصمة الحبشة وذلك بناء على التماسه ذلك من النجاشي . ولا يمكننا وصف ما لقيناه من الاكرام هنا والادعية التي رفعت من أجل الحضرة السلطانية . وقد أخبرنا ان الاستقبال الرسمي الذي سيقام للوفد من قبل الحكومة سيكون في المحل المسمى (چولا) الذي يبعد ساعة ونصفاً عن العاصمة



يوم الخميس ٣ حزيران (يوليو) مرحلة جولا

الادعية للحضرة السلطانية — الاستقبال بالمياه المعطرة والزهور — لقاءنا الموسيو ايلغ —
التحية الامبراطورية — المطر والبرد الشديدين — رخص الحيوانات — ملاعز والغنم لا تحلب —
بردعة من فضة هي مكافأة — الحيوانات الوحشية أيضاً

استيقظنا اليوم مبكرين وأخذ كل منا يتبهاً ويلبس استعداداً للدخول الى
عاصمة الحبشة وبعد ان تناولنا فطورنا قمنا في الساعة الاولى والدقيقة ٤٥ على الحساب
العربي قاصدين (جولا) وبرفتنا جم غفير من المستقبلين وبعد قليل أقبل علينا
كثير من أعيان الهنود والعرب والمسلمين الاحباش الوافدين من العاصمة وكانوا
راكبين على خيول مطهمة وعليها السروج المزركشة ومرتدين باخر اللباس وهم يطلقون
بنادقهم في الهواء ترحيباً بنا . ولما اقتربوا من موكبنا نزلوا عن الخيول ووقفوا امامنا
رافعين اكف التضرع الى الله بالدعاء للحضرة السلطانية وبعد ان تم الدعاء أخذوا
يرشون المياه المعطرة علينا ويعطون لكل منا باقة من الزهور ومناديل حريرية ذات
روائح عطرية كما انهم علقوا على رأس الحصان الذي كنت راكباً عليه طوقاً من
الزهور ثم استأنفنا السير جميعاً وبعد بضع دقائق لقينا جماعة آخرين من المستقبلين
وهكذا أخذت الوفود تكثر الى ان قربنا من (جولا) فلاح لنا على بعد بضع مئات
من الامتار المسيو « ايلغ » السويسري الذي كان بمثابة رئيس نظار الامبراطور
منليك ومستشاره الخاص ومعه ثلاثون فارساً ولما تقاربنا نزل هو ورجاله عن الخيل
فترجلنا نحن أيضاً فبعد التحايا أبلغنا ان جلالتهم يهديننا تحياته الخصوصية ثم قال ان
الحكومة الحبشية ستستقبل الوفد السلطاني بصفة رسمية في اليوم التالي بكثير من الجنود
ورجال الحبشة . وان دخولنا الى العاصمة بصفة رسمية أيضاً وان الوفود المستقبلة
الرسمية ستحضر في اليوم التالي الى هنا

وبعد ان انتهى ذلك استأذن المسيو « أيلغ » بالاياب الى العاصمة لتلقي الاوامر
 الامبراطورية الخاصة باليوم التالي فرجوته ان يقدم ويعرض بالتليفون شكري العظيم
 بلالته ثم ذهب المسيو « أيلغ » ونصبتنا نحن الخيام والصواوين ونزلت قافلنا هنا
 لتقضاء هذه الليلة وأخذت ترد الوفود أفواجاً أفواجاً من اديس ابابا وكان بينهم هذه
 المرة كثير من الارمن والاروام وشاع بين القافلة ان الوفد لا ينزل بمنزل احمد افندي
 عبد القادر بل سيكون ضيفاً بمنزل احد اعيان الارمن وقد اكد لنا هذا الخبر أحد
 رجال معية النجاشي المساهين وعلى ذلك ركب احمد افندي حصانه وذهب توجاً الى
 اديس ابابا وفي الليل وصاني كتاب من الموسيو ايلغ ينفي ما أشيع ويؤكد صحة
 الكتاب الذي كان مع احمد افندي عبد القادر وفيه الاذن له بأن يضيف الوفد
 السلطاني بمنزله وفي الساعة الثامنة من النهار أخذت الامطار تنهمر بشدة فبالت داخل
 الخيام وتجمعت المياه في الاراضي المنخفضة والحفر التي امامنا حتى صارت كبرك
 وبحيرات صغيرة . وبينما كان المطر منهمراً أرسل لي أحد الاحباش قبعة لاحتفظها
 داخل الخيمة وبقي هو (أي صاحبها) مكشوف الرأس تحت أهوال المطر . وبعد
 قليل انتشعت الغيوم وظهرت الشمس وأخذت تعكس حرارتها الشديدة على السهول
 والوديان الرطبة . وكان امامنا مراعٍ واسعة ترعى فيها المواشي وبينها كثير من الخيول
 الجميلة . ولا ثمن للخيول هنا أي انها رخيصة جداً حتى ان الحصان الذي يساوي ٥٠
 ليرة لا يباع ولا يشترى هنا بأزيد من ست ليرات فقط . والخيول الجميلة في هذه
 البلاد هي التي تأتي من مقاطعة (ادال) . ورقاب هذه الخيول جميلة جداً الا ان
 مؤخرها غير جميل ولا ترفع اذناها وقت السير كما ترفعها الخيول العربية الاصيلة . ولا
 يستطيع المرء ان يأخذ معه خيلاً من هنا الى الاستانة للموانع الكثيرة التي تعترضه
 كغلاء الأجور بالسكة الحديد من دريدوه الى الساحل والبواخر من جيوتي الى
 السويس كما ان الحكومة المصرية تمنع اخراج الخيول الى الـ واحل المصرية تحوطاً
 من الامراض الحيوانية .

كان في صحتي بضعة عشر فارساً من الجاندارمة الجركس لما كنت قائماً بوظيفة مد السلك البرقي الحجازي بين الشام والحجاز . وكان هؤلاء الجنود تابعين لكوكة الجاندارمة المقيمة في لواء الكرك لذلك كانت خيولهم من أحسن الخيول العربية فإذا أراد الانسان ان يقتني واحداً من هذه الخيول بالاستانة لا يقدر ان يشتريه بأقل من خمسة وعشرين ليرة عثمانية . ولما عدنا الى سورية عن طريق البحر اضطر الجنود ان يبيعوا خيولهم الجميلة في جده بثمان بخس جداً لا يتجاوز ثمن الحصان الواحد ثلاث أو أربع ليرات . وذلك من كثرة المصروف في البحر والمشاق والعوائق . واهل جدة لا يحبون اقتناء الخيل لانهم يركبون المجن .

وليس هنا أي في البلاد الحبشية طريقة للاستفادة التجارية من رخص اللحوم والمواشي سوى طريقة واحدة وهي تأسيس فابريكات (معامل) في دريدوه التي هي المحطة الاخيرة من السكة الحديد أو في (هرر) القرية منها لعمل المحاشي المسماة (صوجوق) واللحوم المقددة المسماة (باصديرة) من الجواميس ولعمل خلاصة مرق اللحم واصداره الى الخارج . ورغم كثرة المواشي والابقار والجواميس في هذه البلاد خصوصاً في البقاع التي مررت بها تجد الاهالي لا يعملون الجبن بل لا يستخرجون من الالبان الا السمن والزبدة فقط . ولا يستفيدون شيئاً ما من البان الماعز والضان لانهم يأنفون من حلب الماعز والضان لصغر أجسامها وقلة ألبانها ويعدون حلب الماعز والنعاج تقصاً وعبياً كبيراً ويقولون ان لبن هذه الحيوانات هي حق لصغارها . وقد كنت كلما تسنح لي فرصة اذكر لهم ان في سورية وحلب تجمع العرب ألبان هذه الحيوانات وتستخرج منها السمن حتى ان السمن الذي نأكله بالاستانة هو من البانها فكانوا يستغربون مقالتي جداً . فاذا أنشئ في المحلات الآنفة الذكر معامل للجبن والسمن فانه يكون منها ارباح وافرة لان النقل منها واليها سهل بواسطة السكة الحديد ولان المراعي كثيرة فما من نفقات سوى أجرة الرعي فقط كان اليوم بين الواردين لاستقبالنا بعض الاعيان الراكبين على برادع من فضة

وهي احسان من النجاشي لان الانسان هنا لا يقدر ان يشتري بردعة من فضة ويركب عليها مهما كان غنياً بل هذه تمنح من لدن الامبراطور كانهام على من شاء .
 فهي الرمح والسيف والتمرس تعتبر في هذه البلاد في مقام النيشان والرتبة فلا يجوز استعمالها الا اذا اهداها النجاشي لاحد الناس . وقد كثر الزوار اليوم لدرجة عظيمة حتى صار محل نزولنا كسرق عظيم . والتف كثيرون حول الفونوغراف الذي شغله احمد افندي وأخذوا يسمعون الغناء بحيرة ودهشة عظيمة . وكان من جملة ما اسمعنا الفونوغراف بعض محاورات بين حواة (مرعبر) فكان من وقت لوقت يسمع من هؤلاء الحواة قهقهة فيقهقه القوم وهم منذهلون حائرون والبسطاء منهم ظنوا ان الاصوات اصوات شخص كانت صورته مرسومة على عدة الفونوغراف وأما الذين هم أعدل من هؤلاء البسطاء فلم يقبلوا هذا التعليل بل ادعوا ان الافرنج حبسوا شيطاناً داخل الماكينة على ان القوم بالجملة في منتهى الذكاء ولكنهم محرومون من نور العلم والمعارف ولا يعرفون ما هي المدارس

بعد الغروب أخذ الناس والزوار ينسحبون الى المدينة ولم يبق في محل نزولنا الا من كان قد أتى معه بخيمة . ولم نوقد هذه الليلة نيراناً عظيمة لان الخطب لم يكن كافياً الا لعمل القهوة وتسخين الطعام . لذلك اقلقنا الذئاب وغيرها بهجمات طول الليل واضطررنا مراراً لاطلاق البنادق لطردھا



يوم الجمعة ٤ حزيران (يونيو) آديس ابابا

السمي في بناء جامع — سرور الاهالي المسلمين — الاحتفال باستقبالنا — دخولنا الى آديس ابابا — دورغو الامبراطور — منزلنا — تاريخ الحبشة مختصراً — وصف الحبشة — الاهالي والتقسيمات الادارية ،

وعند الصباح ورد قبل كل الناس التجار الهنود المسلمون ومعهم صحف الورد والزهور والمياه المعطرة والمناديل ذات الروائح الطيبة وبينما كنا نشرب القهوة كنا تجاذب اطراف الكلام فانتقل حديثنا الى صلاة الجمعة وعلمنا منهم انه لا يوجد في آديس ابابا مسجد وان المسلمين يؤدون صلاة العيد في الفضاء . وقد قيل لي ان المسيحيين في آديس ابابا من غير الاحباش مثل الكاثوليك والروم والارمن أرادوا ان يبنوا كنائس خاصة بهم فعرضوا ذلك للحكومة الحبشية فأجابتهم انكم وايانا مسيحيون فيمكنكم ان تصلوا في كنائسنا فلا لزوم لبناء كنائس أخرى . فلذلك لم يقدم المسلمون لانشاء جامع خوفاً من ان تمنعهم الحكومة كما منعت النزالة الاخرى وقد علمت منهم ايضاً ان المسلمين الذين يبلغ عددهم زهاء الفين في آديس ابابا ليس لهم مقبرة خاصة بهم بل انهم يدفنون موتاهم في منازلهم وحدائقهم . فوعدهم عند سنوح الفرصة ان التمس من جلالة الامبراطور منح قطعة أرض لبناء جامع وأخرى لتكون مدفناً للمسلمين . فسرهم هذا الوعد أي سرور ودعوا للحضرة السلطانية وعلمت ان المسلمين في آديس ابابا كانوا منذ بضعة أيام يوالون الاجتماع في منزل أحدهم للتذاكر في كيفية استقبال الوفد السلطاني

وفي الساعة الثالثة ونصف جاء المسبوا يبلغ والمندوبون لاستقبالنا رسمياً ومعهم جميع المارس الملكي الخاص بالامبراطور والامبراطورة الموجود في آديس ابابا وأخذ

المسيو ايلغ يعرفنا بالذين جاءوا معه وكان بينهم من الاحباش رأس ولدي حاكم مقاطعة جرد السابق والنائب الامبراطوري الآن « وغراج كزو » و « فيتوراري آبردي » قائد الحرس الخاص بالامبراطورة ووكيله « دجاج آباتا » ومن العرب عبد الله عقيل وعبد الله صادق ومن الهنود المسلمين جراح وكيل غلام علي ويوسف علي وكيل محمد علي والحاج صالح المصوعي والشيخ أبو زرعة والحاج محمد أبو بكر وبعد التعارف والاستراحة قليلاً ركبنا الخيل وأخذنا بالسير قاصدين عاصمة الحبشة والجنود الحبشية سائرة امامنا وخلفنا . ولم تقطع مسافة قليلة حتى قدم علينا المسيو مارتن ده كا الملحق الحربي في سفارة فرنسا لباساً ملبسه الرسمية لاستقبالنا من قبل الموسيولا غرد السفير الفرنسي لدى بلاط النجاشي

كنا نسير والحديث متواصل تارة بيني وبين المسيو ايلغ والمسيو مارتن ده كا وتارة بيني وبين رأس ولدي بواسطة الترجمان . وكان منظر الوهاد كزمردة خضراء والعاصمة قائمة امامنا كأنها معسكر جسيم وفي أعلى هضبة منها القصر الامبراطوري . وكان جميع الذين أتوا من آديس آبابا لاستقبالنا باللبسة الرسمية الحربية فعلى رؤوس أناس منهم شعر رقبة الاسد (وهم الذين قتلوا أسداً) ومنهم من هو واضع على رأسه خوذة يتدلى منها على وجهه وصدرة حلقات وسلاسل رفيعة ومنهم من هو معلق في أذنيه أقراطاً وآخرون لابسون أساور في معاصمهم وكل من هذه الاشياء هي علامة فارقة وبمثابة وسام . وأما الجنود فانهم كانوا حفاة الاقدام سوى قوادهم والرأس ولدي والذين كانوا برفيتنا فانهم لابسون في أرجلهم حذاء من لباد نخين ومحل الاصبع الكبير من الرجل خارج من الحذاء كاصبع القفاز وذلك لاجل وضع الاصبع الكبير في الركاب عند الركوب

ولما دخلنا آديس آبابا وجدنا الشوارع والساحات وسطوح المنازل ملاءى وغاصة بالناس قد خرجوا ليتخرجوا على دخول الوفد السلطاني ويلروا (الجننار التركي) . وكان الناس من كل صوب يرحبون بنا واستمر هذا الموكب هكذا حتى وصلنا الى

المنزل الخاص بنزلنا فترجلنا وصاحت المستقبلين وشكرتهم وطلبت الى كبار المستقبلين ان يعرضوا شكري لجلالة الامبراطور والامبراطورة ثم دخلنا منزلنا وانصرف رجال الحكومة الى منازلهم

ولم يكن النجاشي وقتئذ موجوداً في عاصمته بل كان في مصيفه في محل يسمى آديس علم وهولنا ببني بعض قصور منذ مدة . وقد أخذت رأي الموسيو ايلغ في الذهاب الى المحل المذكور لاداء ما علينا فقال لي انتم الآن في حاجة الى الراحة من التعب الذي نالكم من هذه السفر البعيدة وان النجاشي سيحضر بعد بضعة ايام الى آديس آبابا بصفة خصوية لمقابلة الوفد السلطاني

والمنزل الذي نزلنا به هو ملك الحاج أحمد أفندي الذي مر ذكره آنفاً قد خصصه الامبراطور لنزلنا فيه بناء على التماس أحمد أفندي من جلالته وكان الماء كل والمشرب وكل ما يلزم لنا يأتي من قصر النجاشي . وكانت المون التي أرسلت اليوم عبارة عن عجل كبير وثلاثة خراف كبيرة وثلاثة خراف صغيرة (قوزي) ومائة رغيف من الخبز وخمس جرار عسل وخمس جرار من المشروب المسمى (تيج) وقدره كبيرة من السمن وقدره أخرى من البربري (وهو صالصة الفلفل الاحمر المقلي) وأشياء أخرى . وقد أرسل محمد أبو كمر على طريق الهدية ثوراً وثلاثة خراف وثلاث قرايز من الشراب وكان هذا الثور هائجاً جداً حتى ان الخدمة والجنود لم يقدروا على ضبطه فاضطروا ان يضربوا رجله بالسيف لذبحه .

ومنزلنا هذا ذو دورين مع ان جميع منازل آديس آبابا ما فيها الا دور واحد فقط والمنزل بهو كبير على أطرافه شرفات واسعة والمنزل امام ساحة واسعة حيث تقام سوق المدينة والبهو الذي كان طوله ١٥ متراً وعرضه ٨ أمتار كان مفروشاً بالطنافس الجميلة وأبوابه وشبابيكه مزينة بالستائر المزركشة التي نراها عند بائعي الآثار القديمة (الأتيكات) في الاستانة . وقد عمل صاحب المنزل الحاج احمد أفندي كل ما في وسعه وأحضر كل ما يلزم لراحتنا وكان على سرور عظيم من وجود الوفد بمنزله

يستقبل الزائرين بوجه باش ويناظر أعمال الخدمة والطهارة ومحضري القهوة والخوانات
(سفر الاكل) وبالجملة كان يريد ان يقوم بكل الاعمال بنفسه والناس من حوله
تهنته على نزولنا بمنزله . وقد سافرت كثيراً وجلت في بلاد كثيرة فلم أراكراماً
بهذه الدرجة .

قلنا آنفاً ان النجاشي لم يكن موجوداً في آديس ابابا والعادة هنا ان القادم لا
يمكنه رد زيارة أحد قبل مقابلة النجاشي فلذلك عزمنا ان اشتغل لحين عودة جلالته
من مصيفه باستطلاع أحوال هذه البلاد وتدوينها في مذكرةاتي .



مجمّل ماضى الحبشة

عند ما جعلت السلالة الثانية عشرة من الفراعنة الاراضي الكائنة بين الشلال لاول والثاني ولاية تابعة للحكومة المصرية تقدمت الجنود المصرية الى أن وصلت الى سفوح جبال الحبشة وأخذت في غزو المدن والتهب والسلب . وفي زمن السلالة الثالثة عشرة تغلغت الجنود المصرية الى ان وصلوا الى ملتقى نهر تاكازا بنهر النيل وبذلك جعلوا الحبشة شبه تابعة لمصر وانتشر الدين واللغة المصرية اذ ذلك في هذه البلاد وصارت الحبشة كولاية ممتازة تفوّض ادارتها في الغالب لامراء من أولاد الفراعنة . وقد أقام المصريون في بعض المحال من الحبشة مسلات وأبنية فخيمة وآثاراً ضخمة كالآثار المصرية القديمة . وفي سنة ٩٣٠ قبل الميلاد استقلت هذه البلاد وبين سنة ٧٤٠ و٧٣٠ قبل الميلاد هاجم بيونكي ميامون صاحب الحبشة البلاد المصرية واستحوذ عليها و بعد خمسة عشر عاماً تقدم فرعون الحبشة المسمى ساباسون بجنوده حتى اوصل فتوحه الى ساحل البحر المتوسط وصار رسمياً في عداد الملوك العظماء و اسس عائلة حاكمة جديدة . ولما أخذ فراعنة الحبشة من خلفاء هذا الملك يتدخلون في شؤون السور بين واليهود وقعت محاربات بينهم وبين الملوك الاشوريين فاتصر اسسار هندو أحد الملوك الأشوريين على الاحباش سنة ٦٧٠ قبل الميلاد فاوغلت جنوده في البلاد المصرية حتى وصلوا الى منفيس وفي سنة ٦٦٦ قبل الميلاد تقوى قانواتامانو ابن ساباسون المار ذكره لاسترجاع البلاد المصرية ولكن لم تبق هذ البلاد في حوزته كثيراً اذ هاجمه أسور بانيال الملك الاشوري سنة ٦٦٣ قبل الميلاد فاتصر عليه في واقعة قرب طيبه واستولى على البلاد المصرية مرة أخرى . و بعد هذه الواقعة انزوت الحكومة الحبشية عن باقي الدول المتدنة الموجودة اذ ذلك وانفردت

عنهم . وكانت مدينة (ناباتا) عاصمة الحبشة وقتئذ وادارتها بيد عمون والكهنة . وقد كان هؤلاء الكهنة الروحانيون مستبدين للغاية حتى ان ارادتهم كانت غالبية ارادة الملوك وحتى انهم كانوا يأمرؤن الفرعون من الحبشة ان ينتحر اذا لم ينفذ ارادتهم أو ان قام بعمل ضد رأيهم ثم ينتخبون آخر من العائلة الحاكمة . واستمر نفوذ الكهنة حتى أتى ارغامق الى العرش الحبشي فكسر سطوة الكهنة وبما نفوذهم . وقد أخذ ملوك الحبشة في زمن بطالسة مصر يسمون في توسيع حدود مملكتهم شمالاً فاستولى ارغامق هذا على فيلة اعتماداً على أن أخلافه يستردون (طيبة)

ولما استولى الرومانيون على البلاد المصرية تحت قيادة غوستاف اوغوست سنة ٢٠٠ قبل الميلاد أراد ملوك الاحباش ان يؤسسوا علاقات حسنة بينهم وبين الرومانيين ولكن هاجمهم نيرونيوس الروماني سنة ٢٣ قبل الميلاد وأحرق (ناباتا) عاصمة البلاد الحبشية التي بقيت متخربة ولم تعمر ثانية وقامت مقامها مدينة (بارودا) الكائنة جنوباً والتي يسميها اليونانيون (مهروه) كماصمة البلاد . وللسلالة الثالثة من الاحباش آثار قديمة كعابد واهرام ومدافن أقيمت في الاراضي التي بين الحبشة وقرب ملتقى النيل الازرق والنيل الابيض . وكانت لغتهم وقتئذ هي اللغة المصرية وخطوطهم هي خط الهيروجليف . واتخذ الاحباش فيما بعد هيروجليفاً آخر ولكن متخصصي الآثار القديمة لم يقدرؤا على حل رموزها

وأما حدود الحبشة القديمة فانها كانت تجاوزت حدودها الحالية شمالاً كما انها كانت تجاوزت خط الاستواء جنوباً وتخطت النيل الابيض وتوابه غرباً ويقال انها بلغت حوض السنغال والنيجر في ما وراء بحيرة (چاد) واما من الشرق فانها وقفت عند ساحل البحر الذي هو حد طبيعي فيدل ذلك على ان البلاد الحبشية القديمة كانت قد أدمجت فيها كثيراً من الاقوام والعناصر الاخرى السوداوية غيرالعنصر الحبشي الموجود الآن ولكن أخذت فيما بعد حدود الحبشة تنكش وتضيع شيئاً فشيئاً من بلادها الواسعة حتى انحصرت بين البحر الاحمر والنيل الابيض والسودان المصري

وزنجبار ولم ينصرم القرن الاخير الا وكانت اخرجت من يدها سواحل البحر الاحمر كله أيضاً و بقيت محصورة في الحدود الحالية التي سنصفها فيما بعد والبلاد الحبشية الاصلية هي جبال ووهاد وحزون صعبة المرور كأنها قلاع وآطام قائمة للدفاع عن البلاد . فلذلك لم يكن فراغت مصر يعمدون الى التوغل في داخل الحبشة بل يكتفون بارسال جنودهم براً للنهب والسلب على طول النيل الازرق ونهر تاكازا لحد الجبال المذكورة ومن جهة البحر يكتفون بغزو مصوع وجيبوتي والسواحل الاخرى . وسكان الحبشة القدماء كانوا يشبهون في احمرار لونهم سكان البلاد المصرية والبلاد الجنوبية من جزيرة العرب . وقد كان هاجر قبل الميلاد على مدى العصور أقوام من جزيرة العرب مارين من مضيق باب المندب الى بلاد الحبشة حتى ان اليونانيين عند ما أتوا لأول مرة لاكتشاف هذه البلاد من سواحل البحر الاحمر وجدوا فيها سكاناً يتكلمون لغة أهل حمير وسبا الكائنين في جنوب جزيرة العرب

وقد احتل أمراء العرب الاقدمون البلاد الواسعة التي لم يستحوذ عليها فراغت تابانا ومرورة وجعلوها تابعة لهم وحكموها مباشرة أو بطريق الحماية من القرن الثالث قبل الميلاد الى القرن الرابع بعده . وكانت وقتئذ مدينة (آقسوم) هي أعظم عواصم البلاد الحبشية . وكان للاجباش وقتئذ علاقات وصلات بواسطة التجارة بالمصريين والرومانين واليونانيين الذين كانوا يردون على بلادهم وكانت الديانة الاسرائيلية دخلت اليها من اليمن قبل الاسلام والنصرانية . وأما النصرانية فانها دخلت اليها على يد الراهب فرماتيقوس الذي أرسلته الامبراطورة (التي) زوجة قسطنطين امبراطور القسطنطينية ولم تنتشر هذه الديانة في البلاد الحبشية الا بعد قرنين من دخولها على يد الرهبان الذين أرسلهم يوستينيان من مصر وهم الذين لقنوا سكان الحبشة المذهب الاوتيكوسي من الديانة المسيحية

ويقول الرهبان الاجباش ورجال الدين عندهم ان التواريخ والقيود المحفوظة

بالكنائس والاديرة تصرح بان العائلة المالكة الموجودة الآن هي من سلالة منليك ابن سليمان بن داود من زوجته بلقيس ملكة سبا وان ملوك هذه السلالة كانت فيما مضى اتخذت (اقسوم) عاصمة لملكهم . هذا ما يعتقده كبار الاحباش . وهذه الحكومة الموجودة في اقسوم لم تقدر على حفظ قوتها وأخذت بالانحطاط حتى بلغها الضعف الى ان طمع فيها اليهود الساكنون في أراضي (سمين) الكائنة على شمال الحبشة الى الشرق فقامت فتاة منهم اسمها (ايوديت) أو (استير) وزحفت على رأس الثوار اليهود وكانت سبباً لادخال الاراضي لحدشوا تحت حكم أولئك اليهود . وقد حكم منهم بعد أستير أحد عشر ملكاً أشهرهم (لابلأبا) الذي حكم وعاش في أواسط القرن الثاني عشر . ويقال ان لهذا الملك الاسرائيلي كثيراً من آثار العمران باقية الى يومنا هذا في تلك البلاد . وقام سنة ١٢٥٥ م ايغون عمليق ملك شوا الذي هو من السلالة الحاكمة القديمة أي من نسل منليك الاول وأعاد الامن والراحة لداخل البلاد ولكن كانت السواحل كلها وقعت بيد المسلمين الذين كانوا دائماً يغيرون مع اليهود على البلاد الحبشية . وفي أوائل القرن الرابع عشر استرد أمداسيون مدينة زيلع . وقد بلغت هذه العائلة الحاكمة الدرجة القصوى من السطوة والقوة في زمن اسحاق . ولكن بعد ذلك أخذت قوتها تفتر بسبب حروب المسلمين وبسبب الفتن الداخلية . وقد غزا محمد غراني هذه البلاد وفتح القسم الكبير منها وترك حكومتها على وشك الانقراض ولم تتخلص من وهدة الدمار الا بمعاونة البورتغاليين الذين عقدوا عهداً مع الحكومة السالفة الذكر على اباحة دخول قس الكاثوليك الى الحبشة نظير معاونتهم لها على المسلمين

وفي سنة ١٥٣٣ هاجم المسلمون البلاد الحبشية تحت قيادة أمير زيلع وداساوا امحرا وتيفري بخيلهم ورجلهم وضرخوا اقسوم عاصمة البلاد الحبشية ثم عادوا متقهقرين أمام الجنود البورتغالية المتحدة مع الاحباش . وبعد ذلك قامت الفتن في داخلية البلاد الحبشية بسبب انهماك البورتغاليين لنشر الكشكة في الحبشة فغضب لذلك

رجال الدين الحبشي فوقعت وقائع دموية بين أتباع المذهب الاوتيكوسي وبين أتباع المذهب الكاثوليكي واستمرت هذه المحاربات الدينية قرناً كاملاً وبالنهاية تيسر للاجباش في القرن السابع عشر أن يطردوا القسس الكاثوليك من بلادهم ونقلوا عاصمة ملكهم الى (غوندار) . وبعد هذا التاريخ بقيت بلاد الحبشة مغلقة في وجه الاورو بين قرناً ونصف قرن . وفي سنة ١٧٥٠ قام قسس الكاثوليك المرسلين لنشر مذهبهم بين الاجباش فنشأ من ذلك ثورات أدت الى مهاجمة الغالين للحبشة ووقوع نقلاهايمانوت الملك الحبشي في الاسر . وفي سنة ١٨٠٠ نجح مالك تيغري بتسكين البلاد واعادة الامن اليها ولكن الثمن والثورات عادت اليها بعد وفاته ودامت للقرن التاسع عشر فتركت اجتهاد الاورو بين لاكتشاف الحبشة وتمدين سكانها عقياً وقد انقسمت وقتئذ بلاد الحبشة الى ثلاث حكومات تابعة اسماً لملك واحد وهذه الحكومات هي شووا وتيغري وامحرا . وفي سنة ١٨٥٠ قام مدير قصر أمير شووا المدعو (قلسا) واغتصب الحكم من رأس عسلي الامير الاصيل ثم هاجم حكومة امحرا سنة ١٨٥٢ واستولى عليها كما هاجم عام ١٨٥٥ حكومة تيغري وفتحها أيضاً وأعلن نفسه في أنقوبر ملكاً باسم تيودوروس . وقد انتصر على الغالين ثم ألف جيشاً من ١٥٠.٠٠٠ جندي وأراد أن ينظمهم على الطراز الغربي الجديد كل ذلك لاعادة سطوة الحبشة القديمة واعلاء مجدها

وكانت علاقته بالدولة الانكليزية حسنة ولكنها ساءت هذه الصلات الحسنة فيما بعد واتقلبت الى العداوة فارسلت انكلترا في سنة ١٨٦٨ حملة حربية تحت قيادة الجنرال نايرفانهمز تيودوروس في واقعة مجدلا فاتحتر . وأما الجنرال نايرفان انه انسحب هو وجنوده من الحبشة في سنة ١٨٦٩ بعد أن عقد عهداً مع رأس قلسا أمير تيغري . وفي سنة ١٨٧١ أرغم رأس قلسا رأس غوبازية امير امحرا ورأس منليك (وهو الامبراطور الحالي) أمير شووا للطاعة اليه والاعتراف بملكه على الحبشة كلها ولبس تاج الامبراطورية باسم يوحانس وفي هذه الاثناء قام اسماعيل باشا خديو مصر

الاسبق لضم بلاد الحبشة الى الخديوية المصرية واستولى في سنة ١٨٧٢ على بلاد
 بوغوس وقصبتها كره تي ولكن الحملة المصرية التي أرسلها في سنة ١٨٧٤ وفي سنة
 ١٨٧٦ للاستيلاء على تيغري انهزمت أمام جنود الحبشة فرجعت من حيث أتت .
 وحدث في اثناء ذلك حوادث ذات بال مثل عزل اسماعيل باشا ثم فتنة عرابي وظهور
 التمهدي فنجت هذه الحوادث يوحانس من حملة المصر بين ولكنه وقع بين مطامع ايطاليا
 الاشعبية من جهة وهجمات شيعة التمهدي من جهة أخرى . أما الطليان فانهم دخلوا
 مصوع في شهر سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٨٥ فارسل يوحانس عليهم حملة يقودها رأس
 الولد فانتصر في دوغالي على فرقة صغيرة من الجنود الايطالية . وفي سنة ١٨٨٩ انصاع
 يوحانس لنصائح الانكاييز وتحريضاتهم فهاجم شيعة التمهدي في القلابات حيث انهزمت
 جنوده وقتل هو في الواقعة نفسها . وبعد ذلك خلفه في الامبراطورية منليك أمير
 شوعا . وقد استفادت ايطاليا من وفاة يوحانس وانهزام جنوده ولكنها طمحت
 وأرادت المزيد فاعلنت الحرب على الحبشة فعادت الدائرة عليها في واقعة عدوه حيث
 انهزمت شر هزيمة واضطرت ان تعقد مصالحة مع جلالة منليك الذي تأيد مركزه
 وصار بعد ذلك مائلاً للموآ الحبشة بدون منازع وهو الآن يحكم بلاده بكل هدوء وسكون



مختصر جغرافية الحبشة

ان بلاد الحبشة يحدها من الشمال بلاد السودان المصري ومستعمرة أرتيرة الطليانية ومن الشرق المستعمرة المذكورة أيضاً والصومال الفرنسية والصومال الانكليزية ومن الجنوب أوغادن الانكليزية ومن الغرب بلاد السودان المصري أيضاً. وهذه البلاد ليست كلها أراضي جبلية بل تحتوي على أراض مختلفة الطبيعة من حيث الاقاليم والتكون فخذ مثلاً هذه الاراضي القائمة عليها آديس أبابا والبلاد الاخرى التي على هذا السهل الجبلي فإنه لا فرق كثيراً بينها وبين البلاد الباردة كما ان أراضي هرر الوسيعة التي مررنا منها هي سهول جبلية مرتفعة مناخها في غاية الاعتدال. أما الاراضي المحاذية لساحل البحر الاحمر المسماة « سمهرا » فهي منحطة وشديدة الحرارة. والاراضي الجنوبية الواقعة في جوار مهر صوبات من توابع النيل الابيض هي مستنقعات. وسلسلة الجبال الواقعة في « السمهرا » الجهة البحرية منها شاهقة جداً والجهة الاخرى تأخذ بالميل والانحدار بالتدرج وبذلك يكون منها سهل مرتفع يعلو عن سطح البحر ١٥٠٠ متر. ويوجد على هذا السهل بعض جبال وهضاب مختلفة الارتفاع والبعض منها تعرف باسم امبا وتشبه شكل المنشور القائم الهندسي ويصعد بصعوبة على بنض هذه الهضاب وبعضها يتعذر الصعود عليها. وأعلى هذه الجبال كلها سهول معورة ذات خصب وبعضها تعلو عن سطح البحر كثيراً مثل سهول سمين وغوجام فان علو كل منهما عن سطح البحر يبلغ ٢٤ متر وعلو سهل (سوويرا) ٣٠٠٠ متر وعلو سهل رأس داشان ٤٦٢٠ متر وعلو جبل (قولو) ٤٣٠٠ متر والبحيرات الكبيرة المشهورة في الحبشة هي بحيرة (تسانا) التي ينبع منها النيل الازرق وكثير من البحيرات في الجنوب الشرقي منها

ان القسم المنحط في البلاد الحبشية حار جداً وهو خصب لحرارته مع كثرة سقوط الامطار حتى ان التمر الهندي والقصب الهندي ينبتان هنا بحالة طبيعية ويكون منهما غابات جسيمة . والقسم الوسط معتدل يحتوي على الارض التي تعلو عن سطح البحر من ١٨٠٠ متر الى ٢٤٠٠ متر وينبت فيها جميع ما ينبت في جنوب اوروبا مثل اشجار الزيتون والعنب والدررة والدخان والقهوة وما أشبهه . والقسم المرتفع بارد ويعلو عن سطح البحر اكثر من ٢٤٠٠ متر ومناخه جيد جداً ويُذكر الانسان بجبال وأراضي سويسرا والباقان والألب . وقد يشتد البرد في هذا القسم لدرجة الصقيع . ويوجد في الحبشة كثير من الوديان تنتهي الى البحر الاحمر هي كنعرع وأنهار ولكنها تبقى يابسة في موسم القيط . وفي الجهة الغربية يوجد غير السيول المنحدرة الى وادي النيل كثير من الانهار منها النيل الازرق ونهر اومو ومارب وتكازا و تبرة وكلها تنصب الى الوادي المذكور . ومن أنهار الحبشة المشهورة ايضاً نهر أوأش ولكن اتجاه جريانه بعكس الانهار المذكورة . ويوجد غير ذلك من الانهار الصغيرة وقد مر ذكرها والمسافر في هذه البلاد مضطر لحمل ماء لمسافات طويلة

— ❦ اجناس الاهالي وتقسيمات الادارة ❦ —

ان سكان الحبشة ١٢ مليون نفس منها ثمانية ملايين مسلمون وأربعة ملايين مسيحيون . ويوجد ٥٠ ر ٢٥ اسراييلي في جهة سامن . ويتقسم الاحباش على قسمين الاول الاحباش الاصليون والثاني الفالالا . والاحباش قوم نشأوا من اختلاط وتزاوج أهالي هذه البلاد بالمصريين القدماء والاقوام السامية الواندة من جنوب جزيرة العرب . فيشبه البعض منهم العرب والبعض يشبه السوداني . أما الذين يشبهون العرب فانهم أجمل منظراً من الآخرين ويمتازون عليهم بالشكل والهيئة واللون المائل للبياض ودقة الانوف والافواه واعتدال القامة وتناسب الاعضاء

فالذين يقطنون سهول سامن وسواحل بحيرة تانا هم من هذا الجنس . والاحباش لا يعدون من جنس الزوج بل انهم معدودون من الاجناس السامية . والاحباش الاصليون يقطنون السهل الاكثر ارتفاعاً في بلاد الحبشة ويسكنون القسم الفوقاني من هذا السهل القائم كالقلاع والآطام

أما الفاليون فانهم يسكنون في القسم الجنوبي من الحبشة ولهم دين أصلي الا ان السواد الاعظم منهم تقلد الاسلامية وبعضهم تقلد المسيحية وقد نشأ هذا القبيل من تمازج الاحباش والزوج والصوماليين وهم منتشرون في الحبشة الجنوبية وبلاد الصومال وأوغادن حتى منطقة البحيرات . ويحزر عددهم بسبعة ملايين الى ثمانية وقد كانوا أسسوا فيما مضى حكومة قوية في قتيار وأخذوا يدخلون بلاد الحبشة في القرن السادس عشر . ولون البعض منهم يشبه الاحباش والبعض يشبهون السودانيين وقاماتهم معتدلة وأجسامهم قوية جداً . وهم نشيطون وقد سبق ذكر ذلك آنفاً . ومن الفاليين من يشتغل بالزراعة والفلاحة وهم المتحضرون ومنهم من لا يزال في حالة البدو وكلهم أهل جسارة وضرب وطعان . وكلهم على جانب عظيم من الذكاء ولهم قابلية عظيمة للتربية والتعليم . كان يترجم الاولاد الفاليون محادثتنا مع الصوماليين الذين لا يعرفون التكلم باللغة العربية . والفاليون ينقسمون تقريباً الى ٦٠ قبيلة ولهم احترام عظيم لرؤسائهم القبائل والمسامون منهم يتعيشون من الزراعة والمواشي

أما الاحباش فانهم شغفون بحمل السلاح والحروب وهم على جانب عظيم من الذكاء والجسارة . وكثرة الحروب الداخلية ناشئة من ميل هؤلاء الى الضرب والطعان . واكثر اشتغالهم بالمواشي على انهم لم يهتموا بالزراعة والفلاحة بالمرّة وهي في غاية البساطة عندهم يستعملون في الزرع والفلاحة آلات خشبية . وقد سمعت من أرباب الوقوف انه لم يزرع من الاراضي القابلة للزرع في بلاد الحبشة الا نحو الربع وأظن ان هذا القول صحيح لما رأيت . ويتغذى الاحباش بالحبوب والالبان واللحوم ولا يقبل على الماء كولات والمشروبات الواردة من الخارج الا أهل الثروة والوجاهة

منهم . والصناعات عندهم تطرية الجلود ودبغها وصنع الاسلحة الجارحة وحياء كة بعض الانسجة الغليظة من القطن والصوف وكانت المنسوجات الوطنية رائجة وكافية لحاجة أهل البلاد ولكن لكثرة دخول المنسوج المسمى (بفتة سمراء) تغلب على المنسوجات الوطنية برخص ثمنه وصار الناس يقبلون عليه

هذا والحبشة ولايات متعددة ممتازة كل واحدة منها مستقلة في ادارتها الداخلية وتدفع اتاوة سنوية للنجاشي واكبر هذه المقاطعات هي : شووا ، وانحرا ، وتيغري ، وهرر ، وغوجام ، وجابا جفر . والمقاطعات الصغيرة هي : في الشمال هما زن ، واوحاسين ، واغامة أو عقامة ، وساروري ، وشيري . والمدن الشهيرة التابعة لها هي : آقسوم ، وآدووا ، واندرتا . والمقاطعات التي في البلاد المتوسطة هي : واغفاره ، وسهمن ، ووهه ، ولاستا ، ودمبآ . ومدنها المشهورة هي غوندار والافا . والمقاطعات التي في الجنوب هي : داموت وكاففا وغوراغه ومدنها الشهيرة آديس آبابا القائمة مقام انكوبر والتي هي عاصمة البلاد كلها . والمقاطعات الكبيرة ترتبط مباشرة بالامبراطور وترجع اليه في شؤونها من غير واسطة ويدير كل مقاطعة رأس والمقاطعات الصغيرة يديرها مأمور برتبة أصغر . وهذا الترتيب أشبه باصول الحكومات القديمة التي كانت تسمى Feodalisme لان كل مرووس لا يعرف سوى رئيسه الذي عينه في وظيفته وله ان يأخذها منه متى شاء فالرأس كأنه حاكم مستقل في دائرة حكمه يدير شؤون البلاد الملكية والعسكرية كما يشاء وللرأس ان يحارب الاجانب كما ان الرووس كثيراً ما يحارب بعضهم بعضاً أيضاً . ومن حقوق الرأس ان يفرض على الناس ضرائب حسب رغبته ويشترى الاسلحة وبالجملة ان الرأس مع كونه تابعا للامبراطور هو حاكم مطلق التصرف . وعلى الرأس ان يؤدي ااتاوة الى الامبراطور وان يطيع أوامره في تعبئة الجيوش وسوقهم الى ساحات القتال وقت الضرورة . وبعض الاحيان يعطى لقب (نفوس) أي حاكم أو ملك لبعض كبار الرووس ولقب الامبراطور هو (نفوسي نيسي) أي ملك الملوك وهذه الالقاب التعظيمية خاصة فقط بالكتابة وأما الامبراطور

فانه معروف بين الناس بلقب (جانهوي) . والامبراطور الحالي هو صاحب ومالك مقاطعة شوا فهو في آن واحد امبراطور المباشة ومالك مقاطعة . وكثيراً ما يتمدى الرؤوس على بعضهم عند ما يجد الواحد منهم عنده قوة كافية لذلك لاغتصاب بلاد الآخر ونزعها من يده وقد يشورون في وجه الامبراطور نفسه لان الامراء أي الرؤوس لا يهتمهم سوى الاشتغال بتزويد قواهم وسطوتهم العسكرية والحروب والضرب والطعان بدلاً من ان يشغلوا باتماء ثروة البلاد وباحياء الزراعة والتجارة وتوفير أسباب سعادة الاهلين . والسلم ولا من موطدان الآن في داخل المباشة وجميع الرؤوس والامراء منقادون للامبراطور تمام الانقياد وخاضعون لاوامره فليس لهم أدنى علاقات مع الخارج أي الاجانب وبعض كبار الاحباش الذين لا تأمن الحكومة المباشية جانهم وتشك في صدق اخلاصهم مبعدون في محلات بعيدة ومنفردة وهم دائماً تحت المراقبة الشديدة ومن هؤلاء رأس سابات ورأس منفاشا ولد يوحانس فان منفي الاول في هرار والثاني في انكوبر



السبت ٥ حزيران (يونيو) آديس ابابا

الجنائز — الدفن — البكاء بالاجرة — المأتم — الميراث — التواضع امام الكبار —
المسلم والمسيحي لا يأكلان على مائدة واحدة — امراء جبابجر — الطغراء السلطانية — بعض اصناف
من اطعمة الحبش — كيفية عمل المشروب المسمى تيج — برز — العسل الطبيعي — تأسيس آديس
ابابا — الطريق بنشأ .

في الصباح حضر لعندي رجل من قبل راس ولدي للسؤال عن صحتي وراحتي
ثم بينما كنت في غرفتي سمعت صياحاً من الخارج فخرجت الى الشرفة لاستطلاع
الخبر واذا بجنائز رجل مسيحي امامها بعض قسس متعممين بعمامات بيضاء على لباد
طويل ووراء الجنائز كثير من النساء يقفن في سيرهن ويصحن على نعم واحد
قائلات ووج ووج ووج وعند ما يقفن تروح أيديهن وتحجي كأيدي الجنود التي تمشي
مشياً سريعاً (جهناستيق آديم) . ويحمل النعش المغطى بغطاء أبيض أربعة أشخاص
على اكتافهم . والمسلمون هنا يكفنون ويدفنون موتاهم على الوجه المعلوم عندنا وأما
المسيحيون الاحباش فاتهم يلفون الميت بالاقشة لفاً كما كان يفعل المصريون القدماء
بلف مومياتهم . واذا كان الميت من ذوي المكانة يستأجرون نساء للعويل والبكاء
يسرن وراء الميت هذا عدا النساء ذوات القرابي للميت . ويمشي الرجال وراء النساء
وبعد وضع الميت في قبره يأخذ اقارب الميت بالبكاء والصرخ حول القبر مدة ساعة
وهم يقفزون ثم يرارونه في التراب . ويدفن الاغنياء منهم بتواييتهم . وبعد الدفن
يذهب المشيعون الى منزل الميت وهناك يستمر البكاء والعويل مدة أسبوع وقد
يستمر اكثر من ذلك على حسب الحال . وفي اثناء هذه المدة يأكل اقرباء الميت
واوداؤه المأكل الفاخرة ويشربون المشروبات النفيسة وهذه المأتم التي تكون
بحسب مكانة المتوفي لا تقل عن احتمالات الافراح فيصرفون الماال بسخاء واسراف

ويعاد هذا الاحتفال يوم الاربعين أيضاً . ويحلق النساء القربيات للميت وسيا الزوجات زووسهن ويكون جباهن وخدودهن بمحيدة حامية لدرجة الاحمرار علامة على الحداد على ميتهن . ومن العادات هنا ان الزوج والزوجة يرث كل منهما الآخر وبعد وفاة الاثنين ينتقل ما يملكه الى اولادهما وتأخذ البنت كما يأخذ الصبي بالمساواة وانما على الورثة قبل تقسيم الارث ان يؤدوا مصروف المآتم والجنائز واذ لم يف الارث المتروك بهذه النفقات يضطر الورثة ان يؤدوا ما بقي من جيهم . لانه من الواجب ان ينفذ حكم العادات . واذ كان الميت لم يترك وصية فان الكلام الذي فاه به الى القسيس الذي اعترف اليه لآخر مرة قبل موته يقوم مقام الوصية . والقسيس يعلن للاقرباء والناس ذلك بعد وفاة المعترف .

ولما أتممت تدوين ما حققته بخصوص الموتى والمآتم حضر المسيوليشين ترجمان سفير روسيا للسلام علينا من قبل السفير . وبعد قليل ورد لزيارتنا آتو باشا بالانتخ الذي كنا نعرفنا به في مرحلة تاديجامالكا وقد كان اكرمنا غاية الاكرام وأراد ان يهديني بغلاً . وقد كنت رأيت في تاديجامالكا بملابس ثمينة وعلى رأسه قبعة جميلة وعليه ثوب من الجوخ الاسود داخله بالحرير . ولكن لما ورد لزيارتنا هنا رأيت بعكس الهيئة المذكورة اذ كان حافي القدمين ، مكشوف الرأس وملابسه قيص ولباس مصنوعان من البفتة السمراء وعليهما ثوب من اللباد العريض . وجلسنا نتكلم وكان صاحب المنزل يترجم كلامنا فسألت المترجم عن سبب ذلك من غير ان يشعر الرجل فقال انه عند ما يكون في العاصمة يضطر لمقابلة كثير من الرؤساء والامراء فلذلك يرتدي بالملابس البسيطة اظهاراً للتواضع والخضوع والاطاعة حتى ان بعض الاغنياء منهم يتظاهرون في بعض الاحيان بالفقر والفاقة امام الرؤساء وهذا يعد من جهة تواضعاً ومن جهة أخرى باباً للوصول الى السلامة من طمع الظالمين . وقد ترك زائري جميع خدمه وبعاله في شولا وحضر وحده الى آديس ابابا .

وفي اثناء الكلام انتقل حديثنا الى خصوبة اراضي الجبشة فعلمت ان الاراضي

هنا تعطي في السنة مرتين من المحصول وفي بعض الاحيان ثلاث مرات وان كروم العنب تثمر مرتين أيضاً في السنة كما ان الغنم والبقر تلد مرتين. وقد كان الوقت الآن وقت طعام الغداء فأردت ان أدعو الآتو الى الطعام فقبل دعوتي بتردد وتحرز. فلما آن وقت الجلوس على المائدة رأيت ان الموككين بالموائد رتبوا مائدة خاصة بالآتو غير مائدتنا. فسألت عن سبب ذلك فقالوا ان المسيحيين في الحبشة لا يأكلون مع المسلمين على مائدة واحدة وكل من الفريقين لا يتناولون شيئاً من ذبائح بعضهم ولا من آيتهم. فلذلك رتبوا مائدة للآتو ووضعوا عليها ما كل واردة من أوروبا ضمن صفايح. وأظن ان هذه العادة أخذها الاحباش قديماً من الاسرائيليين وبعد الظهر ورد لزيارتي سليمان أخو محمد بن داوود أمير مقاطعة جبابجر وولي عهده (وهو ابنه) عبد الرحمن وابنه الثاني عبد المجيد. وقد كانوا علموا اني على الطريق واني سأصل قريباً الى عاصمة الحبشة لذلك أتوا من بلادهم بصفة خصوصية لزيارتي. وسليمان هذا لا يتجاوز عمره خمسة وثلاثين وعمر ابنه عبد الرحمن اثنان وعشرون سنة وعبد المجيد كان في السابعة عشرة من سنه.

ليس الشرف باللباس فهو لاء الزائرون على غاية من بساطة الملابس ولكن سماء النجابة والحسب كانت بادية على وجوههم. وأخذوا يسألونني باللغة العربية التي كانوا يجيدونها هل حججت أم لا وما هي المسافة من الاستانة الى هنا ومن الشام الى مكة المكرمة وما هي جسامه الاستانة وانتظامها وأسئلة أخرى عن مكة والمدينة. وقد أظهروا شوقهم الشديد لزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة وعاصمة الخلافة الاسلامية. وقد علمت انهم درسوا اللغة العربية وانهم يعرفون الكتابة والقراءة. وبينما كنا نتكلم فتح أحدهم ساعته وسألني عن الماركة (شارة الفابريكة). وكان في محل الساعات صورة الطغراء السلطانية. فاخذت أشرح لهم معنى هذا الشعار فلما فهموا ما هي الطغراء صاروا يقبلونها ويضعونها على رؤوسهم فارتفع بنظرهم قدر الساعة. وهنا ندمت على عدم أخذ بعض لوحات مطبوع عليها الطغراء العثمانية فانها كانت تصير

هدية فاخرة تقدم لمن أتعرف بهم من اكابر المسلمين هنا
وقد سمعت من أحد التجار لما كنت في سياحة الصحراء الكبيرة انه كان أدخل
مرة لوحات عليها الطغراء السلطانية الى أواسط افريقيا وانه باعها جميعها للاهالي ورجح
بذلك مالا كثيرا . وقص لي أيضا الموسيو فامبيرى المستشرق المجري المشهور
انه كان معه في سياحته في بلاد تركستان في أواسط آسيا جواز عثماني (بسابورت)
وعليه الطغراء السلطانية فكان الناس يأتون لزيارة هذه الطغراء من مسافة ثلاثة أيام
وانهم لا يقتربون من الجواز ويمسسون الطغراء الا بعد ان يجددوا الوضوء فانه المسؤل
ان يبقی هذا الاسم الكريم ويؤيده بتوفيقاته الالهية

واستحسنوا منظر الطربوش الذي كان على رأسي وأظهروا ميلهم لوضع الطربوش
على رؤوسهم وان يتعمموا عليه فلذلك أوصوا زكريا أفندي الاباني ان يستحضر لهم
من الخارج طرايش ليضعوها على رؤوسهم . وأردت ان أهديهم من طرايشي ولكن
كانت كبيرة على رؤوسهم . ثم أخذنا نتمشى على الشرفات المشرفة على محل السوق
الما ذكره المقصود هذا اليوم (السبت وهو يوم انعقاده) وهو يكتظ بالوف من
الناس فكنا نرى جميع ما يباع امامنا من المواشي والطيور الالهية والمحبوب والغافل
الاحمر . وبعد ان تكلمنا مدة أخرى قاموا واستأذنوا بالذهاب وغدوا يدعون للحضرة
السلطانية . وقبل ان يرحلوا صورتهم بالفوتوغراف ولكن كان الجو متلبدا بالغيوم فلم
تطالع رسمهم جيدة

بينما كنا اليوم على المائدة انتقل حديثنا الى اطعمة الحبشة . ان طعام الاحباش
متنوع ولكن الطعام اليومي للأكابر منهم هو أولاً المسمى (زيتي) وهو لحم يقلى
بالسمن ويوضع فيه كثير من الفلفل الاحمر حتى ان الناظر اليه يظن انه مطبوخ
بالطماطم (بندوره) . ثم ما يسمونه (تسمى) ويشبه اللحم المشوي . ثم اللحم التيء
يفمسونه في الفلفل الأحمر ويأكلونه من غير خبز . ويسمون هذا النوع (برندو)
والأحباش نوع آخر من الطعام منتشر بين طبقات الناس كلها ويسمونه (سيرو)

وهو عبارة عن عجين يطبخ بالماء ويضاف عليه الفلفل الاحمر وهذا هو طعام الاحباش الوطني وهو يشبه العصيدة التي يطبخها الجوارى السود عندنا . والأكابر يعالجون السيرو بدقيق العدس أو دقيق الحمص والفقراء يطبخونه بدقيق الفول وقد قيل لي ان بعض الناس يطبخه بدقيق بزر الكتان . وهناك اصناف اخرى من الماء كل مثل (امباشا) وتعمل من دقيق القمح وتطبخ بالفرن مثل الخبز . و (دابو) وتعمل من دقيق الخنطة أيضاً . و (غوتفو) وهي عبارة عن عجين يحشى قطعاً مفرومة من اللحم ويقلى بالسمن . و (كاسكل) وهي نوع من اللحم المسلوق . والأحباش يأكلون اللبن الحامض المعمول من غير غلي ولا خميرة بعد ان يضعوا فيه فلفلأ احمر . ومرقة هذا الفلفل تقوم مقام الأدام عند الفقراء وبالجملة ان الفلفل الاحمر في كل شيء ولذلك يدخره كل صاحب منزل في اوانه بالقناطير ويعملون منه ضرباً من المرققة (صالسه) تشبه مرقة الطماطم (البندوره) يغمسون فيه الخبز المسمى (انجره) و يأكلونه والفقراء يسرهم جداً هذا الأدام وكان بين المؤمن التي وردت لنا البارحة من قصر النجاشي بضع جرات من هذه المرققة . لذلك لم يكن لخدمتنا وجنودنا من شغل سوى تغميس اللحم النيء في مرقة الفلفل المار ذكره واكله بكل سرور . ويعمل الاحباش انواعاً من العصيدة من دقيق الذرة والفاصولية والشمير والدف وانطة ويكثرون من وضع الفلفل الاحمر في هذه الاطعمة حتى انه لا يتأتى لامثالنا ان يضعوا منه ولو قليلاً في فهم بل لا يستطيع احدنا وضع أصبعه فيه لانه يفعل مايفعله الخردل ويعملون نوعاً من الفطير يسمى (برانجيرا) وهو يشبه (البغاشه) ولهم نوع من البسكويت يهيئونه لاجل الاكل في أسفارهم وتكون كل قطعة منه بقدر البندق ويكون داخله ملاًناً بالعجين ويسمونه هنا (دانفو) وكيفية صنعه انهم يجعلون العجين فتائل طويلة ثم يقسمونه قطعاً كروية ثم يحمصونها على الصاج وبيعونه في الاسواق كما يباع عندنا ولم اقدر على اكل واحدة منها من كثرة الفلفل الاحمر الموضوع فيه . ويعملون نوعاً من اللحم المقدد (باصديرمه) يأكلونه في أسفارهم اذا لم يوجد لحم . وقد رأيت بنالنا يعلونه مراراً . وكيفية عمله

انهم يقطعون اللحم قطعاً طويلة قليلة العرض حيث تشبه سيور الجلود يعلقونه على الجبل ولا يأكلونه الا بعد ان يغمسوه بالفلفل الاحمر . والفقير من الاحباش لا يلتفت الى وجود الملح وعدمه (الملح هنا غال جداً) ولا يخطر في باله ما دام الفلفل الاحمر موجوداً .

عندنا كثير من المشروبات المسمى (تيج) و (برز) في أوانٍ من البلور وموضوعة دائماً على الموائد أو على الترايزات في الغرف وكلها أرسلت مع المؤن من القصر الامبراطوري . والبرز في غاية اللذة والمنفع وقد سألت كيف يصنع التيج والبرز فقيل لي يضعون في القدور المصنوعة من الفخار المسماة (غومبو) قسماً من العسل وخمسة أقسام من الماء ثم يضعون عليه مسحوق نبات يسمى (كچو) الذي يشبه الدفل ليسرع تخمر المشروب . ويضعون فيه ايضاً جذور نوع من الشجر فيجعل لون المشروب مثل لون الشامانيا مصفراً ورائحةً جداً . ثم يغطون القدرة بغطاء محكم ويطلون أطراف الغطاء بالطين منعاً لدخول الهواء والتل فيها وتوضع القدرة في المحلات الحارة بالشمس . وأما في البلاد الباردة أو اذا كانت الشمس قد حجبتها الغيوم فانهم يضعون القدرة على الرماد الحار أو حيث توقد النيران في المطبخ . ويفتح غطاء القدرة بعد خمسة أيام وتطفئ قطع الكجو والشمع فيصفي بعد هذا بقماش رقيق فهذا هو الشراب المسمى (تيج) . واذا لم يحكم غطاء القدرة احكاماً جيداً فان المشروب يكون خلاً شديداً الطعم . وأما البرز فانه مشروب المسلمين ولا يوضع فيه نبات (كچو) ولا يخمرونه كثيراً وهو أذ من عصير العنب المسمى (شيره) ويشربونه مكان الماء . ولهم شراب آخر اسمه طاللا هو بيرة الاحباش الوطنية كما ان نبيذهم الوطني هو (تيج) فالكبار يشربون كل يوم هذا المشروب خصوصاً في الافراح والاحتفالات فانه يصرف منه كثير وهم يشربون كثيراً حتى يغدو باكوس آله الحجر شاكراً لهم (!) وسندكر فيما يأتي ان ونوس اله الجمال يسر جداً ايضاً من بلاد الحبشة كما يسر باكوس . وكان الاحباش عموماً يشربون التيج في آنية من

القرن ولما أخذت أواني البلور ترد من أوروبا مثل الاقداح والجمامات أخذ الاكابر
 يشربون بها على ان أوروبا ترسل الآن الى الحبشة قروناً من الحديد مطلية لتزاحم
 في هذه البلاد تجارة القرون أيضاً . والقوافل نثقل مياها بقرون كبيرة وأما في منازل
 الروس فان الانسان يشاهد أواني البلور الخالص عليها نقوش بماء الذهب . ويسمي
 أهالي تيغرى التيج (ميهز) . والعسل كثير جداً في الحبشة ، جنيه دائماً عقب موسم
 الامطار . والاحباش لا يكلفون أنفسهم بتربية النحل بل هو ينمو من نفسه بحالة
 طبيعية وتجد النحل يتجمع في شقوق جذور الاشجار التي طرأ عليها الفساد وتصنع العسل
 هناك والناس يبحثون عن عسل النحل ويجدون به بدالة صنف من الطير يحب العسل
 كثيراً فيشتغل دائماً بالبحث عنه واذا وجد بعض الخلايا فانه يصعد الى أعلى الشجرة
 ويطلق يفرّده ويغني مسروراً فيسمع صوته القامون بالبحث عن الخلايا فينحون تلك
 الجهة ويشعلون ثمة النار حول الخلايا فتطير النحل من الدخان وبقى العسل غنيمة سهلة
 الاخذ . فمسكين أنت أيها الطير تكشف لستفيد غيرك كأنك تريد ان تشير الى ان الذين
 لم يستفيدوا من اكتشافاتهم ليسوا في أوروبا فقط بل يوجد منهم في أفريقيا أيضاً !

**

ان النساء في الحبشة يقمن بتدبير أمور المنزل كلها ولا تأنف زوجة اكبر كبير
 من النزول الى المطبخ لمعالجة الماء كل . حتى ان الاميرة وزوزوديتو كريمة النجاشي
 منليك وزوجة رأس قوقسان عند ما تزور قصر والدها تنزل للمطبخ وتطبخ طعام
 والدها بنفسها . فلتعش هذه الاميرة . وحبذا لو ان نساء المتوسطين عندنا فضلاً عن
 نساء الاكابر يطبخن طعامهن للتخلص فقط من دلال الطاهيات وسرقاقتهن واسرافهن

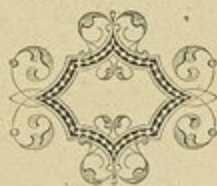
**

كانت مدينة (انكوبر) فيما مضى عاصمة مقاطعة شوا ولكن نقلها النجاشي
 قبل عشرين سنة الى أنتوتو الكائنة على الجبل المرئي من أمام منزلنا . وهذا الجبل
 يعلو عن سطح البحر ٣٢٠٠ متر فلذا كان شديد البرد وكثير الغيوم ولما بنت جلالة

الامبراطورة تاتيو قصرًا في السهل الذي على سفح الجبل المتبعد عن أتوتو بمسافة ثلاث ساعات حيث أعجبا المناخ والموقع اخذت تنتقل حاشية الامبراطور بالتدريج من أتوتو الى المحل المذكور حتى أصبحت عاصمة البلاد وقد كانت الامبراطورة سمت قصرها هذا (آديس آبابا) فلذلك أطلق هذا الاسم على العاصمة التي أنشئت حديثًا كما ذكرتها . وكلمة (آديس) هي أحمرية ومعناها جديد وقد حرفت من حديث العربية ومعنى (آبابا) هو الزهر فيكون تعريب الكلمتين (الزهرة الحديثة) . والمدينة ذات تعاريج صعود ونزول لانها مبنية على هضاب ومرتفعات متعددة . ومباني العائلة الامبراطورية في احدى هاته المرتفعات ومباني الرؤوس وأركان المملكة والامراء في الدرى أيضاً ومن حولهم منازل حاشيتهم وخدمهم فلذلك تجد منازل المدينة وخطها بعيداً بعضها عن بعض وكأن المدينة معسكر لا مدينة . لان الرؤوس والامراء الذين يسكنون المقاطعات دائماً والذين لم يكن لهم منازل في العاصمة عند حضورهم الى آديس آبابا يضر بون الخيام في الفضاء لتزولهم ونزول جنودهم وحاشيتهم كما ان التجار والقوافل التجارية الآتية من الداخل أو من الساحل تنزل في المضارب أيضاً فالمدينة مؤلفة من منازل وخيام . وعدد سكان آديس آبابا يبلغ الآن ٥٠٠٠٠٠ تقريباً . وقد كان النجاشي أنشأ قصرًا سماه (آديس علم) أي العالم الحديث على بعد خمس ساعات من العاصمة ثم أنشأ قصرًا آخر بين القصر المذكور وبين العاصمة وسماه (الجنة) واتخذ هذين القصرين منزهاً له وأخذ ينشيء طريق شوسه من العاصمة الى المنزهات المذكورة وبهذه الوسيلة تنشيء الآن الحكومة الخبشية الطرق في نفس العاصمة وتفتح الشوارع . والمهندسون المشتغلون بها كلهم من الافرنج والفعلة من الاهالي يشتغلون بالسخرة ويطلب منهم ان يتمموا ما حوّل عليهم عمله من غير التفات الى وجود العدد والاولئ أو عدم وجودها فلذا نرى الفاعل هنا يقلع الاحجار بعصاة وضع على رأسها قطعة حديد لعدم وجود المقاليع الحديدية ونرى الآخر هناك ينقل الاحجار قطعة قطعة على رأسه وهذا ينقل التراب في ذيله كل ذلك لعدم وجود

عدد وعربات يد تسهل النقل . ومن هذا نجد ان العمل الذي يقوم به خمسة أشخاص
عندنا لا يقوم به أربعون فاعلاً هنا وهم يستخدمون في الاشغال الشاقة المسجونين
مقيدين بالسلاسل ويراقبهم نظار يدهم السياط

ان آديس آبابا تلو ٢٧٥٠ متراً عن سطح البحر ولكوننا في موسم الامطار التي
لا ننتقع يوماً كنا مرتدين ملابسنا الشتوية ومع هذا كنا نحس بالبرد القارص .
وابنية آديس آبابا طابق واحد أرضي ما عدا قصر الامبراطور وبعض دور السفارات
الحديثة النشأة ومنازل بعض التجار الواردين من الخارج فانها طابقان



يوم الاحد ٦ حزيران (يونيو) آديس ابابا

ظهور زنديق — الطرق الصوفية في الحبشة — التحية الامبراطورية — زيارة الارمن لنا .

وفي الصباح ورد الشيخ محمد سعيد يحيى الجبرتي لزيارتي . واصل هذا الشيخ من غوندار عاصمة الحبشة القديمة وكان بين الذين هاجروا الى السردان للاضطهاد الذي وقع فيه المسلمون في زمن الامبراطور يوحانس ليكرهوهم على تغيير دينهم الاسلامي . وقد مكث الشيخ سعيد عند المتمهدين ما يقرب من عشرين سنة وقص لنا الحروب التي وقعت بين الاحباش والمتمهدين . وسنوردها في آخر هذا الفصل .

وقد وصل الى آديس ابابا منذ مدة ليرفع شكواه الى الحكومة ضد رجل زنديق يسمى زكريا ظهر في شوقوله قرب غوندار . وقال لي ان زكريا هذا يدعى النبوة ويفسر القرآن كما يشاء ويغير قواعده الدين على النحو الذي يميل اليه الجهالة الذين اتبعوه فجعل الصيام الى الظهر وأباح المسكرات والفسق والفجور بالنساء وبلغ عدد أتباعه أربعة آلاف . ويخشى الشيخ محمد سعيد بسببه فتنة بين المسلمين تشبه فتنة المتمهدي فلذلك أتى الى آديس ابابا ليرفع شكواه الى رأس قوقسان حاكم المقاطعة التي فيها غوندار وتوابها . وقال لي الشيخ محمد سعيد ان الذين نشروا الديانة الاسلامية في الحبشة هم الجبرتيون وان الجبرتي المؤرخ المصري المشهور هو من أرغوبه وان المتمهدي قتل كثيراً من الاحباش المسلمين الذين هاجروا الى السودان ولم يؤمنوا به وان الاحباش المسلمين هم على المذهبين المنفي والشافعي وان اكثرهم ينتمي للطريقة القادرية وفي الدرجة الثانية عندهم الطريقة الحتمية والشاذلية . وقد سمعت كثيراً ذكر اسم الشيخ عبد القادر الجيلاني في الشائذاني كان لمسلمون هنا ينشدونها .

كان الطقس اليوم بارداً ورطباً جداً . ومنذ وصولنا الى آديس أبابا لم أذق لذة الدفأ . الامطار متواصلة مع كثرة سقوط الصواعق التي كثيراً ما ينجم عنها ضرر . وقد أصابت قبل بضعة أيام ثلاثة اطفال كانوا في الغيطان قتلت اثنين منهم وبقي الثالث يهز رأسه دائماً كأنه مصروع .

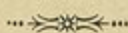
وبعد ذهاب الشيخ محمد سعيد حضر لعندي الموسيو ايلغ وبلغني سلام جلالة الامبراطور الوارد اليوم بال تلفون وان جلالاته يسأل عن صحتنا وراحتنا . كما وأنبأنا الموسيو ايلغ ان الحداد سينتضي في هذين اليومين فيحضر جلالاته الى العاصمة لمتقابلتنا وذلك ان أحد أحفاده توفي قبل مدة وكان محبوباً جداً لديه فقام البلاط واكابر البلاد والاهالي بالحداد

وبعد الظهر جاء يزورنا اكابر الروم والارمن الموجودين هنا . والارمن كانوا قد هاجروا الى الحبشة بعد الوقائع المعلومه فحضر منهم ما ينيف على ثلاثماية شخص الى آديس أبابا ومع بعضهم نساؤهم وآخرون منهم هاجروا بغير نساء . وكثير منهم نادمون على ما سبق منهم وناقون على الذين غشومهم وخذعهم . وقد وجدتهم يتحسرون ويتأوهون عند ما يذكر امامهم اسم الاستانة والاناضول . وقد اعترف بعضه بخطأهم وبصبر الدولة ومرحمتها . ولكن ما الفائدة (بعد خراب البصرة) . وعلمت ان هؤلاء الارمن القاطنين هنا أرادوا أن يوئفوا جمعية منهم يكون لها مجلس ادارة وادارة خصوصية . ولكن الامبراطور قال لهم يلوح لنا انكم من الذين طبعوا على الشر ولولا ذلك لما كانت دولتكم قذفت بكم الى خارج وطنكم . فيجب ان تأتونا بكفالة إما من الدولة العثمانية أو من إحدى الدول الاجنبية والا فاخرجوا من بلادنا (فاضطروا ان يطلبوا من جلالاته مهلة بضعة شهور ليتمكنوا من الكتابة الى البطررك بطلب الكفالة .

☆☆

اليوم يوم أحد فلماذا كانت ساحة السوق التي امام منزلنا خالية خاوية على خلاف

ما كانت عليه البارحة . وقد علمت ان هذه الساحة يشنق فيها المجرمون فيلقون المحكوم عليهم بالاعدام على الاشجار الموجودة فيها فعسى ان نبرح هذا المكان قبل ان نرى في هذه الساحة ما يزعج منظره .



أنواع العقوبات و (افانفوس)

ان العقوبات في بلاد الحبشة ترتب كما ترتب في البلاد الاخرى حسب الجناية والجنحة والمخالفة وانما عقوباتهم شديدة كشدة طعم الفلفل الاحمر عندهم . فالمخالفات عقوبتها بالسوط فيربطون يدي ورجلي المحكوم عليه بسور من الجلد او بالحبال ويكب على وجهه ثم يأتي أربعة من الرجال ويشد كل واحد منهم الحبل أو السير شداً متيناً حتى يخيل للناظر ان أعضاء المحكوم عليه سينفصل بعضها عن بعض ويعلو جسمه عن الارض من شد الحبال وبعد ذلك يأخذ الجلاد يجلده بسوط طويل على أخذاه وظهره وسائر جسمه العاري عن اللباس

وعقوبة السرقات قطع الايدي والارجل ويأتي اقرباء المحكوم عليه او من يحب ان يعمل عمل خير بقليل من الزيت ويفلونه على النار أو يحمون حديدية لدرجة الاحمرار قبل تنفيذ الحكم فعند قطع اليد او الرجل يضعون محل الجرح في الزيت المغلي او يكونونه بالحديدية الحامية لانه اذا لم يعمل ذلك وتترك الجرح كما هو يموت من كثرة نزيف الدم من الجرح واكثر المحكوم عليهم يموتون بعد التنفيذ . وقد كان الطليان لما حاربوا الحبشة جمعوا كثيراً من المتطوعة بالاجرة من سكان مصوع وما جاورها من البلاد فوقع كثير من هؤلاء في أسر الحبشة فعدوهم خائنين لوطنهم وحكموا عليهم بقطع يد ورجل كل واحد منهم فمات اكثرهم .

أما القتل فعقوبته القتل اذا لم يرض ورثة المقتول بالدية فيسلم القاتل اما الى الجلاد مباشرةً واما الى الورثة . فاذا سلم الى الورثة يقتلونه بمثل ما قتل اي اذا كان قد قتل بالرصاص

يقتلونه بالرصاص وان كان قتل بالسيف فبالسيف . وكثيراً ما يتجاوز الورثة في تنفيذ هذه الاحكام حدود الانسانية فيمثلون به تمثيلاً شنيعاً ويعذبونه . وأما اذا رضي الورثة بالدية فعلى القاتل ان يدفع الدية الى ورثة المقتول . واذا لم يكن عنده دراهم في الحال يعطى المهلة التي يرضى بها الورثة واذا لم يقدر على تأدية الدية عند حلول الاجل يقتلونه ولكن هذا يندر وقوعه لان الناس يساعدون من يجمع دية لورثة المقتول . ولاجل جمع المال يأخذ الجاني طنبوراً ويلبس مئزراً من أعلى رأسه الى رجله فيسير من قرية الى قرية يوقع على الطنبور ويسأل الناس فكل من يراه يعرف من المئزر والطنبور ما يقصده الرجل فيقبل الكبير والصغير على مساعدته

وكان في زمن الامبراطور الاسبق كثير من عقوبات التعذيب ولكنها بطلت الآن يقال انه كان كثيراً ما يعاقب الناس والجنود بوضعهم جميعاً او منفردين في اكواخ ثم يحرق الكوخ بمن فيه من المسجونين وكان يعري جسم من يعضب عليه ثم يلف رجله وأخضاه ويديه بالحبال الرفيعة لئلا ينفذ الدم من بين أظافر الرجل ولا يتركونه الا اذا دفع غرامة كبيرة . واكثر من يقضى عليه بهذا يموتون فتلقى اجسامهم الى الوحوش الكاسرة في الخارج . أما الآن فألغيت كل هذه العقوبات بفضل جلالة الامبراطور الحالي والرووس . وأما عقوبة الجواسيس والذين يكذبون للحكام فقطع اللسان



المحاكم

ان القاضي في بلاد الحبشة ومدنها هو الرجل الكبير الموجود في المدينة فهو يفصل في الدعاوي والقضايا مثل ما يفصل مشايخ القبائل في قضاياهم . وأما في العاصمة فان القاضي هو الامبراطور نفسه . وكان الملوك الى زمان تتودرس ويوحانس يجلسون للقضاء ويفصلون في الدعاوي بأنفسهم وأما جلالة منليك فانه لا يرى الا القضايا المهمة ويحكم فيها في بعض الاوقات . يقوم مقامه في رؤية الدعاوي موظف كبير

يسمى (أفانفوس) يعني لسان الملك او كليم الملك ويصدر أحكامه بها باسم الامبراطور ويعرض الدعاوي الخطيرة على الامبراطور لأخذ رأيه فيها وكان تشودوروس يجلس كل يوم في وقت معين على عرش يوضع في ساحة مكشوفة ويجلس عن يمينه اثنا عشر وعن شماله اثنا عشر من الرجال الشيوخ ورئيس الكهنة وكاهن يحمل القانون لحبشي يسمى (فتانفوس) . ويفتحون مظلة فوق رأس الامبراطور ويقف حاشيته وطائفة من جنده وراءه او يحيطون به فيقترب المتداعون الى ان يبقى بينهم وبين الامبراطور ٣٠ متر فيقفون . ثم ينادي المدعي بصوت عال قائلاً : (جانوهه جانوهه) يعني (يا حضرة الامبراطور) ويكرر هذه الاستغاثة سبع مرات طالباً رؤية دعواه فيتقدم (افانفوس) الى المتداعين فيسمع نص المدعي والمدعى عليه والشهود . ثم يعود الى الامبراطور ويعرض عليه جهراً ما سمعه . فاذا كانت القضية بسيطة يصدر الحكم في الحال والا يجري فيها مذكرات وأخذ ورد على الصورة الآتية :

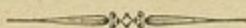
يقوم أحد الشيوخ الطاعنين بالسنن عن يمين الامبراطور ويعرض رأيه في الدعوى وبعده آخر عن الشمال ويسط فكره فيها وهكذا حتى يتم أخذ رأي جميع المستشارين ويدون كاتب يجلس في الجهة اليسرى جميع الآراء في دفتر مخصوص فحين يتم أخذ الآراء يأمر الامبراطور الكاهن الحامل للقانون أن يقرأ جهراً الفقرة التي تنطبق على القضية وبعد ذلك يصدر الحكم الذي يبلغه (أفانفوس) لاصحاب الدعوى . وفي بعض الاوقات يسمع (افانفوس) اربع او خمس قضايا من الدعاوي الخفيفة معاً فيأخذ نصوص المدعين والمدعى عليهم والشهود في آن واحد ويبلغ الحكم لاصحابها كلهم في آن واحد . فلذلك ينتخب دائماً لهذه الوظيفة رجل ذو ذكاء عظيم ونباهة فائقة وذات كرامة قوية . وتنفذ الاحكام حال صدورها . والآن يقوم (افانفوس) مقام الامبراطور في فصل الدعاوي في العاصمة . وأما في المدن الاخرى والقرى فان الرؤوس او دازجماج أو المدير او الشوم (وهو عمدة البلد كما مر ذكره) يقومون

بفصل القضايا على حسبها . ويوجد أعضاء بنسبة جسامه المدينة او القرية يساعدون
المحكام في فصل الدعاوي ويقومون مقام أعضاء للمحكمة



القانون الحبشي المسمى (فتانفوس)

(فتانفوس) هو قانون الحبشة المعمول به . وقد جمعه ودوّنه في أواسط القرن
الثالث عشر الميلادي أحد علماء المسيحيين من أقباط مصر المدعو الاسعد بن عسال
وهو على قسمين الاول فيما يخص الكنيسة والدين والعبادات وقد اقتبس من المذهب
القبطي والديانة الاسرائيلية . والثاني يختص بالاحكام والمعاملات وقد أخذ من
المذهب الشافعي خصوصاً من كتاب التنبيه لأبي اسحاق الشيرازي . وقد كان صدر
قبل ثلاثمائة سنة أمر من نجاشي الحبشة وقتئذ بوجوب العمل بهذا القانون الذي سمي
(فتانفوس) . وكلمة (فتا) مخففة من (فتاوى) العربية وهي جمع فتوى و (نفوس)
معناها النجاشي فيكون معنى الجملة (فتاوى النجاشي)



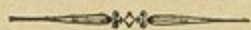
(له باشاه) يعني الباحث عن السارق

والمظهر له

يبحثون هنا عن السارق بنوع من طرق التنويم المسمى في أوروبا (سبيريتزم)
و (هيبوتزم) ويسمونه في بعض الجهات من الاقطار العربية بالمندل بدلاً من
التحقيق والتحري . وهذه صورة البحث :

يأتي الشوم (العمدة) المتخصص بالبحث بقايل من مسحوق نبات يشبه مسحوق
الموخية المخففة ويلقى بها في لبن الحليب ثم يجرع اللبن لصبي لم يبلغ بعد . فيأخذ
الصبي حال شربه اللبن بالارتعاش وعندئذ يقدمون للولد نارجيلية (شيشه) يدخن
فيها فتقلب حالة الصبي من الارتعاش لحالة غشيان فيأخذ بالمشي كمن يمشون

في النوم ويشرع يصف محل السرقة والسارق بالرموز والاشارات ، ويمسك العمدة بيده حزاماً مربوطاً بوسط الصبي ويسير وراء (له باشاه) وهو اسم الصبي المنوم أينما سار وكل من يصادف (له باشاه) في طريقه يسجد في الحال . ولهذا الصبي النائم أن يدخل أي منزل شاء وإذا كان المنزل موحد الباب يفتح حلاً . وإذا لم يكن صاحبه موجوداً يكسرون باب وبالجملة يجب أن تكون كل الطرق امام (له باشاه) مفتوحة وربما كان (له باشاه) لا يعرف محل السرقة والسارق بالرموز والاشارات فحينئذ ينتظرون حتى يضطجع في محل وبقية هناك فيحكون حينئذ ان المال المسروق موجود في هذا المحل .



ايشش ، بروهايتو ، افاتانهايتو ، ثلاث عرائس

لعريس واحد

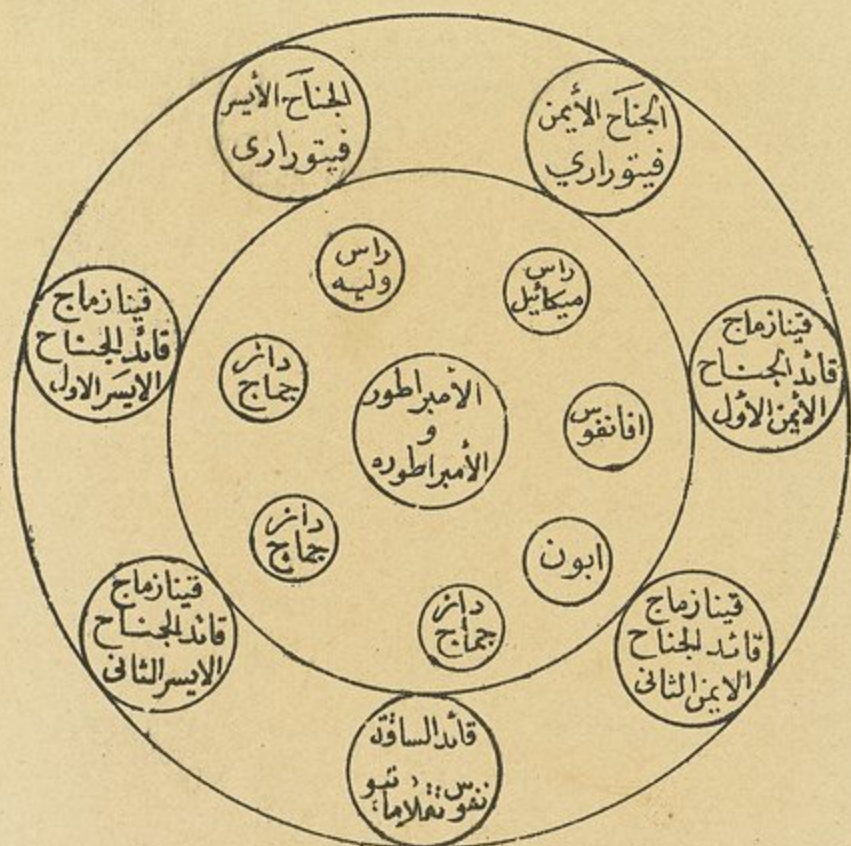
ان السائح في بلاد الحبشة يسمع كثيراً هذه الكلمات الثلاث فسألت عن معانيها فقيل لي ان معنى (ايشش) حاضر يا سيدي وهم يستعملون هذه الكلمة بكثرة من غير ان يتبعوها بالفعل أي انها تكون على الغالب كلاماً من غير عمل . أضرب لك مثلاً بغالتنا : تقول لهم هيا بنا نجهل أثقالنا لتسير . فيجييون بتولهم (ايشش) . ثم تمضي ساعات وهم لا يتحركون وإذا أعدنا كلامنا نسمع منهم (ايشش) أخرى وينظرون الى استعجالنا بعين الاستغراب لان الوقت لا قيمة له هنا . اما (بروهايتو) و (افاتانهايتو) فان معنى الاولى ان شاء الله غداً والاخرى ان شاء الله بعد غد . ولا حد لا استعمال هاتين الكلمتين في هذه البلاد . وقد قص علي أحد الزوار هذه القصة قال :

باع تاجر مالاً من أحد أعيان الحبشة وبعد قليل أخذ هذا البائع يطالب بالثمن ذلك الشاري الذي لم يجب الاستعجال في تأدية ما عليه فكان يماطل التاجر كل يوم

ويقول له (بروهايتو ، افانهايتو) . فلما أعتت التاجر الميل عزم على الرحيل وحمل ما معه من المتاع وذهب آخر مرة للمدين وعرفه بانه مسافر لبيع ما عنده من المتاع في مدينة أخرى . فعندئذ سأل الرجل وما هو المتاع الذي أخذته معك للتجار به ؟ فقال له وهو يشير الى الاحمال (يا مولاي ان نصف هذه الاحمال بروهايتو والنصف الآخر افانهايتو سأبخر بها) فلما سمع المدين هذا الكلام اقتنع بأن الرجل مستعمل فنجل من بطئه في الدفع فأعطى التاجر حقه . وقد سمعت أيضاً من أحد الزوار ان مدة تنفيذ معنى (ايشش) و (برهايتو) في طريق (آدال) هي اكثر بكثير منها هنا فانه قد جربها بنفسه في أسفاره الى الساحل ذهاباً واياباً وعلمت منه انه سافر مرة الى جيوتو ولم يصل اليها الا بعد مضي شهر ونصف من قيامه من آديس آبابا . فوقف في هذه المدة على اكثر أحوال سكان (آدال) . وقابل أحد مشايخ تلك الجهات ويدعى الشيخ محمد تنباكو ونزل ضيفاً عنده وحضر وليمة زواجه . فقال لي ان هذا الشيخ أعرج وأكتم لكنه عقد في ليلة واحدة على ثلاث من الابكار ودخل عليهن في ليلة واحدة فكأنه أحب الاقتصاد وبدلاً من أن يتزوج ثلاث مرات وينفق لكل مرة كثيراً من الدراهم تزوج مرة واحدة بثلاث فما قولكن في ذلك أيتها السيدات !!

الظاهر من هذا وغيره ان لدى هؤلاء الناس عادات جاهلية فقد حدثني زكريا افندي انهم يأتون بالعجل السمين ويفصدون احدى شرايينه ويأخذون قدرًا من دمه فيشربونه . ثم يسمنون العجل ويفصدونه ثانية وهكذا فكان قسماً من غذائهم من هذه الدماء وقد كنت ذكرت في رحلتي الى الصحراء الكبيرة ان الناس هناك يأخذون دماء مواشيهم ويشربونها وانما يعملون ذلك عند الحاجة الشديدة والافتقار الى الغذاء . وأما الاداليون فان شرب دماء المواشي عندهم عادة لهم . وهؤلاء الاداليون مشهورون هنا بشجاعتهم واستعمال السلاح ويقولون ان الادالي يهجم وحده على ثلاثة أسود ويقتلها بسلاحه الذي هو رمح وترس فقط والعبد على الراوي .

﴿ترتيبات الجيش الحبشي أثناء الحرب﴾



﴿ترتيبات الجيش الحبشي أثناء السير﴾



مكتبة

ابن سينا



هذا ولا بأس بعد ما تقدم من بعض شؤون الحبشة وعاداتهم ان نسرد هنا ما وقع من الحروب بينهم وبين شيعة المتمهدي .

بضع كلمات على مدار حركات الحروب بين شيعة المتمهدي والاحباش

ان مدينة القلابات التي سيأتي ذكرها فيما يلي كائنة جنوب بلاد القضايف وواقعة على ساحل نهر (آتبه) وفي منتهى الحدود الحبشية والسودان المصري . واصل سكان هذه المدينة من السودان الغربي ومن جنس (تكرو) وكانوا يؤدون الاتاوة الى الحكومة الحبشية . فلما استوات الحكومة المصرية على السودان حصنت مدينة القلابات وجعلتها صالحة للدفاع عن نفسها واستخدمت أعيان البلاد بصفة مديرين ولكنهم مع ذلك كانوا يؤدون الاتاوة الى الحبشة . وأما بلاد القضايف فانها واقعة شمال القلابات ويحيط بها نهر آتبه من الشرق والجنوب وترتبتها غنية خصبة جداً وتجارها واسعة . وحاضرة القضايف هي (أبوشي) . وهذه المدينة متسعة وفيها مبان شاهقة ذات طبقات متعددة شيدت بالطوب أو الحجر ويوجد فيها غير سكانها الاصليين كثير من التجار السوربين والمصريين والفرنسويين والروم والارمن . ويحيط بالمدينة كثير من الجنات . والفواكه هنا كثيرة جداً مثل العنب والتين والقشطه والموز والزمان والبرثقان . وأراضي القضايف خصبة وقوية حتى ان العنب والنخل يثمر مرتين في السنة ومن مدنها الكبيرة عصار ودوكة وهما مدينتان تجاريتان

الوقائع بين الاحباش وشيعة المتمهدي

كان عثمان دقنه بعد سقوط مدينة كسلافي يد الدراويش في زمن الامبراطور يوحانس سنة ١٣٠٣ هجرية قام من سواكن ومعه عشرون الفا من الدراويش وجمع ثلاثين الفا في الطريق وقصد المحل المسمى (كوفيت) الواقع على الحدود المصرية

السودانية فارسل كتاب تهديد الى رأس الولا الحبشي المشهور . فاجاب الرأس بانه سيلاقيه في يوم كذا وورد الرأس في اليوم المعين ومعه ثمانون الف جندي حبشي وأحاط بمعسكر عثمان دقته من كل جانب وهاجمه وهزمه شر هزيمة ولم يقدر عثمان على النجاة بنفسه الا بكل صعوبة فالتجأ الى كسلا ومعه خمسمائة شخص فقط .

وفي سنة ١٣٠٤ هجرية أرسل عبد الله التعايشي خليفة التمهدي المقيم في أم درمان كتاباً الى قبيلة الشكرية المقيمة في صحراء ريره وأمرهم ان يحضروا كلهم الى أم درمان فعملوا بما يعرفونه من ظلم التعايشي انه يريد بهم سوء والتهب فهاجروا الى الحبشة وكان عوض الكريم شيخ القبيلة يومئذ وبضع مئات من رجال القبيلة وأعيانها موجودين في أم درمان . فلما علم التعايشي هجرة القبيلة اعتقل عوض الكريم ومائتين من رجاله وكتبهم بالحديد ثم قتلهم جميعاً . والذين هاجروا الى الحبشة لم تمض عليهم برهة حتى أخذ الفقر يدب فيهم لان المناخ لم يلائم أنعامهم فبادت كلها وفي زمن قليل اضمحلت هذه القبيلة المعدودة من اكبر قبائل السودان وأغناها

وكان لعوض الكريم الذي قتله التعايشي ولد يسمى عبد الله وكانت والدته جعلية فلذلك مال لجهة احواله وخضع للتعايشي فولاه على القصارف فتيسر له ادخال هذه الجهات تحت لواء هذه العصابة الجديدة وكان يومئذ رجل يعلم الاولاد القرآن الكريم في مدينة القلابات يسمى محمد أرباب فالتحق بالقوم وخالطهم فقامه التعايشي داعياً من دعاة المهديوية وألقاه بعبد الله ففزع الناس من دفع الاتاوة للحبشة وكان الاحباش حينئذ مشتغلين بمحاربة الطليانين الذين أغاروا على الاراضي الحبشية التي وراء مصوع

وكان عند التمهدي رجل من أعيان الاحباش يسمى محمد جبريل وفد على التمهدي واتبعه فارسله التمهدي الى الحبشة ليدعو جميع المسيحيين في الحبشة الى اتباع الديانة الاسلامية ودعوة سائر المسلمين كلهم الى الايمان بمهديته والخضوع له فصدع محمد جبريل بأمر التمهدي . فلما رأى النجاشي يوحانس سعي هؤلاء ودعوتهم

شغل هذا الامر باله وبات في هم عظيم وأخذ منذ ذلك الوقت يضطهد المسلمين خلافاً لعادات أسلافه ويعاملهم بالغلظة والقسوة رغم حرية الاديان الموجودة في بلاده حتى ان شقيقة هذا النجاشي كانت قد اتبعت الديانة الاسلامية بلا ممانع وتزوجت باحد أمراء المسلمين . وأما النجاشي فأخذ يعذب كثيراً من الناس لاتباع الديانة المسيحية . وقد نصحه الرؤوس والامراء وقتئذ خصوصاً جلالة منليك وأخذوه على أعماله هذه وطلبوا اليه ان يعدل عن هذه الطريقة المستهجنة الهمجية . ورأيت بعيني بعض المسلمين الذين كان يوحانس قد قطع أيديهم وأرجلهم . فادى اضطهاد يوحانس هذا الى هجرة كثير منهم والتجأهم الى شيعة المتمهدي وأقاموا محلاً يشبه معسكراً الاقامتهم في المحل المسمى (عراديب) شمالي القلابات وسموا هذا المحل (تبارك الله) وولى التعايشي أميراً عليهم رجلاً من أخصائه يسمى محمد فقرا . وفي أواخر سنة ١٣٠٠ لما حضر أمير القلابات لزيارة التعايشي أعطاه كثيراً من الاسلحة والخيل وأمره ان يغير بخيله ورجله على أطراف المملكة الحبشية فرجع هذا الامير وأخذ بالاغارة على بلاد الاحباش وخرّب كثيراً من القرى والمدن العامرة كما ان محمد فقرا أمير « تبارك الله » صار ينهب ويسلب القرى الكائنة على مقربة من « تبارك الله » . فلما رأى الاحباش ذلك أتوا برجل يسمى عجيل الحراني أصله من السودان الشرقي كان التجأ الى الحبشة هو وقسم عظيم من قبيلته هرباً من ظلم التعايشي وأعطوه الاسلحة والذخائر الحربية وأقاموه محافظاً على حدودهم عند المحل المسمى (عتبه) . ولكن هذا الرجل لم يجرأ على مهاجمة معسكر المهديوية بل كان يغير على سكان القرى والدساكر التي على ساحل نهر أتبره من الذين كانوا اتبعوا المتمهدي رغم أنوفهم .

وفي ربيع الاول من سنة ١٣٠٤ هاجم رأس عذار مدينة القلابات وقتل الامير محمد اربابوا كثر جنوده وفر الباقون الى القصارف كما هجمت فرقة حبشية أخرى على معسكر محمد فقرا واضطروهم للتقهقر أيضاً الى القصارف . فلما بلغ خبر هذا الانهزام أم درمان جهز التعايشي في الحال عشرين الف درويش تحت قيادة يونس بن الديكم وأرسلهم مدداً

للمتقهقرين الى القضارف. فوصل هذا الجيش في رجب الى القلابات واحتلها وانسحب الاحباش من امامهم . وبعد احتلال المدينة رتب أعماله وأعلن للتجار الحرية التامة في ذهابهم وايابهم الى القلابات وأذاع ذلك بين الناس فأخذ تجار الاحباش يفتدون على المدينة بمتاعهم وسلعهم وبضائعهم ولما كثر التجار الاحباش في المدينة أظهر يونس المذكور ما كان يكتنه ضميره الفاسد وما جبل عليه من الظلم والاعتساف فاعتقل جميع التجار الاحباش وصادر أموالهم ومتاعهم وكبلهم بالمديد وأرسلهم جميعاً الى التعايشي في أم درمان . فلما وصل هؤلاء البؤساء الى أم درمان أشاع التعايشي بأن يونس انتصر في الجهاد وان هؤلاء كلهم أسرى في الحرب ولكن الحقيقة علمت عند كل الناس . ويونس الذيكم هذا هو من قبيلة التعايشي والتعايشي زوج والدته التي تزوجت مراراً كثيرة . وكان يونس صعلوكاً فقيراً فلما صار التعايشي شر خلف للتمهدي الذي كان أيضاً شرساً عقده له القيادة والامارة على عشرين الف رجل . وهو رجل على غاية من الجبن وسخافة العقل مداح لنفسه وله دعاوي عريضة ومزاعم غريبة (١)

وفي سنة ١٣٠٤ هجرية أرسل التعايشي الى القلابات أربعين الفاً مشاة وفرساناً تحت قيادة حمدان أبو عنجه أحد أمرائه ومعه بضعة مدافع لينتقم من الاحباش . فلما

(١) ومن جملة دعاويه القصة الآتية : بلغه يوماً ان أحد عبيده بينما كان يستحم في النيل اغتاله تمساح . فاستشاط يونس لذلك غضباً وأخبر رجاله بأنه ينتقم من النيل بان يشرب جميع مائه حتى لا يترك فيه نقطة وقام يريد النزول الى ساحل النيل . فلما شاع هذا الخبر قام بعض الناس الذين يريدون التزلف اليه والتقرب منه وقالوا له (يا مولانا ان كراماتك تكفي لنضب مياه البحار فضلاً عن الانهار ولكن اذا شربت ماء النيل فاننا نموت نحن وأولادنا من قلة الماء فأرأف بنا ولا تعمل) وأما هو فإنه أصر على الانتقام من النيل فكان كلما زاد في الاصرار يزيد المتعلقون والجهلة من الاهالي في التضرع اليه حتى أدى الامر الى انهم جمعوا ما يزيد عن ثمن العبد اضعافا مضاعفة فأعطوه اياه فمدل عن شرب مياه النيل !! وهذه القضية مشهورة بين الناس كلهم هناك . وقد وجد هذا الرجل حياً بين القتبلى في الواقعة الاخيرة التي حصلت بين الدراويش والجنود المصرية عند افتتاح السودان وقد نام على وجهه حتى يظن من يراه انه مقتول فلما امسكوه قدموا له جردل ماء من النيل ليشربه على الحساب ! وقد كان يشرب بشره حتى امتلأت معدته ونفرت عيناه ولم يات على الماء الموجود في الجردل وهو الان مسجون في نجر رشيد بالقطر المصري مع عثمان دقنه وسائر اسرى الدراويش

وصل حمدان الى القلابات استلم القيادة من يونس الديكم وعاد يونس الى أم درمان. وبعد ان رتب حمدان أحوال جنوده زحف على غوندار عاصمة الحبشة القديمة بالفين من المشاة مسلحين ببنادق رومينفتون والفين من الفرسان فلما وصل لقرب المدينة ظهر امامه عشرة آلاف من الاحباش فاشتبك القتال بين الطرفين وبعد بضع ساعات انهزم الاحباش تاركين في ساحات القتال ستة آلاف قتيل وجريح وفر الباقون ودخل أبو عنجه غوندار ونهب المدينة وأحرقها ودمر الكنائس وقتل القس ثم عاد الى القلابات ومعه كثير من الاموال كالفضة والذهب وعشرة آلاف حصان وبغل وثلاثة آلاف فتاة وغلام أسرى وبنات هذه الجهات لا يشبهن الاحباش بل انهن جميلات جداً ولونهن سمير يشبهن المصريات

وقد أرسل أبو عنجه من هذه الغنائم للتعايشي عدداً مناسباً من الجوارى والغلمان والفراس وبغل وخمسين حماراً ووزع الباقي على رجاله حسب مناصبهم وأقذارهم بعد ان أخذ ما أخذ منها لنفسه كما أرسل جانباً من الغنائم الى يعقوب أخي التعايشي . وقد أعلن حمدان أبو عنجه حرية التجارة على شرط ان يدفع التاجر له الخمس وثبت في كلامه ولم يعمل مثل ما عمل يونس السابق الذكر . لذلك ورد التجار الاحباش الى القلابات . وكان الخمس الذي يأخذه من تجار الغلال والالبان والعسل والسمن وغيره يكفي لسد حاجة الجيش الموجود تحت قيادته

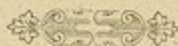
وتوفي حمدان أبو عنجه في القلابات في سنة ٦ ٣ فولى التعايشي مكانه الزاكي طمل أميراً على هذه المدينة وأرسل معه من أخصائه أربعة أشخاص ليبلغوا أمارته للناس من قبل التعايشي . والزاكي هذا رجل اشتهر بالظلم والتساوة وفاق أقرانه بالتجبر على الناس وسلب أموالهم

موت النجاشي يوحانس في واقعة القلابات

لما بلغ خبر هزيمة غوندار مسامع النجاشي يوحانس حزن جداً وأخذ يستعد للأخذ بالثأر. ولكن كانت أخبار استعداداه تصل الى التعايشي بواسطة جواسيسه فكان التعايشي أيضاً أخذاً حذره منهم كما بتقوية القلابات بالجنود وتحصينها حتى انه أقام على دائر المدينة سوراً صعب المرور من جذوع الاشجار والعليق والنباتات ذات الاشواك محيطه عشرة آلاف متر

وفي سنة ١٣٠٦ زحف النجاشي يوحانس على القلابات ومعه مائتا الف مقاتل أغلبهم من الفرسان فحاط بالبلد وأمر جنوده بمهاجمة المدينة من كل جانب. وكان هو واقفاً امام خيمته ومعه أمراؤه وأركان حربه يتتبع حركات الجنود ويشاهد الحرب. وقد أحرق الاحباش جذوع الاشجار المصنوع منها السور ثم هجموا على الدراويش بشجاعة عظيمة وقبروهم الى الورا فلما رأى الاحباش انتصارهم تفرقوا للسلب ودخلوا منازل الدراويش فبينما كانوا مشغولين بسبي النساء والبنات والغلمان ونهب المنازل والدور اذ أتى الى الدراويش مدد كبير من الشمال من رجال كانوا قبل من رجال الجيش المصري المنظم انضموا الى الدراويش عند ما وقعت السودان تحت حكم المتمهدي. فتقدم فرج الله قائدهم برجاله وهاجم الاحباش ووجه نيرانه على النقطة الموجود فيها يوحانس. فاصابت رصاصة النجاشي المذكور فقتل في الحال. ولما رأى الاحباش موت عظيمهم دخل الرعب في قلوبهم وانكسرت قوة قلوبهم فساقوا الغنائم أمامهم. وأخذوا بالتقهقر وتبعهم الدراويش بانتظام وأصول وهاجموا في الليل معسكرهم بغتة وقتلوا أكثرهم وهم نيام مثل الاموات من التعب واسترد الدراويش الغنائم التي أخذها الاحباش والاسرى من نساء ورجال وغنموا أمتعة النجاشي وتاجه المرصع وأخذوا جثته الموضوعة ضمن نعش من خشب وعادوا

الى القلايات بغنائمهم . وهذا اءال مما يدل على ان اشتغال الجنود بعد الانتصار
بالنهب والسلب مضر جداً بالمنتصر كما ان ورود المدد للمغلوب بقتة يفيد فائدة عظيمة
وقد أرسل الزاكي طعل رأس يوحانس وتاجه المرصع وأمتعته الخصوصية الى
التعايشي في أم درمان . فكان سرور خليفة المتمهدي وسرور رجاله من هذا الانتصار
فوق ما يوصف حتى ان التعايشي أقام الولائم للناس أربعين يوماً وذبح آلافاً من
الخراف والعجول شكراً على ما أوتيه من الظفر بعدوه



يوم الاثنين ٧ حزيران (يونيو) — متنوعة —

ورد اليوم علينا كثير من الزوار وكان أغلب حديثنا في مسائل مختلفة ليس للواحدة علاقة بالأخرى . فكل زائر كان يفيدنا فيما يتعلق بمهنته أو ما يعمله . فمن ذلك ان صانع الامبراطور قال لنا :

« ان الامبراطور يهدي لامرائه ورجال حاشيته بدلاً عن الاوسمة خيولاً ومعها برادع وسيوف ورماح وما أشبه هذا . فلذلك يشتغل في القصر الامبراطوري مائة صانع يشرف عليهم صاغة مهرة . والوطنيون ليس لهم رواتب معينة بل يعطى لهم أراض وحقول مكافأة

ويوجد في قصر النجاشي كثير من الجواري يعملن شموعاً من شمع العسل والشحم وتشرف عليهن الامبراطورة نفسها

الاحباش المسيحيون — ما عدا أكابرهم — لا يغسلون أجسامهم ولا ملابسهم فلذلك لا يصعب على الانسان بعد مخالطهم برهة قليلة ان يفرق بين المسيحي والمسلم لان المسلم يجدد وضوءه كل يوم جملة مرات فتظهر آثار ذلك عليه والامراض المعدية القتالة مثل الزهري وغيرها منتشرة بين أعوام الامجراو بين المسيحيين لكثرة اختلاط النساء بالرجال وأما المسامون فقلما تنتشر فيهم هذه الامراض . والرقيق هنا مباح فعلاً وان يكن ممنوعاً رسمياً ومن الجواري والعبيد بخس جداً فتمن العبيد من ١٠ — ٢٠ ريال ومن الجواري الحبشيات الجميلات من جنس قوراغي أو جالكساوي ٤٠ — ٥٠ ريالاً فقط .

ان المرؤسين في الحبشة يتحاشون من اظهار ثروتهم امام رؤسائهم . ومنهم من

يدفنون أموالهم في الارض وقد يموتون من غير ان يعرف أحد المحل الذي أخفوا فيه ثروتهم . والامبراطور يعطي لاصغر المستخدمين من حاشيته أعمدة من الملح بدلاً من الرواتب . فهو يقوم مقام الدرهم في كل بلاد الحبشة . وكل خمسة وستة من هذه الأعمدة تساوي ريالاً واحداً . وكل عمود في شكل منشور متوازي الاضلاع مربع الاطراف ويزن كيلوغرام واحداً

وهذا الملح يستخرج من بلاد (ولو) التابعة لمقاطعة (تيغرى) وهو تحت احتكار الحكومة وتصرفها

ويقدم كثيراً من هذا الملح بين الاشياء الأخرى التي يقدمها حاكم تيغرى كل سنة الى النجاشي بدلاً عن الاتاوة . والمستخدمون الذين يأخذون ملحاً بدل الرواتب لهم ان يبدلوا الملح بالدرهم أو ان يشتروا به ما يريدون أخذه من الامتعة والمأكولات .

والعملة الأكثر رواجاً هنا ريبالات (ماري تروز) كما هو الحال في أكثر البلاد العربية والسودانية . ويتداول هذا الريال هنا بقيمة فرنكين وخمسة وعشرين سانتياً . ويوجد من العملة الحبشية ريال ضربه الامبراطور منليك على وجه منه صورته وعلى الآخر رسم أسد يهودا الذي هو شعار الحبشة الوطني . ولهذا الريال انصاف وارباع وربع الارباع . والريال يساوي ١٦ قرشاً عثمانياً . ولا يوجد في هذه البلاد ما يسمى في بلادنا صراف ليصرف الدرهم وإنما يقوم مقامه التجار الذين يربحون من صرف العملة اضافة ما يربحه الصراف . ولما كنا في هرر لزم ان نصرف عملة صغيرة لاجل الطريق فخصم التاجر ثلاثة قروش من كل ريال أي انه أخذ الريال بثلاثة عشر قرشاً ونقوم خراطيش البنادق خصوصاً خرطوش بندق (غرا) مقام الدرهم فتداول الايدي كل أحد عشر خرطوشاً بريال واحد وقد رأينا على طريقنا ان الباعة رجالاً كانوا أو نساءً كانوا يربحون الخراطيش على الريالات والقروش . وعند ما يشتري الانسان شيئاً لا بد من ان يدخلوا في الثمن عدداً من الخراطيش واذا

سألت مثلاً عن ثمن شيء يقول البائع ريال وخرطوشة واحدة أو قرش وخرطوشتان كذلك يدخل في البيع والشراء الخراطيش الفارغة لانها تملأ ثم تباع . وقد اعتاد الامبراطور اقراض بعض التجار من جيبه الخاص جانباً من الدراهم تسهيلاً للتجارة .

أرسل اليّ اليوم بستاني النجاشي وهو رجل رومي مقداراً من الخضراوات اللذيذة وأرسل اليّنا زكريا افندي نوعاً من الفاصولية الجميلة . والخضراوات التي تنبت هنا هي القرع والفاصولية والطماطم (بندوره) والكرنب والخيار والخرشوف والسبانخ والرجله والبقدونس والبصل والبطاطة والثوم والفجل فهذه الاصناف كثيرة . وأما البربري وهو الفلفل الاحمر فانه أكثر . ويوجد محل منحط ومعتدل الهواء يسمى (لبان) يبعد عن العاصمة سبع ساعات تنمو فيه جميع الفواكه والخضراوات بكثرة وبسرعة مثل الموز والخوخ والليمون والتين والعنب والبطيخ والشمام

قلت آنفاً ان زكريا افندي اهدى اليّنا نوعاً من الفاصولية الخضراء . وقد وجدت هذا النبات غريباً في بابه وقال لي ان أحد الهنود أهدها بزرها قبل ثلاث سنين فزرعها فتمت وانتشرت أي انتشار حتى انها صعدت الى سطح المنزل وهي الآن تعطى مقاديراً كبيرة بدون انقطاع صيفاً وشتاءً . وهي ليست مثل الفاصولية التي نعرفها في بلادنا التي لا تعطى الا كل قرن وحده بل تكون قرون هذه الفاصولية حزمة حزمة . ولا يدري صاحبها هل هذا النمو الغريب من قوة الارض أو من النبات كما انه لا يدري كم من السنين ستستمر على اعطاء المحصول على هذا المنوال

ان الامحراوين يمتحنون عند الولادة ولا يأكلون لحم الخنزير البتة . فهم يحافظون على هذه العادات وان كانوا مسيحيين . وقد سمعت من بعض الافرنج انهم لا يحبون الافرنجي وان احترامهم للاوروبيين ليس هو الا خوفاً من الامبراطور والسبب في هذه الكراهة على ما قيل لي حروبهم مع الانكليز والاطليان وبحث الافرنج في

بلاد الحبشة عن المعادن والثروة حتى رسخ في أذهانهم ان الافرنج يريدون الاستيلاء على بلادهم . ويكرهون المهندسين منهم لان هؤلاء هم السبب في استخدام الاحباش بالسخرة لتكسير الاحجار وتشديد الجسور (الكباري) . وقد قال لي أحد الافرنج الموجودين هنا ما يأتي (أسأل الله أن يبقى لنا الامبراطور منليك فاذا توفي هذا الرجل أخشى ان يصيب الافرنج الذين هنا ما أصاب اخوانهم في الصين) قلت له ان الرؤوس والامراء لا يتركون الاهالي ان يرتكبوا اموراً همجية مثل هذه فقال نعم ولكن اذا قام التحاسد والتباغض بين الرؤوس من أجل كرسي الامبراطورية واختلفوا فيما بينهم فكيف يكون الحال

في كل سنة يحصل اجتماع عسكري في العاصمة يسمى (سلف) يقوم مقام المناورات في أوربا فيأتي الرؤوس من كل أطراف البلاد بمجنودهم ويتألف جيش عرمرم ويتمرنون على بعض تعاليم عسكرية وألعاب حرية وتلقى خطب وتقرأ نشائد حماسية ويباح اكل مروؤس ان يشكو حاله بكل حرية الى رئيسه ويعدد صفاتها ومزاياه وشجاعته في الحروب واقدامه في صيد الكواسر من الوحوش ويطلب من رئيسه مكافأته . وقد علمت من محادثي الافرنجي بأنه في الاجتماع العسكري السابق أظهروا ما تكن صدورهم نحو الاوربيين بهز الرمح في وجوه الافرنج الموجودين في المعسكر وتصويب البنادق عليهم ولو على طريق الهزل والضحك

أتى اليوم لزيارتي آتو هيلامريم ترجمان رأس ما كونن وكان حديثنا باللغة الفرنسية مباشرة وهذا الرجل على جانب من الدراية والاعتدال وكان يجيب على ما أسأله عنه باختصار

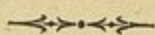
تاريخ السنين

مبدأ تاريخ السنين عند الاحباش ميلاد عيسى عليه الصلاة والسلام والفرق بين تاريخهم وتاريخ الافرنج ثمانين سنين وتبتدى السنة عندهم من أول أيلول (سبتمبر) ويوجد في آخر كل سنة خمسة أو ستة أيام تسمى (باغومة) لا تدخل لا في السنة الماضية ولا في السنة المقبلة وأيام الباغومة تكون خمسة أيام كل خمس سنوات وأما باغومة السنة السادسة فتكون ستة أيام . ولكون هذه الايام ليست معدودة من أيام السنة يأتي فرقها بوضع تاريخ اذ يقال الباغومة الثانية من سنة كذا واستعمال السنوات والشهور ينحصر هنا في معاملات الحكومة وقيودها فقط وأما العوام فان أغلبهم لا يستعملونها فاذا سألت أحدهم عن عمره مثلاً يقول لك انني ولدت سنة دخول الانكاييز في مجدلا او يقول ان ولدي الاكبر ولد في الوقت الذي هاجم الرأس فلان محل كذا اي انهم يعتبرون الوقائع مبدأ وكذلك لا يعنون في الاوقات بالساعات وانما يعرفون الوقت من ارتفاع الشمس ومن طلوع بعض الكواكب أو غروبها

☆☆

سألت آتو هيللا مريم عن النجاشي أصحمه الذي كان معاصراً للنبي صلى الله عليه وسلم فأجاب ان هذا النجاشي اسمه بالامحراوي (اجها) وانه كان حاكماً في جوار (تبخفي دنسا) كما ان أخاه (ابرهة) كان يحكم في أقسوم . وسألته عن محمد غراني المشهور بفتوحه هناك فقال ان هذا الرجل كان من قواد صاحب هرر قبل أربعة قرون ثم تقوى فاستولى على كل الحبشة مدة خمس عشرة سنة انسحب النجاشي في اثائها الى غوندار ثم أخذت البلاد منه وأعيدت الى أصحابها بمساعدة البورتغاليين

وان هؤلاء هم الذين أدخلوا منذ ذلك العهد الاسلحة النارية الى بلاد الحبشة لأول مرة .



المذهب

دخل المذهب القبطي من الديانة المسيحية الى الحبشة في القرن الرابع الميلادي وأمر النجاشي اذ ذاك ان يضع المسيحيون على رقبتهم شريطاً أزرق ليعرف الذين لم يتنسروا وقد بقيت هذه العادة الى الآن في بلاد الحبشة فتجد جميع الاحباش المسيحيين يضعون في أعناقهم شريطاً أزرق يعلقون فيه صليلاً صغيراً من الفضة أو غيرها من المعدن ويسمون الشريط والصليب معاً (ماتب) وهذه الشرايط من مصنوعات سورية . والمسلمون اليوم يضعون أيضاً حول أعناقهم من هذا الشريط وانما يعلقون فيه حجاً من الجلد فيه بعض آيات قرآنية أو أدعية بدلاً من الصليب . ويسمى مسالمو الاحباش هنا (جبرتي) أي الحبشي المسلم . والجبرتيون متدينون متمسكون بعاداتهم القومية والدينية أصحاب غيرة وشجاعة ويشغلون بالتجارة والصناعة .

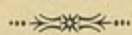
وللمسيحيين الاحباش اديرة وصوامع فيها كثير من الرهبان والراهبات . وپباح لتقسيم التزوج مرة واحدة بالعمر فاذا توفيت الزوجة أو حصل طلاق فليس له أن يتزوج ثانية . وهؤلاء القسس معافون من التكليف الاميرية واداء الضرائب ويأخذون من الاهالي والامراء الهدايا كل على حسبه . والاقبال على الانتظام في سلك الاكليروس والرهبنة عظيم جداً في بلاد الحبشة لما لرجال الدين من الاهمية في عين الاهالي . ويكون في الغالب ابن القسيس قسيساً مثل أبيه ولا يقدر أحد أن يتصدى للقسيس مهما كانت الظروف والاحوال السياسية . واذا وقع حرب بين رأسين فانه پباح للقسيس التنقل من معسكر هذا الرأس الى معسكر الرأس الآخر . ولهم ان ينشروا ما يريدون نشره من الافكار ولا يقدر أحد أن يعارضهم في ذلك

والرئيس الروحاني الإكبر في الحبشة هو المطران القبطي و يلتقبونه هنا بلقب (أبونا)
 (لعله الانبا) وهو ينتخب ويرسل من طرف البطررك القبطي في القطر المصري . وبعد
 هذا المطران في الدرجة قسيس يسمى (أسسه غيبه) وهو مكلف بالمحافظة على قواعد
 الدين الكنائسي ومعاينة القسس الذين يرتكبون ما يخالف الدين وأصوله . والرئيس
 الديني الثالث هو الكاهن الذي يسكن مدينة اقسوم (العاصمة القديمة) ويسمى
 (نيرايت) وقد بقيت اقسوم عاصمة للدين ومرجعاً للكنائس وهي الآن بمثابة روما
 عند الكاثوليك . فأكبر كنيسة في الحبشة توجد في اقسوم وتحفظ فيها جميع الآثار
 والقيود والتواريخ المذهبية . ومن التقاليد الحبشية ان الامبراطور يتوج في المدينة
 المذكورة ويضع التاج على رأسه الرئيس الديني المسمى (نيرايت) ولا يخلو الامر
 من تحاسد هؤلاء الرؤساء الثلاثة .

وفي الكنائس مقاعد للنساء منفصل بعضها عن بعض . وليس للكنائس نواقيس
 بل هناك أحجار مختلفة الحجم مربوطة بالحبال يمس بعضها بعضاً فتصدر منها أصوات
 تشبه صوت الناقوس .

وإذا التجأ أحد الناس الى مدينة اقسوم لا يسمه أحد بسوء . فهذا يرى الانسان
 هناك كثيراً من الجناة الفارين من وجه العدالة والمتهمين السياسيين ملتجئين اليها
 فراراً من العقاب . واذ حدثت حرب محلية في البلاد يلتجئ من لا يريد أن يشارك
 أحد الطرفين في حروبه الى هذه المدينة ويأخذ معه ما يمتلك من المتاع الثمين ولكنهم
 قد أخذوا بهذه العادة مراراً ولا عجب فكل قاعدة شواذ . ومن هذا القبيل انه
 حدث قبل ستين سنة حرب في البلاد فلما رأى أحد الرؤوس المحاربين المسمى (راس
 اديه) ان اعداءه تجمعوا في اقسوم وانهم جمعوا هناك مقادير كبيرة من الاسلحة
 والذخائر الحربية وأخذوا يرتبون طرق الهجوم عليه دخل اقسوم وألقى القبض على
 جميع خصومه وكبلهم بالحديد وأخذ ما جمعه هناك من الاسلحة والذخائر محتجاً
 لذلك بأن هؤلاء انما التجأوا الى المدينة المقدسة بقصد ان يرتبوا أعمالهم الحربية هناك

دون ان يهابوا قدسية المدينة . وقام وقتئذ الكهنة واستمجنوا عمله هذا وهددوه بالحرمان فلما رأى ذلك قابلهم هو بالتهديد وأخبرهم عن عزمه الا كيد بشنق جميعهم اذا حرموه فعندئذ رجع الكهنة الى صوابهم ورأوا الحق بجانب الامير . وأغلب الراهبات في الحبشة يترهبن في منازلهن ولا يذهبن الى الديور ولا يتزوجن ويحصرن أوقامهن للعبادة . ويوجد في الحبشة ثلاثة أنواع من الزواج . ولا تصل سلطة القسس الا لنوع واحد منها .



انواع الزواج

النوع الاول الطبيعي ويسمونه (روموز) وذلك انه اذا رغب الرجل ان يتزوج امرأة على هذه الطريقة يطلب اليها ان ترضى به بعلاً لها فاذا وافقته تكون زوجة له بغير افراح او شروط على ورق او احتفالات دينية . والرجل مكلف بمعيشة زوجته وبتقديم كل ما يلزم لها من النفقة ويطلب من المرأة القيام بالشؤون المنزلية وان تذهب مع زوجها أينما ذهب . ويمكن الانفصال حسب رغبة أحد الطرفين واذا كان هناك اولاد يقل عمرهم عن ثلاث سنين يقون عند والدتهم وعلى الرجل أن يقدم لهم النفقة اللازمة فاذا بلغ الطفل الثالثة يكون لوالده حق بأخذه

والنوع الثاني الزواج المدني ويتم بتراضي الطرفين وشهادة الشهود وبمواجهة عمدة البلد ويسجل ثروة الطرفين وما يمتلكانه من الاموال . فاذا حصل الطلاق حسب اتفاق الطرفين تقسم أموالهما بينهما بالمساواة . واذا كان الطلاق برغبة أحدهما فقط فليس له الحق بأخذ شيء من الاموال المشتركة وعند الطلاق للزوجة ان تتزوج من غير عدة . ويقومون بالافراح والاحتفالات عند صيغة عقد هذا الزواج المدني . ويرسل أقرباء الزوجين وأجباؤهما الهدايا وتعرض هذه الهدايا كلها على الناس والفتيات في بلاد الحبشة يتزوجن في سن صغير أي فيما دون الثالثة عشرة

والنوع الثالث هو الزواج الديني على يد القسيس في الكنائس وليس لهذا الزواج طلاق واذا توفي أحد الزوجين عقب الاقتران يحظر الزواج على الآخر فلذلك كان الاقبال على هذا النوع من الزواج قليلاً جداً . وبعض الذين تزوجوا على الطريقة المدنية وعاشوا مع زوجاتهم مدة طويلة ولم يبقَ لهم من أمل بالزواج ثانية يبدلون زواجهم المدني بالديني . والوالدات يرضعن اولادهن مدة لا تقل عن اربع سنوات

والدايات هنّ يوآدن الحاملات في الحبشة كما هو الحال في سائر الجهات وبعد الوضع يجتمع جارات الحامل عندها ويحتفلن بالمولود وفي اليوم السابع تقوم النساء من فراشها . وفي هذا اليوم يولمون ولية للأقارب والاحباء . واذا مرضت النساء يداويها العجايز من النساء والدايات لعدم وجود أطباء وقد يطلبون من القسس دواء لان القسس هنا يدعون الطب أيضاً وطبايتهم هذه تنحصر في الرقي وقراءة الانجيل او اعطاء المريض مسحوق بعض الجذور والنباتات ويعتقد الاهالي بأدوية القسس اعتقاداً عظيماً

الامراض والمداواة

ان الاحباش يصابون في الاغلب بالدودة الوحيدة او ما شاكلها من الديدان في الاحشاء الداخلية . ويظهر أن كثرة اصابتهم بهذه الامراض متأية من اكل اللحم نيئة ولذلك يجففون ورق الشجر المسمى (قوسو) ويسحقونه ثم يضعونه في الماء ويتعاطونه عند اللزوم ويشربون القهوة بعده فتموت الديدان واذا أخذ الانسان مقداراً كبيراً من مسحوق هذا الورق يموت حالاً لانه سم شديد الفعل . ولا تنقطع الحوادث من هذا القبيل . ويداوون الرمد والصداع والحمى الراجعة وسوء الهضم في الاكثر بأخذ الدم من الجبين . فيجلس المريض على ركبتيه ويضع يديه

على رقبته من الوراء الواحدة فوق الاخرى ويلصق ذراعيه على عنقه ويؤتى بجزام
ومنديل ويشد بهما يدها ورقبته شداً محكماً فيضطر ان يحنى رأسه الى الامام فيصمد
الدم كله الى رأسه وحينئذ يبضعون بسكين أو بقرن في وسط جبينه فيجري الدم
ثم يربطون الجرح فينقطع جريان الدم من تلقاء نفسه . والحجامة هنا منتشرة جداً
حتى انهم لا يحتاجون الى الطيب يعني التيس . ويداؤون الزكام الحاد (البرونشيت)
وأوجاع المفاصل (الروماتيزما) بالكي بحديدة وهؤلاء الناس جلادة على تحمل آلام
الكي . واما الامراض الاخرى فانها تداوى بمغلي الحشائش والنباتات .



الموسيقى

ان الاحباش يحبون الضرب على آلات الطرب والغناء والرقص وهي من أعظم
الملاهي عندهم ويسرون بها جداً وسرورهم الاعظم عند ما يجدون الماهر بالضرب على
آلات الطرب . وهؤلاء الموسيقيون هم على غاية من البساطة وآلاتهم الطنبور ذو
الوتر الواحد مصنوع من قصب البوص والناي والطبل والنقارات والزمارة الطويلة
فيغنون على الطنبور في أفراحهم وعند دفن أمواتهم ومآتمهم ويربج الضاربون
على الطنبور كثيراً من الدراهم وفي الافراح يرقص الرجال والنساء معاً والاحباش
مغرمون بالرقص جداً . وفي الحرب يضرّبون بطبل كبير والاعاني عندهم تدور على
ذكر الحروب وأبطالها والصيد والشجاعة في الغالب ولهم أغاني غرامية أيضاً
ورقصهم كالارتعاش ويقمزون قزاً خفيفاً . وفي ولائم الافراح يتحلّقون حلقة
وتدخل فتاة الى وسط الحلقة ويقف امامها شاب فيبدأ بالغناء الغرامي ويرقص
شارحاً لها ما في قلبه من الغرام والهيام وبعد قليل يبرز له رقيب فيأخذ مثله بالغناء
والرقص ويبدل وسعه للتفوق على الاول ثم يبرز ثالث ورابع حتى يترجح عند الفتاة
أغاني الواحد منهم والنكت الغرامية الجميلة التي استعملها في تعريف حبه وهيامه

(وفي الحقيقة ترجح من كان قد جذب قلبها قبل الرقص) فتأخذ هي بالغناء وتصف ميلا له بالغناء وبالرموز والأشارات . وكثيراً ما تحدث المشاحنات بين هؤلاء المتزاحمين وتؤدي الى مضاربات والناس من حول المتضاربين ينظرون ويتراهنون على معرفة من سيفلب كأنهم في مناقرة ديوك حتى نفد قوى الواحد من المتضاربين فحينئذ يكون ختام الرقص وفي بعض الاوقات تفضي المضاربة الى قتل ولكن بعد ختام الرقص وانتهاء المضاربة التي تحدث يعود المتضاربان الى صفاء تام كأنه لم يحدث شيء بينهما لان المضاربة من موجبات الرقص فكان هذا الرقص عبارة عن صراع موضوعه فتاة ولا يخفى انه يزيد في قوة القائمين به كما انه يزيدهم نشاطاً وخفة واحتمالاً للمكاره

ولا بد من تمثيل الحروب والمبارزات في كل ملاهي الاحباش واجتماعاتهم كأن يأتي مثلاً مئات من أقرباء العريس وأحبائه مدججين بالسلاح الى القرية أو المدينة التي تقطن فيها العروس ويقفون موقف المهاجم ويجمع أقرباء العروس ويتسلحون ويقفون موقف المدافع امام جماعة العريس وحين يكمل الجمع تعطى الاشارة فيهمجم جماعة العريس على جماعة العروس بين دوي أصوات البنادق وعزف الزمور والطبول ورمح الخيول وتنتهي الواقعة بانتصار جماعة العريس . وبالمحافظة على هذه العادات الوطنية يحافظ الاحباش على قواهم ونشاطهم بل يزيدونه



يوم الثلاثاء ٨ يونيو (حزيران) آديس آبابا

وفي صباح هذا اليوم حضر لزيارتي الحاج محمد من عشيرة بني عقيل ومن علماء (دالو) وقد حضر من بلده لرفع الشكوى على الزنديق زكريا المار ذكره . وقد سألته عن النجاشي اصمحة المعاصر لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعن المراسلات التي جرت بينهما وعن الصحابة الذين هاجروا الى الحبشة فقال ان معنى اصمحة في العربي هو (عطية) وهذا النجاشي مدفون في محل يسمى (متكل العلامة) من أعمال مقاطعة (تيغرى) وقد كان سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لقي النجاشي المذكور في (متكل العلامة) وهذا المحل قريب من عقامه (اغامى) وينعقد فيه كل سنة سوق كبير يأتي اليه ألوف من المسلمين والمسيحيين لزيارة قبر النجاشي المذكور .

العلائق الودية بين الاحباش والمسلمين في صدر الاسلام

من المعلوم ان مشركي قريش في أوائل الرسالة النبوية كانوا يؤذون النبي وأصحابه الكرام ولما ازداد جورهم أذن النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة بالهجرة الى جهة الحبشة فهاجر من الصحابة الكرام عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ومصعب ابن عمر وعثمان بن مظعون وسهيل بن بيضا وسليط بن عمرو وحاطب بن عمرو ولم يكن مع هؤلاء أحد من أولادهم ونسائهم . وأما الذين هاجروا ومعهم زوجاتهم فهم عثمان بن عفان ومعه زوجته بنت النبي وجاريتها بركة الحبشية وعبد الله بن أبي سلمة وزوجته هند وهاشم بن أبي حذيفة وزوجته سهلة وعامر بن أبي ربيعة وزوجته ليلى

العدوية وأبو سيره وزوجته أم كلثوم . وقد برحوا مكة في شهر رجب من السنة الخامسة من البعثة النبوية دون أن يعلم أحد بسفرهم وأتوا ميناء شعبة الكائنة على ساحل البحر الأحمر واستأجروا زورقاً أتى بهم جميعاً الى الساحل الافريقي وأقاموا في الحبشة حيث لقوا من النجاشي الاكرام وحسن الحفاوة .

ولما شاع خبر ايمان قريش برسالة النبي عادوا الى أوطانهم فلما قربوا من مكة علموا ان ما بلغهم من ايمان قريش برسالة النبي غير صحيح ولكنهم لم يجدوا بداً من الدخول الى مكة فاجتمع كل واحد منهم بكبير من أكابر قريش . ثم ازداد أذى المشركين للمسلمين فأذن النبي صلى الله عليه وسلم لمن يريد الهجرة الى الحبشة ثانية . فهاجر كثير من المسلمين بينهم جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي وزوجته أسماء وخالد بن سعيد وزوجته أمينة وعمرو بن سعيد وزوجته فاطمة وعبد الله بن جحش وأخوه عبيد الله بن جحش وزوجته أم حبيبه وقيس بن عبد الله وزوجته بركة ومعيقب أبو حذيفة وعتبة بن غزوان والاسود بن نوفل ويزيد بن زمعة وعمر بن أمية وطليب بن عمر وعامر بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود وعتبة بن مسعود والمقداد ابن عمرو وعمر بن عثمان وشماس بن عبد الشريد وهبار بن شعبان وعبد الله بن سفيان وهشام بن أبي حذيفة وسلمة بن هشام وعباس بن أبي ربيعة ومعتب بن عوف وقدامة بن مظعون وعبد الله بن مظعون وحاطب بن الحرث وزوجته فاطمة بنت المجلل وخطاب بن الحرث وزوجته فكهة بنت يسار وسفيان بن معمر وزوجته حسنة وخديجة ابن حذافة وعبد الله بن الحرث وعبد الله بن حذافة والحرث بن الحرث ومعمر بن الحرث وعدد الجميع كان (١٣٢) مع أولادهم وعيالهم .

فلما بلغهم خبر هجرة النبي الى المدينة قام أبو موسى الاشعري ومعه منهم خمسون مهاجراً وركبوا زورقاً ليعبروا البحر الى المدينة المنورة فصادقهم أنواء ألقيت بزورقهم الى البر الحبشي من أفريقيا فالتقوا باخوانهم المهاجرين . ولم يكتف مشركو قريش باضطهاد المسلمين في مكة بل انهم أرسلوا الرسل الى النجاشي أصحبه والى الكهنة

ومعهم الهدايا من خيل عربية وأقمشة حريرية وغيرها وطلبوا اليهم ان يتردوا المسلمين المهاجرين من الحبشة وكان رئيس هذا الوفد عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد فلما وصلوا الى الحبشة قابلوا أعيان الحبشة وسلموا الهدايا لاصحابها وعرفوهم بالنصد وكان الاحباش والعرب يعرف بعضهم عادات بعض لتقارب القطرين وكثرة المواصلات عن طريق البحر الاحمر للتجارة . فلما مثل أعضاء الوفد بين يدي النجاشي قالوا له ان أحد سكان مكة ادعى النبوة ووضع ديناً جديداً والتحق به بعض الناس وقد اتجأ بعضهم الى الحبشة لايقاع الفتنة والفساد في هذه البلاد أيضاً فمن العدل طرد هؤلاء المهاجرين واعادتهم الى بلادهم

أما النجاشي الذي كان رجلاً عاقلاً وفطناً عادلاً فطلب اليه جعفر بن أبي طالب ورفقاه مع علمه بحسن أخلاق المهاجرين وما ظهر منهم من الاستقامة وعدم ايداء أحد مدة اقامتهم في الحبشة ولكنه أراد بذلك عدم كسر خاطر الوفد فلما جاء جعفر ورفاقه بين يدي النجاشي سألمهم امام الوفد العربي عن سبب هجرتهم الى بلاده فأفاض جعفر ببيان بطلان الوثنية التي كانوا عليها وصحة الدين الذي دخلوا فيه واخذ يتلو بعض الآيات القرآنية . ويروى ان النجاشي حل الدين الاسلامي المبين في قلبه محلاً عظيماً . ولما بهرت حجة جعفر أمام هؤلاء الرسل أعاد النجاشي اليهم هداياهم وقال لهم ليس من العدل والمرورة ايداء هؤلاء الجيران الذين لم نر منهم الا شرف النفوس فعاد الوفد خائباً

وفي شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة النبوية وبعد واقعة بدر التي انهزم فيها المشركون جهزوا وفداً آخر معه الهدايا وأرسلوه الى الحبشة مع عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة أعادوا الكرة بطلب طرد المهاجرين لينتموا منهم ولكن مساعيهم لم تنجح هذه المرة الثانية أيضاً فعادوا أدراجهم

وقد أبلغ النجاشي نفسه المسلمين الذين كانوا في جبرته وجماه نبأ انتصار المسلمين

مع النبي على المشركين

مكاتبة النبي صلوات الله عليه مع النجاشي أصحمة

وفي السنة السادسة من الهجرة النبوية أرسل النبي الى النجاشي أصحمة كتاباً مع عمرو بن أمية الضمري أحد الصحابة الكرام يدعو به النجاشي الى الاسلام ويوصي بالمهاجرين الموجودين بالحبشة وكان النجاشي رجلاً متديناً معتمداً تقبل الكتاب بسرور زائد وآمن به وأرسل الجواب مع عمرو بن أمية الموما اليه

وفي السنة السابعة أرسل النبي كتاباً آخر مع عمرو بن أمية المارذ كره الى النجاشي وكله به بمقد نكاح النبي على رملة أم حبيبة زوجة عبد الله بن جحش الذي مات في الحبشة . فأرسل النجاشي احدى جواريه تبشر رملة أم حبيبة برغبة النبي بها فقبلت وأهدت الجارية أسورة وخاتماً لهذه البشري ووكلت خالد بن سميد بن العاص فدعى النجاشي أصحمة اليه جعفر بن أبي طالب والصحابة المهاجرين وعمدوا على أم حبيبة وبعد العقد أقام النجاشي وليمة فاخرة للمهاجرين اظهاراً للسرور وأرسل الى أم حبيبة أربع مائة دينار صداقاً عن النبي وأم حبيبة هذه هي بنت أبي سفيان وسافرت أم حبيبة رضي الله عنها من الحبشة الى المدينة وقد جهزها النجاشي وأمر شرحبيل بن حسنة ان يكون في خدمتها . وكان النبي في رسالته الاخيرة طلب الى النجاشي ارسال جميع المهاجرين الموجودين في الحبشة الى المدينة فاستأجر النجاشي لهم عدة زوارق وأرسلهم الى المدينة

وأهدى النجاشي أصحمة الى النبي طليسانات وقمصان ولباسات وحذآت وخاتماً وثلاث حراب وقارورة مسك وجلايب وأرسل هذه الهدية مع أم حبيبة . وأعطى النبي واحدة من الحراب الى سيدنا عمر بن الخطاب والثانية الى سيدنا علي بن أبي طالب والثالثة أبقاها لنفسه . وفي السنة التاسعة من الهجرة أرسل النبي الى

النجاشي هدية ولكن أصحمة توفي قبل وصول الوفد الذي يحملها اليه ولما بلغ النبي نعيه جمع الصحابة الكرام وصلى عليه غائباً

شتى

ورد اليوم أحد رجال رأس ولدي وبلغني سلام الرأس وانه يعتذر من عدم المجيء اليوم لانحراف صحته وانه سيحضر غداً أو بعد غد للزيارة . وبعد الظهر ورد لزيارتي بولص الياس بغدادي أفندي وهو يقطن دمشق الشام منذ عشرين سنة وانما حضر مؤقتاً الى الحبشة للبحث عن مناجم الذهب في هذه البلاد باذن من النجاشي . وقد علمت انه ساح في مقاطعات ولاغا وبارو وجانقاللي وترانسفال وأراني أنموذجات من معادن الذهب وقال لي ان الاحباش في هذه البلاد يستخرجون الذهب من الانهار ومجاري السيول باسطة طريقة وهي تصفية الرمال . وحيث ان ذرات الذهب تأتي من الجبال مع مياه الامطار والسيول بحث بولص أفندي في محلات ومجار كثيرة فمثر على مناجم ذهب في أحد عشر محلاً على طبيعتين مختلفتين : وجد الذهب في الاولى مخلوطاً باحجار المرمر (الرخام) والحصا (انزلط) ووجد الذهب في الطبيعة الثانية بشكل شريانات وعروق بين الاحجار في الارض وعلى عيار ٢٣ . وقد رأيت النموذجات فتحققت صدق كلامه

وكان بولص أفندي اشتغل في مناجم الذهب في الترنسفال فقال ان عيار الذهب هناك ستة عشر فقط . وقد استخرج هنا مع فقدان العدد والاوائل اللازمة لمثل هذه الاعمال وعدم وجود الافران الف درهم من الذهب الخالص من جهات بارووجانقاللي وقدمها الى الامبراطور منليك كنموذج . والاهالي الذين يشتغلون باستخراج الذهب يعطون عشر ما يجودونه . نه الى رؤساء المسكومة . ويرد كل سنة للامبراطور كثير

من الذهب بين الاشياء التي تقدم لجلالته من الاتاوة وهي الآن محفوظة بالا كياس في خزينته ويقال ان الامبراطور ينوي ان يضرب من هذا الذهب عملة حبشية باسمه . وذكرك لي بولص أفندي شيئاً عن الاوزان فقال ان أساس الاوزان هنا هو الريال الذي يزن تسعة دراهم الاقيراطين . ويعتبر كل ثقل ريال واحد (نوكي) ويطلق لثقل كل ستمائة (نوكي) (فراساله) . والوزن المتداول بين التجار هو الفراسالة ووزن كل من الفراسالة ستة عشر كيلو ونصف

نساء الاكابر يمشين هنا متحجبات وعند ما يخرجن من منازلهن يركبن في الغالب البغال كما يركب الرجال لا كما يركب نساء الافرنج الخيل . وتمشي امامها جارية ويدها هراوة ووراءها بضمة من الخدم

كنت أجد من يوم ورودي الى آديس أبابا طعم ملح في القهوة ان كانت بسكر أو من غير سكر وما كنت أعلم سبب ذلك وعلمت اليوم أنهم يضعون الملح في القهوة زيادة في اكرام الضيف لان ثمن الملح هنا غال جداً . وقد حدث اليوم ان طاهي القهوة وضع في قهوتنا ملحاً ثم أتى أجيره فوضع هو أيضاً مقداراً من الملح فيها ظناً منه ان كبيره لم يضع فيها فلم تقدر ان نشر بها . ولما علمت ذلك منعت الخدم المكلفين بعمل القهوة من وضع الملح في القهوة وقد اندهش الخدم من هذا التنبيه وأخذوا يمتدرون مظهرين لنا لزوم وضع الملح مصرين على وضع الملح في القهوة حتى لا يحطوا بكرامتنا على زعمهم ولم تقدر على منعهم الا بواسطة صاحب المنزل الذي عرفته باننا لم تعود في بلادنا وضع الملح في القهوة



يوم الاربعاء ٩ يونيو (حزيران)

اليوم صباحاً ورد الرأس ولدى زيارتنا وكان قد عين (مهمانداراً) لنا من قبل الامبراطور وكان وراءه أربعون من الخدم والعبيد . وفي الحبشة كل انسان يمشي وراءه من الخدم والحاشية على حسب قدره ومنزته فكلما كان رفيع المقام يزيد في حاشيته وعبيده الذين يمشون وراءه عند ذهابه من محل الى محل حتى في داخل المدينة . وكنت ذكرت آنفاً انه مشى وراء رأس ماكونن ألوف من الخدم عند ما حضر الى اديس آبابا ولا منزلة في عيون الناس هنا لمن ليس له خدم وعبيد . فتى وجد الانسان معه سعة يأتي في الحال لمنزله بالخدام ويجعله دائماً وراءه ويطلق عليه اسم العسكري لان الخدم والعبيد هنا يطيعون أسيادهم كما يطيع الجنود ضباطهم وقوادهم

ودخل الى البهو مع الرأس اثنان من عبيده ووقفوا وراءه وبقي الآخرون في الخارج وأمسك أحد العبيد قبعة الرأس وآخر أخذ يروح بالمروحة الذباب والرأس ولدى على جانب عظيم من اللطف وقد تجاوز عمره الستين وذهب مراراً الى فرنسا وايتاليا بمهمة من قبل الامبراطور . وبنى هذا الرأس منزلاً في القدس ووقفه على الامور الخيرية . وقد قال لي انه كان سافر الى القدس وان رجال الحكومة هناك أكرموه جداً وانه يحب العمانيين وطلب اليّ أن أعرض احتراماته وتعظيماته الفاتحة للاعتاب السنية السلطانية عند رجوعي الى الاستانة . وظهر لي من محادثته ان الرجل غير غافل عن ان هذه الدنيا فانية وان الآخرة هي أبقى فلذلك لا يميل الى الزينة بل يميل لمساعدة العساء والفقراء من كل الاجناس والاديان على المساواة

مكثنا مدة تعادلت ثم استأذن هو وحاشيته بعد أن وعد بالمجيء ثانية . وبعد ذهابه

حضر الحاج احمد افندي صاحب المنزل وكان قد ذهب الى الكرك ليستخرج بعض البضائع والامتعة الواردة باسمه

يوجد هنا محلان للكرك الواحد داخل قصر النجاشي والآخر خارجه فالبضائع التي تمر من هرر وتأتي الى العاصمة ترد الى الكرك الخارجي لان هذه الامتعة تكون بالطبع مرت من كرك هرر ورآها الرأس هناك حيث انتخب الاشياء الجميلة وأخذها بدلاً من رسوم الكرك . وأما البضائع التي تأتي من الساحل مباشرة الى آديس آبابا فانها تدخل الى الكرك الكائن داخل القصر وتفتح هناك فاذا وجد فيها شيء أحب النجاشي أن يأخذه يقيه عنده بدلاً من رسوم الكرك . والرسم المقدر للكرك هو ثلاثة في المائة من البضائع التي تمر من هرر لان صاحب البضائع يكون قد دفع بالمائة عشرة في المدينة المذكورة وأما البضائع الواردة مباشرة من الساحل الى آديس آبابا فانها تدفع بالمائة ثلاثة عشر . ولا يوجد في الكمارك مقدرين للبضائع بل يؤخذ الرسم حسب تعريف صاحب الامتعة عن ائمان البضائع والتجار تراهم مضطرين أن يصدقوا في تعريف الائمان ولا يتجاوز واحد الاعتدال لانه اذا زاد الثمن يدفع الرسم بنسبة هذه الزيادة

أخبرونا البارحة بأن النجاشي سيحضر اليوم الى آديس آبابا . وفي الساعة الخامسة (عربي) ظهر الموكب الامبراطوري على بعد كيلو متر واحد تقريباً وكنا نراه من شرفة منزلنا وكان جلالته راكباً بغلة وبرفقته أكثر من الف انسان أغلبهم راكبون البغال . وكان أحد الخدم رافعاً على رأس الامبراطور مظلة كبيرة حمراء اللون وكان الطريق الموصل الى القصر الامبراطوري السائر فيه الموكب مرثياً من منزلنا . ولما وصل الموكب الى القصر ازدحمت اطراف القصر بالناس بعضهم من الحاشية والبعض جاءوا لتقديم فروض التحية للنجاشي . وبعد ساعتين جاءنا الموسيو ايلج وأبلغنا تحية الامبراطور وسأل عن صحتنا وراحتنا وأخبرنا أن مدة الحداد على حفيدته ستنتهي يوم الجمعة الآتي وان مقابلتنا لجلالته ستأخر الى ما بعد اليوم المذكور وانه أي

الامبراطور يعتذر لنا عن هذا التأخير فشكرنا جلالة الامبراطور ثم أخذنا نتجاذب أطراف الحديث مع المسيو ايليج الموما اليه . وفي أثناء الكلام أخبرته بأن جلالة السلطان الاعظم يكون مسروراً اذا أعطي المسلمون هنا قطعة أرض يبنون عليها مسجداً وقطعة أخرى يحملونها مقبرة لدفن أمواتهم فيها فوعد المسيو ايليج أن يعرض ذلك على جلالة الامبراطور

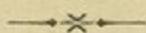
وأما البرنيس حفيده الامبراطور المتوفاة فهي في العاشرة من عمرها وزوجة أحد أبناء ثفلا مایتو حاكم مقاطعة غوجام . وبعد وفاة ثفلا مایتو تعين ابنه المذكور حاكماً على المقاطعة المذكورة . والمتداول بين القوم هنا أن البرنيس توفيت من اصابة العين اذ الناس هنا يعتقدون باصابة العين اعتقاداً عظيماً وقد مر ذكر أكلمهم الطعام تحت الحجب والاستار خوفاً من اصابة العين

بودا — اصابة العين — تفو تفوي يعني عين لا تصيب

اذا أصيب أحد الاحباش هنا بنوب عصبية أو بنحون خفيف يقولون أصابته العين وياتون له بأحد القسس المختصين بمثل هذه الامراض وحين يقرب القسيس من المريض يزيد المرض اشتداداً أو يهيج المريض حتى يضطر أهله لامساكه وتهدئته فحينئذ يأخذ القسيس بيده قطعة نبات ويضعها على أنف المريض فيشمها ثم بعد بضع ثوان يقول (أصابتي عين فلان) يذكر اسم أحد الناس فيرسلون في الحال بمن يأتي بالرجل الذي ذكر المريض اسمه ويأمرونه بالبصق على المريض فيبرأ هذا من مرضه ويسمون من تصيب الناس عينه (بودا) وكان عماب البودا قلع احدى عينيه والآن يكتفون بضربه أو توبيخه . ويتوسل هذا البودا المسكين الى المريض أو أقربائه أو القسيس المررض أن لا يشكوه الى الحكومة . ويوجد في القطر الحجازي مرض أو عادة تشبه

اصابة العين هنا وهي ما يسمونه هناك (زار) (١) ولا يحدث الا للنساء ولا أظن
 اصابة العين الموجودة في الحبشة هي نفس الزار الموجود في المجازلان المصاب بالزار
 لا يبرأ من الاصابة باستنشاق نبات أو غيره بل على صاحب المنزل أو الزوج أو الوالد
 أن يتفق بضعة آلاف من القروش فيقيم المآدب في منزله للسيدات والجيران حيث
 يرقصن ويغنين ليخرج الزار من جسم المصابة . ويوجد في الاستانة عند الجوارى
 السودانيات حالة تشبه بودا الحبشة

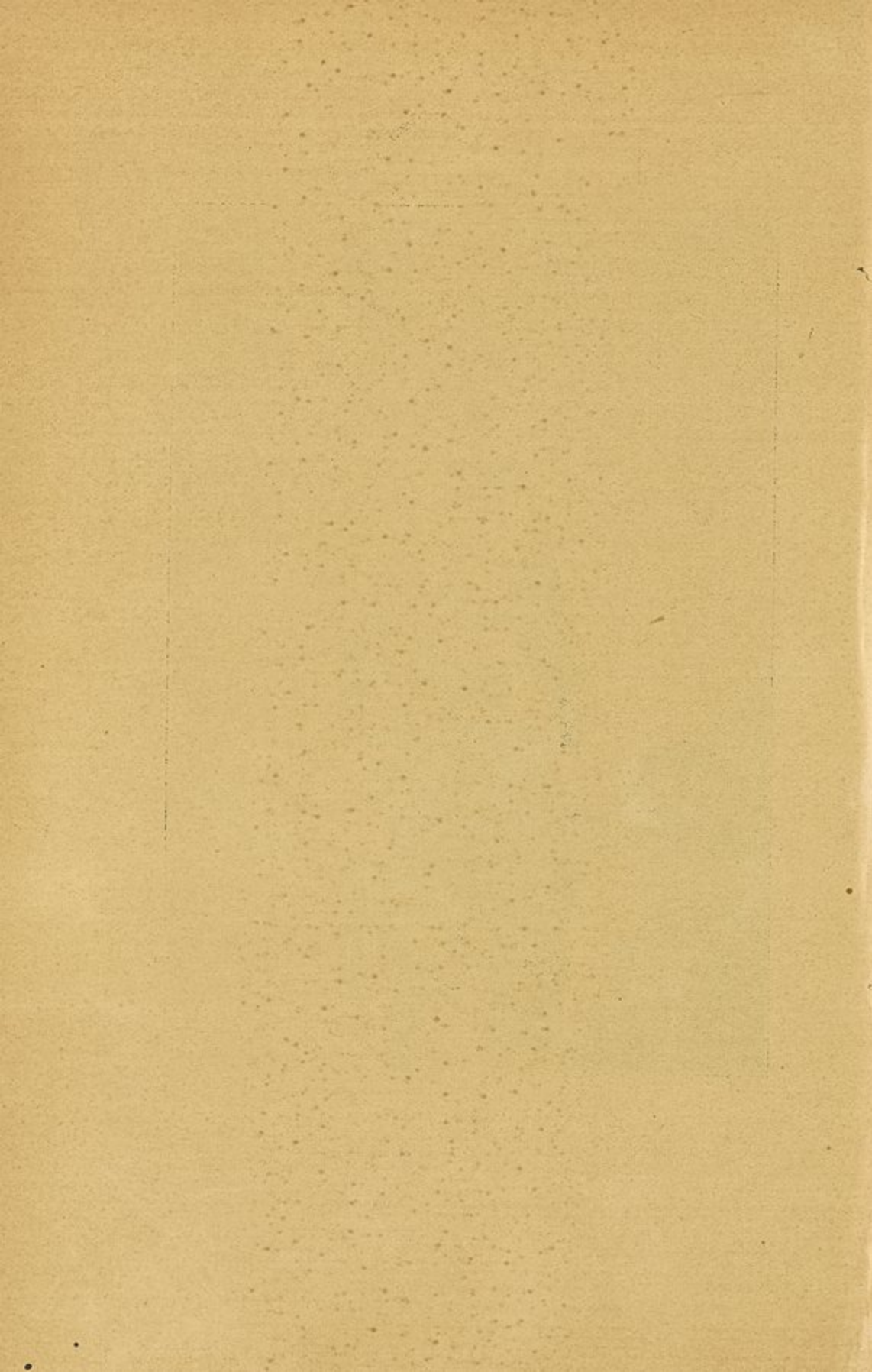
وقد سرت الى السيدات الالامبوليات فانهن حين يردن اظهار العطف نحو
 الاولاد يبعقن عليهم بصقاً صفيماً قائلات (تفو تفو عيني لا تصيبك) ولعل هذه
 العادة انتقلت من الجوارى الاحباش



الموسيو ايلغ

كل من يذهب الى الحبشة أو يقرأ شيئاً عنها لا بد من ان يسمع اسم الموسيو ايلغ
 اذ لهذا الرجل مقام عظيم لدى جلالة النجاشي منليك الذي جعله مستشاره
 الخاص ورئيساً لنظاره وناظر خارجيته. لما كان الامبراطور حاكماً على مقاطعة (شوا) قبل
 توليه برش الحبشة كتب الى أحد التجار السوسيين في عدن ان يرسل اليه جماعة من
 الفريسيين المتعلمين ذوي دراية وفضل ليستخدمهم في حكومته . وبعد مضي سنة أتى
 الحبشة بضعة شبان وكل منهم اختصاص بصناعة وفن من الفنون وكان بينهم الموسيو
 ايلغ الموسى اليه وكان أتم علومه في السنة المذكورة في مدرسة الهندسة المشهورة في
 زوريخ من أعمال سويسره ثم رجع هو لاء الشبان الى بلادهم بعد مدة قصيرة ما عدا

(١) الزار معروف في مصر وهو مرض الشياطين الذي تتلبس به النساء الجاهلات ويؤذبن
 الامل والجيران (مترجم)





الموسيو ايلغ السويسري مستشار الامبراطور منليك

الموسيو ايلغ الذي بقي هناك ونال بمجده وثباته ونشاطه وأماتته واستقامته الخطوة الكبرى عند جلالة النجاشي حتى صار من أصدقاء جلالة وهو الآن مقيم في الحبشة مع عائلته ويذهب بعض الاحيان الى أوروبا ثم يرجع الى الحبشة . وقد أتى وصار صاحب أموال وأملاك بماله من المنكحة ولصداقته جلالة الامبراطور وحسن خدمته للحبشة واجتهاده . وهذا الرجل النشيط هو الآن في الخمسين من عمره ويعرف اللغة الفرنسية والالمانية والعربية ويحسن التكلم باللغة الامجرية ويكتبها ويقراها كما حدأبنائها وهو الذي يترجم الرسائل التي ترد من الخارج باسم جلالة الامبراطور الى اللغة الامجرية



يوم الخميس ١٠ يونيو (حزيران) آديس آبابا

وفي صباح هذا اليوم جاءني تقدراس هيليا يوركيس أحد قرناء جلالة الامبراطور ووراءه كثير من العبيد والجنود وأبلغني تحية الامبراطور وقال لي ان جلالتك كان عازماً أن يقضي بضعة أيام أخرى في القصر المسمى (جنة) الكائن في هولانا وانما عاد الى العاصمة بصفة خصوصية لمقابلة الوفد السلطاني وانه أرسل الرسل يطلب أمير مقاطعة (جبابا جفر) الذي كان هنا قبل بضعة أيام ثم سافر الى مقر وظيفته ليعود ويقابلنا فطلبت اليه أن يرفع شكرنا لجلالة الامبراطور ثم ذهب مع حاشيته وفي هذا اليرم كنا نسمع بكاءً وعويلًا ونحيباً كثيراً من جهة القصر الامبراطوري ولما سألنا عن سبب ذلك قيل ان أمتعة البرنيس المتوفاة وبغالها وصلت اليوم الى العاصمة لذلك تجددت أحزان الناس وأظن انه لا بد من وجود ناس هنا يكون لاجل الحاضر كما يبكي بعضهم بالاجرة

وبعد الظهر أتاني الموسيو ايلغ وبلغني أن جلالة الامبراطور أمر باعطاء قطعة أرض لبنى عليها جامع للمسلمين وأخرى تكون مقبرة لهم وانه تقرر أن يقابل جلالة الامبراطور الوفد السلطاني يوم السبت الآتي بصفة رسمية . وقد سرني جداً خبر اعطاء الارض اللازمة لبناء الجامع والمقبرة فطلبت الى الموسيو ايلغ أن يرفع شكري لجلالة الامبراطور وقد تقرر أن يسمى الجامع (حميديه)

خرجت بعد ذهاب الموسيو ايلغ الى الشرفة حسب عادتي وأشرفت على السوق التي كانت مكتظة بالناس من الرجال والنساء وكان الاعيان منهم يلتفون بالازار كالتساء والناظر اليهم لا يفرق بين المرأة والرجل الشاب لانهم يغطون وجوههم بالمنز الى العين

كالنساء وانما تعرف النساء بخادمة تسير أمام البغل تحمل بيدها هراوة كما يعرف
 الاكابر منهمن بلبسهن الجوارب من صنع أوربا من غير حذاء والنساء هنا يلبسن
 الجوارب لا للتحفظ من البرد بل للزينة فقط وتركب المرأة أحياناً على بغل واحد مع
 زوجها أمامه أو وراءه . وكثيراً ما يرى الانسان على بغل واحد الزوج والزوجة وولدهما
 بينما كنت أدون هذه السطور اذ جاء أحد الاحباش وطالب من خادم أحمد
 افندي نموذج قزاز وقد علمت منه ان لوح القزاز من ألواح الشبايك الذي لا يساوي
 في الاستانة أكثر من قرش واحد يباع هنا بريال واحد والقدح الزجاج الذي لا يساوي
 أكثر من قرش يباع بريال أيضاً . والسبب في هذا الغلاء هو ان الأشياء القابلة
 للكسر لا تصل من الساحل الى آديس أبابا الا بعد ان يفقد ثلاثة أرباعها أو
 أربعة أخماسها لان المكارية لا يعتنون بالطرود عند انزالها وتحميلها ومهما أفهم وهم وكلوهم
 بلزوم الثاني وقت انزال الاحمال أو تحميلها فانهم لا يحيدون عن طريقتهم في التحميل
 وقد رأيت أثناء سفرنا عدم عناية المكارية بالتحميل فانهم كانوا يحملون كل يوم
 صناديقنا مقلوبة أي رأسها الى أسفل وكلما كنت أكلهم في ذلك يقولون لي
 (ايشش ايشش) ولكنهم لا يعملون الا برأيهم والبضائع الاخرى هنا غالية أيضاً
 فصفيحة غاز البترول تساوي من ثمانية الى تسعة ريالات وأقة السكر ريال واحد .
 وفي موسم الامطار اذا تأخر وصول القوافل من الساحل فان الاثمان تتصاعد كثيراً
 ولاهالي هذا يشربون القهوة بالعلس فلا يحتاجون والحالة هذه للسكر كما انهم ليسوا
 في حاجة لكثير من البضائع الاخرى وقد كنا نحن أيضاً في الطريق نستعمل بعض
 الاحيان العسل في الحلويات فكنا نجد له لذيذاً . وقد قلت آنفاً ان العسل في هذه
 البلاد كثير ورخيص جداً . ويوجد في مقاطعة جمابا جفر جنس من النحل يعمل
 خلاياه تحت الارض ولا يعرف محله الا من ثقب صغير يدخل منه النحل ويخرج
 ويؤخذ من هذه الحفر الارضية مقدار كبير من العسل ولكن طعمه ليس كطعم الجنس
 الذي يعمله النحل في جذوع الاشجار

لغة الاحباش

ان لغة الاحباش الحالية هي اللغة الاثيوبية الاصلية ويقال لها لغة الكيز أيضاً . وهذه اللغة هي من اللغات السامية كالعربية والعبرانية والسريانية وقد دخلت اللغة المذكورة الى الحبشة عن طريق تيغري ومصوع بواسطة اقوام هاجروا في الازمنة القديمة من اليمن . وانتشرت من هناك الى الداخل حتى اصبحت اللغة الكبرى . وبتعاقب الاجيال طرأ عليها تغييرات تعرض لكل لغة من اختلاط الاقوام المجاورة لها فدخل فيها كلمات أجنبية والاصطلاحات التجارية اليونانية ففرع منها لغات متعددة سميت كل واحدة منها باسم الاقوام الحبشيين على اختلاف المقاطعات التي يقيمون فيها وأشهر هذه اللغات هي الاحمرية والتيغرية والنوندارية ولغة جماباجفر والصومال وشووا ودانجلا وعدال وهرر

ان الحبشة تتألف من حكومات مستقلة في ادارتها الداخلية تحت رئاسة الامبراطورية التي تكون على الغالب في يد اقوى أمير من حكام المقاطعات ويعتبر مقر هذا الامير عاصمة الامبراطورية التي تنتقل بذلك من حكومة الى حكومة ومن بلد الى بلد . وكانت لغة كيز المار ذكرها اللغة الرسمية للبلاد كما انها كانت اللغة الدينية وذلك عند ما كانت السيادة بيد حكام تيغري ولما انتقلت عاصمة الملك الى الغرب الجنوبي صارت اللغة الاحمرية اللغة الرسمية للحبشة وبقيت لغة الكيز اللغة الدينية والعلمية والتاريخية كما كانت . ويستعمل أهالي مصوع وما يجاورها وسكان تيغري في كتاباتهم لغة الكيز وهي بمقام اللغة العربية الفصحى بانسبة الى اللغات العامية العربية التي يتكلم بها الناس في اليمن والحجاز وسوريا ومصر حيث تختلف اللهجة في التكلم وتحد عند الكتابة . ويقال ان هجمات قبائل الغاللا وغاراتهم

المتوالية على الحبشة ودخول المسلمين واستيلائهم عليها هي من جملة الاسباب التي تركت لغة الكيز مهملة تقريباً واللغة الاحمريّة وان تكن تغيرت تغييراً كلياً بسبب ما دخل فيها من اللغات الاجنبية من الاقوام والقبائل الخارجة وتكتب الى الآن بحروف لغة الكيز. وحروف هذه اللغة تشبه الحروف الحميرية. ولا يخفى ان اللغة الحميرية هي لغة أهل اليمن القديمة وهذا مما يؤيد الرأي القائل بدخول لغة الكيز الى الحبشة مع دخول المهاجرين اليمنيين اليها كما ان اتساق بعض القبائل اليمنية الى (كوش) الذي تنسب اتورا الاحباش اليه يؤيد قرابتهم باللغة مع اليمنيين. وكانت لغة الكيز قبلاً تكتب كالعربية من اليمن الى الشمال ولكن الاحباش قلدوا الغربيين فكتبوها من الشمال الى اليمن. وأما الارقام فانهم أخذوها من اليونانيين وعدلوها على وجه يوافق لغتهم ولنأت بامثلة من كل من لغة الكيز والاحمريّة التي تشبه العربية

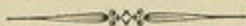
| العربية | الكيزية | الاحمريّة |
|---------|---------|--------------|
| أنا | أنا | أنه |
| أنت | أنت | خطاب للمذكور |
| أنت | انت | خطاب للمؤنث |
| انتم | انتم | الأنث |

والمتمأمل في مخاطبات الناس مة باللغات الحبشية يسمع كثيراً من الكلمات العربية بهذه اللغات واليك مثلاً آخر من الادعية التي يدعوها الاحباش في صلواتهم هو دعاء معروف عند المسيحيين نسمعه منهم باللغة العربية ولننبه القارئ الى ان حرف (ب) في لغة الكيز ينطق كحرف ف (٧) عند الافرنج :

| | |
|------------|------------|
| عربي | كيز |
| أبونا الذي | افوناذا |
| بالمسوات | بسميات |
| يتقدس اسمك | يتقدس اسمك |

| | |
|------------------|------------------|
| عربي | كيز |
| كما بالسما | بكما بسماي |
| كما هو بالارض | كى هو يحدرد |
| اغفر لنا سيئاتنا | هيدرج لنا ايسانى |

وقد اشتغل بعض المحققين من علماء اللغات من الاوروبيين بدرس اللغة الامحرية
والكيزية وألفوا فيها كتباً عديدة أشهرها مؤلف باللاتيني لودويغ من فرانقفورت
وآخر بالانكليزي لايزبرغ في لوندرد وآخر بالفرنساوي لموندون فيداله في باريس
وآخر بالاطلياني لجيدي في روما وآخر بالالمانى لبرنيورس في هال
وغير هذه المؤلفات يوجد كتب أخرى في اللغات الحبشية تأليف دالمان وفرنس
وقد طبعت الجمعية الجغرافية الفرنسية كتاباً ضخماً في أربعة مجلدات تأليف (كونيك)
يحتوي على شرح واف فيما يخص اللغات الحبشية



يوم الجمعة ١١ يونيو (حزيران) آديس آبابا

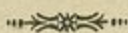
جاءني صباح اليوم الموسيو ايلغ و بعد ان بلغني تحية الامبراطور شرح لي كيفية احتفال المقابلة التي ستكون نهار غد كنت اليوم جالساً في الشرفة فاستجلبت نظري أغذية الرؤوس التي يضعها الاثريون على رؤوسهم

الاعيان منهم يلبسون القبعة على رؤوسهم والباقيون مكشوفو الرؤوس ومنهم من يترك شعر رأسه على حاله والبعض يخلقونه كله وقد رأيت منهم من حلق شعر رأسه من الوسط وتركه من الازراف بحيث صار على رأسه شبه القبعة . ومنهم من وضع على قمة رأسه عمامة صغيرة و بعضهم لف حول رأسه قطعة من الشريط المسمى (قورده لا) .

لزم لبعض صناديقنا تصليح ورأينا أن نلف هذه الصناديق بجلود البقر وكان عندنا جلود بقر مذبوحة بيد جزار مسلم فامتنع النجار المسيحي أن يستعمل هذه الجلود أو أن يمسه بيده فتمعجت لهذا التمصب الغريب في بابه مع ان المسيحيين والمسلمين في الحبشة يعيش بعضهم مع بعض في غاية الوثام والسلام فلا تقع بينهم مشاحنات دينية ولا غيرها أتى بعد الظهر أحد رجال رأس من الرؤوس وسأل عن أحوالنا وأهدى تحية الرأس لنا وفي المساء جاء لزيارتي أمين مخزن النجاشي (كيلارجي) ورئيس خدام مائدته واسمه اسسلاقي ماثاشا . ووظيفة هذا الرجل لا تشبه وظيفة سائر خدمة المائدة بل انه مكلف في بعض الاحيان بوضع الطعام بيده في فم النجاشي . وقد رأيت مراراً خدام بعض الرؤوس يدنون قدح الماء بيدهم الى فم الرأس وبعده أن يشرب سيده

يسمح له فيه بطرف رداثة (الشمأ) على اني لم أر الخدام يضعون الطعام أيضاً في فم
 الرؤوس أو الامبراطور بل سمعت ذلك من بعض رجال حاشية الامبراطور
 ان خادمنا المسمى جمعه يفهم العربية قليلا ويميل جداً لتعلمها . لذلك تجده يكرر
 كل ما يقال أمامه فمثلاً لو طلب أحدنا منه قليلاً من الماء لا يأتي بالمطلوب الا بعد أن
 يكرر ما قيل بالحرف واذا ضحكت أمامه يضحك هو أيضاً واذا عبت وقطبت جيبك
 يعبس هو أيضاً ويقطب جيبه . واذا كان عندك بعض الزائرين فناديتهم لغرض من
 الاغراض وقلت له انتظر هنا قليلاً يدير ظهره لك ولزائريك ويقف في وسط الغرفة
 كالصنم بدون حراك . لانه يستحي من ان يقف ووجهه موجه نحوك . وكان الطقس
 اليوم بارداً فاضطررنا ان نوقد النار في غرفتنا للدفا فأتى جمعه المذكور بالنار ضمن
 الساج ووضعه على البساط من غير ان يضع تحته شيئاً آخر منعاً لسريان النار الى
 البساط . فلما رآه أحد الزائرين الموجودين عندي كله بالعربية قائلاً (ما هذا العمل
 يا جمعه ستحرق البساط « يا خراب ديارك ») فكرر جمعه في الحال الجملة الاخيرة
 من كلام الزائر قائلاً (يا خراب ديارك) فضحكنا جميعاً ولما رأنا كذلك صار هو
 أيضاً ينظر الينا ويضحك معنا

لا يخفى اننا من سكان الاستانة التي يشتد البرد فيها في الشتاء جداً ومع ذلك
 فقد احتجنا اليوم ونحن في أواسط حزيران (يونيو) وفي آديس أبابا الكائنة في
 أفريقيا الى وضع النار في غرفتنا للتدفئة . لان المدينة كائنة على ارتفاع عظيم كما ان
 الموسم هو موسم الامطار



الجندية

يؤلف الجيش الحبشي من مجموع جنود كل رأس أي كل حاكم مقاطعة من
 المقاطعات حسب جسامتها و ثروتها ومن الجنود الحرس الخاص بمجلاة الامبراطور .

ويوجد غير هذه الجنود الموظفة جنود أخرى (رديف) تؤخذ وقت الحرب من الاهالي بنسبة سعة الاراضي المملوكة أي الضياع والمزارع والثروة وعلى كل من هؤلاء الجنود أن يأتي معه بمحصان أو بغل أو حمار ومن الذخيرة والزاد ما يكفيه مدة شهر واحد وفي الغالب يؤخذ الرديف من الجنود الذين أدوا الخدمة العسكرية الموظفة أي العاملة وتعطيهم الحكومة الاسلحة اللازمة لهم بعد انضمامهم للجيش . وتجهيزهم يكون على نفقة أصحاب الاراضي والمزارع المملوكة . ويؤلف الجيش الحبشي وقت السلم من مائتي الف جندي وينضم له مائتا الف من الرديف وقت الحرب . ولا توجد في الحبشة أصول القرعة بل يتطوع الاهالي بالدخول في الجيش الحبشي لشدة ميلهم للضرب والطعان وشغفهم الزائد باستعمال السلاح وبنادق الجنود المنظمة هي بنادق (غرا) الفرنسية (وبردان) الروسية ويتقلد كل جندي على يمينه بسيف محذب أما الذخائر الحربية كالبارود والقراطيس فلم تزل الحكومة تأتي بها من أوروبا وإنما الآن ينظر رجال الحكومة في تأسيس معمل لصنع القراطيس هنا . وغير هذه الاسلحة النارية يوجد عندهم أسلحة بيضاء مثل الرماح والحراب والاتراس وما أشبه . والجنود تكون وقت السلم منتشرة في عرض البلاد وطولها حيث تقوم كل مقاطعة بمئون الجنود الموجود ضمن دائرة حكمها . وفي زمن الحرب تجري الحركات العسكرية بكل سرعة وذلك بسبب توفر مخازن المؤن الموجودة في محلات مختلفة وفيها الزاد والذخيرة حتى ان سرعة سوق الجنود في سنة ١٨٩٥ ضد الطليان أوجب استحسان أوروبا وتقديرها الجندي الحبشية قدرها

والقيادة العامة وقت الحرب تكون بيد الامبراطور وكل رأس يكون قائد الجنود الموجودة تحت امرته ولكن الامبراطور هو الذي يعين الخدمة التي تطلب من الرأس ويرتب حركات جنوده . وبعد الرأس تأتي سلسلة مراتب عسكرية . اذ كل من أصحاب الرتب يقود فصيلة من الجنود . والرتب العسكرية بعد الرأس هي على الترتيب الآتي : داز جماج ، فيتوراي ، قينازماج ، غراجاج ، بالمبراس ، آش آلاقا

فتوالاقا. شالاقا. وأهمية أكبر أركان الجيش تكون بنسبة كمية الجنود التي يقودونها .
ان رتبة قينازماج هي أكبر من رتبة غراسماج ولكن غراسماج يتم في معية الامبراطور
على ضابط حائز رتبة قينازماج بجيش أحد الرؤوس فيعطى الغراسماج حينئذ عدداً من
الجنود فيكون والحالة هذه أكثر أهمية من الثاني

وفي أثناء الحرب يكون الجيش على نظام حربي حيث يقومون بالترتيبات
الاساسية مثل الجناحين الايمن واليسر والمقدمة والساقة والقلب. وعند نزول الجيش
في محل تعتبر خيمة القائد العام أساساً لترتيبات النزول ويعرف كل من ثم الرؤوس
والقواد أين توضع خيمهم وهم يقدرون المسافة وخطوط الاستقامة بالضبط فلا يحصل
عند نزول المعسكر ما يستوجب التشويش قطعاً وهنا يجب أن أصف من قبيل المثال
ترتيب معسكر الاحباش في واقعة (ادووا) التي حصلت بينهم وبين الطليان :

كان في واقعة (ادووا) معسكر الامبراطور نفسه ضمن ثلاث دوائر داخل بعضها
في بعض على الترتيب الآتي : خيمة الامبراطورة على اليمين في مركز الدائرة الاولى
انكائنة في الوسط وعلى الشمال خيمة الامبراطور . ووراءهما مخزن المؤن الخاصة بهما
والمطبخ والاصطبل وخدامهما ويؤلف محيط هذه الدائرة من جنود الحرس الامبراطوري
وكان بين الدائرة الاولى والدائرة الثانية الى الامام معسكر رأس ميكائيل رأس وليه
ووراء معسكر ميكائيل افانفوس أي الرأس الروحاني ودازجاج ووراء رأس وليه
كان معسكر قائدين برتبة دازجاج . ومن جنود هؤلاء كلهم يؤلف محيط الدائرة الثانية
ثم بين الدائرة الثانية والدائرة الثالثة يوجد الى الامام معسكر قائدين برتبة فيتوراري
يؤلف كل منهما الجناح الايمن والجناح اليسر من مقدمة الجيش . ففي الجناح الايمن
منه ضابطان برتبة قينازماج وفي الجناح اليسر ضابطان آخران برتبة غراسماج . وفي
المؤخرة الساقة كان معسكر نفرس تقلا هايمانو حيث تؤلف جنوده الدائرة الخارجة
وعند سير المعسكر كله يمشي حسب النظام واذالزم الرجوع الى الخلف أو التحول
في السير الى اليمين او الشمال فانه لا يجب تغيير محلات الفرق المعسكرية بل يبقى كل





محارب من الحاشية الملوكية

على حاله وانما تصير الساقة مقدمة الجيش في حال الرجوع والمقدمة ساقه وكذلك عند التحول في السير الى اليمين يقوم الجناح الايمن مقام المقدمة والجناح الايسر مقام المؤخرة والعكس بالعكس . واذا كان أمام الجيش في مسيره وديان أو هضاب فاضطر للخروج من هذا النظام فانه يعود اليه حالما يصل الى الاراضي المساعدة على اخذ شكله الاصولي المار ذكره الذي يحافظون عليه كل المحافظة . ويكون كل مرووس دائماً قريباً من رئيسه

ان الجندي الحبشي ليس كبير الجثة قوي العضلات وانما هو كثير الجلد والصبر على تحمل المشاق والمتاعب وهو موصوف بحق بهذه المزية العظيمة التي لا بد منها للجندي فهو يمشي طول النهار ويقطع الوديان والجبال من غير أن يأكل أو يشرب ثم يهاجم عدوه دون ان يستريح . فالجنود الحبشية تفوق الجنود الاوربية بكثير بسبب قناعتهم بالقليل وخفتهم وقت السفر وهم عراة الاقدام

ولما كنت في اثناء الطريق انزل عن البغل واسير على قدي بقصد الراحة من عناء الركوب كان الخدام والجنود الاحباش الذين كانوا معنا ينصحونني ان اخلع من قدي الحذاء (الجزمة) وان اسير عاري القدمين مثلهم كما انهم كانوا يستغربون سيرى بالجزمة ويسألونني كيف اقدر على السير بها

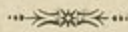
والجنود الحبشية يغيرون على العدو بشجاعة واقدام عظيمين ولا يتأخرون عن الهجوم على الاسد أو النمر بكل جرأة ليمتلوه ويأخذوا ذيله أو شعر رقبتة ليتشرفوا بوضعه على رؤوسهم أو جلده ليضعوه على اكتافهم . والناس في الحبشة يقبلون على الجندي اقبالاً عظيماً لينالوا الفخر ويمتازوا عن الآخرين ولا يتأتى للجندي أن يمتاز على رفاقه الا بالشجاعة والجرأة

وقد استخدم الطليان كثيراً من الاحباش من أهالي مستعمراتهم في الجيش الطلياني والذين رأوهم وشاهدوا حرمتهم أثناء القتال أو حاربوا معهم يثنون عليهم ثناء عظيماً

وكيفية أخذ الجنود هناك أن الحكومة تعلن طلبها للجنود المتطوعة فيأتي الناس للانتظام في السلك العسكري وربما كان المقبولون على ذلك أكثر من العدد المطلوب فيجربونهم بالمشي السريع أو الجري الخفيف على الطريقة العسكرية الى مسافة سبعين كيلومتراً تحت نظارة ضابط من الفرسان . والذي يكون أكثر اسراعاً في جريه ولا يعثره تعب يؤخذ . والجندي الحبشي مطيع ومحب لرئيسه وصادق وأمين في خدمته جرى مدهام قنوع كما أنه يحافظ على النظام أثناء التمرين . وبالاجمال فالجندي الحبشي قابل للتعليم والتمرين كقابلية الاوروبي لذلك

والجنود الاحباش لا يحبون الاقامة في محل واحد بل يميلون الى التنقل وتبديل المكان ورؤية محلات جديدة وهم يفضلون التسلق على الجبال الشاهقة والحركة على السكون والراحة . واذا سافر الجندي الحبشي لا يسأل عن وجهة السفر ولا عن المحل الذي سيقضي فيه ولا المسافة التي سيقطعها ولا يتأخر في الطريق من غير اذن رئيسه بأي حجة من الحجج . يقضي يومه بما تيسر من الاكل ويحب السلاح جداً ولا يتركه من يده قط حتى أنه ينام في الليل وبنديته معه وحين يسير يكون دائماً في انتباه وتيقظ تام . وهو شديد السمع حاد النظر حاسة الشم فيه عظيمة جداً . واذا مرض أحد الجنود أثناء السير في طريق السفر يتركونه في كوخ أو في قرية ومعهم أحد رفاقه ويعالج هناك ثم يلحق بمعسكره بعد رجوع الصحة اليه . وعند وصول الجند الى محل النزول تبدأ الجنود قبل كل شيء باقامة خيم او اكواخ قوادهم وضباطهم وبعد أن يقوموا بما يجب عمله لراحة هؤلاء الضباط يفكرون بانفسهم . واذا نام أحد الضباط يأتي الجندي ويده غصن من أغصان الشجر فيطرد به الذباب عن وجه الضابط وبالجملة انه يقوم بكل ما يلزم لراحة الضابط . وقد كان الجنود الذين معنا أثناء سيرنا في الطريق يقومون بكل هذه الخدم ويمشون أمامنا حتى اذا صادفنا في طريقنا شجيرات أو أغصاناً تعوقنا عن السير فانهم اما أن يقلعوها من جذورها أو أن يؤخروها بأيديهم الى الوراء ليفتحوا بذلك طريقاً لمرورنا

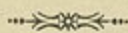
والجنود الحبشية بعد أن يقضوا ما عليهم من الخدم لترتيب المعسكر يقطعون
 رداً من الزمن بالضحك واللعب تسلية لنفوسهم وعند الصباح تجدهم واقفين على
 أقدامهم ينتظرون لاوامر بكل نشاط وسرور. ولا انسى ولن انسى ما كنت اراه من
 ابو بكر احد الجنود المرافقين لنا في سفرنا من النشاط والسرور في تنفيذ الاوامر
 التي كانت تعطى له وهو يتغنى وينشد . مع ان هذا الرجل كان يتجاوز الستين من
 العمر ومع ذلك فقد كان يجري في ذهابه وايابه كأنه شاب في مقتبل العمر . ولالجندي
 الحبشي شغف زائد بالصيد والقنص ولكنه لا يريد ان يسرف بالقراطيس لغير فائدة
 وعنده اكبر هدية مهدى له هي القراطيس (الخرطوش) واذا عوقب احدهم بالضرب
 على ظهره يتجلد يتجلد عظيماً فلا يسمع له صوت اثناء ضرب بسيط بل ولا تظهر علامة
 الألم والوجع على وجهه او على حركات جسمه ولقد يقال ان احد الاحباش المستخدمين
 في الجيش الطياني عوقب مرة بالضرب فأخذ يصيح عند تنفيذ العقاب فجعل رفاقه
 يسهزون به ويحترونه حتى اضطر للاستعفاء من خدمة الجندية
 وثبات الجندي الحبشي واقدامه وقت القتال يكون متناسباً مع شجاعة القائد وبسالته
 فاذا ثبت القائد فان الجندي يثبتون معه حتى الموت ويلقى القائد على الجند نشيداً حربياً
 او خطبة حماسية قبل دخولهم الى ساحات القتال ويمدح نفسه ويثني عليها لانه سيكون
 للجنود قدوة ومثالا حسناً . واليك بعض امثلة من خطب القاها القواد قبل دخول
 الجند ساحة القتال :



الخطبة التي القاها دجاز ديب قبل محاربه لتيغرين بيوم واحد

« ايها الجند : انكم ستعلمون غداً ذكر الرجل الذي انتم في خدمته الى اليوم
 اني سأقاتل غداً حتى اظفر بعدوي او اموت فينبغي ان لا تفارقني انظاركم
 واذا رأيتم ترددي ماذا قلت ؟ كيف لفظت كلمة (تردد) لا لا ! انا قلت غلطاً

أريد ان اقول ان كل من يرى احد شرابين وجهي ترتعش فليتركني ويترك خدمتي
ومن يرى اني رجعت القهقري مدبراً فليخرق جسدي برميحه وينتقم مني بذلك »
وفي الحقيقة ان هذا القائد قاتل في اليوم التالي قتالاً عظيماً وظهر من الشجاعة
والبساله ما يفوق الوصف



وهذه خطبة أخرى

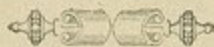
« أنا الذي له طعنات بالرمح نجلاء ، أنا الذي طعنت بالرمح الرجال الكثيرين .
أنا اسمي قاسسا . أنا ابن جبابا فانغل . أنا الذي اذا أصابت رقبتى رماصة تقوم فيها
مقام ماتب (ماتب هي شريطة زرقاء يعلقونها في أعناقهم وفيها الصليب مرسل الى
الصدر) أنا أسد وابن أسد . أنا الذي انتصرت على الفاللا ممتطياً حصاني فانزوا .
أنا الذي قتل بسيفه كثيراً من التغيريين وانتصر ببندقية على الامجراوين . أنا
الذي ألقى بيده بالنانناوين الى أعماق الهاويات . نعم أنا ابن جبابا فانغل . البارحة
كنت بلمراساً واليوم صرت دزجاجا وسأكون غداً رأساً . أنا لا أرهب أحداً .
هل يوجد من رأيي فأراً ؟ هل هناك من يقدر على أخذ ترسي مني ؟ اذا وجد
فليزرالي . »

ولاجنود الاحباش عادة فظيعة جداً يستعملونها وقت الحروب وذلك أنهم
يقطعون خصيتي الاسرى بحجة تقليل نسل العدو لذلك تجرد الجنود يتسابقون الى
الاتيان بما يقطعون من آلات التناسل لينالوا الفخر لدى رؤسائهم بذلك ويظهروا
بمظهر الشجاعة والاقدام . ومن أجل ذلك تجرد المتبارزين دائماً يكون أول همهم
قطع الخصية اذا ظفر أحدهما بالآخر . وقد عاد اكثر الاسرى الطليان الذين وقعوا
في أيدي الاحباش الى بلادهم مقطوعى الخصيتين . وقد أراد الامبراطور منليك
ابطال هذه العادة المستنكرة وأصدر بذلك أوامر متعددة ولكنه لم يقدر على استئصال

شأقها بالمرّة لان الجندي الذي يتمكّن من قطع خصية أحد الأعداء لا يأتي بها الى ضابطه بل يأخذها ويعلقها على باب منزله أو كوخه علامة الظفر بمدوه وكانوا يعلقونها على صدور خيولهم أو بفالمم وبعضهم كان يحشوها بالتراب لتكبر ثم يعلقها حينما يريد

وخيم الجنود الحبشية لونها أبيض وخيام الضباط مختلفة الألوان. وأما صيوان الامبراطور فانه يكون أحمر اللون. وتكون الخيمة الحمراء نقطة الدائرة في ترتيب المعسكر وقت النزول ويوجه باب الخيمة الى الجهة التي يسير منها المعسكر في اليوم التالي. فمن اتجاه باب خيمة الامبراطور تعرف الوجهة التي سيتوجهون اليها. وهذه القاعدة ليست خاصة بالجيش فقط بل ان القوافل السائرة في الفيافي والجبال تتبع القاعدة المذكورة عند نزولها. وأما نحن فاننا كنا دائماً نوجه أبواب صواويننا للجهة الآتي منها الهواء لذلك كان خدمتنا وجنودنا يستغربون ذلك ويسألوننا هل نحن ذاهبون الى آديس أبابا أم راجعون من حيث أتينا؟

رأيت في آديس أبابا أورطة (طابورا) مؤلفاً من أربعمائة جندي من العبيد السود وقد نظم جلاله النجاشي هذه الأورطة على الطراز الحديث وجعلها خاصة بخدمته. وهؤلاء الجنود السود يتبرنون تحت أمرة الكونت لاغي بورجر الفرنسي ولهم جوقة موسيقى على الطراز الاوروبي ويلبسون البانطلون والجاكت وعلى رؤوسهم طاقية حمراء تشبه الطربوش. وأما أرجلهم فعارية لانهم حافظوا على القاعدة العمومية الجارية في بلادهم وهي عدم لبس الحذاء



السبت ١٢ يونيو (حزيران) آديس أبابا

المقابلة مع جلالة الامبراطور — زيارة السفراء والرؤوس — وزرودستا

كان اليوم موعداً مقابلتنا مع جلالة النجاشي فلما أصبحنا ارتدينا بأرديتنا الرسمية الكبرى . وقبل أن نذهب أرسلنا الهدايا السلطانية مع خدامنا وجنودنا وصحبتهم رجل أرسله الموسيو ايلغ . وبعد ذلك خرجت الى الشرفة منتظراً ورود الجماعة الذين سيصحبوننا الى القصر الملوكي . وكان في المدينة حركة كبيرة والطرق مزدحمة بالناس وبينهم مئات من الرؤوس والقواد والضباط والجنود وكلهم بالملابس الرسمية يمتطون ظهور البغال ووراءهم عبيدهم وهم ذاهبون الى القصر وبعضهم يصطفون في الطريق .

ويرى الرائي هنا أنواعاً كثيرة من الالبسة الرسمية (التشريفة) ويمشي امام أكابر الاحباش عبيدهم يحملون أحسن أسلحتهم من رمح أو ترس أو حربة ويضع بعض قواد الجنود على رؤوسهم شعور الاسد والتمور فتدلى من وراء رؤوسهم والحاصل ان للجنود هنا هيبة تأخذ بالقلوب ويظن الناظر الغريب لاول وهلة انه يرى امامه انساناً في شكل أسد أو نمر .

بينما كنت أسرح الطرف في المارة على الطريق اذ رأيت في أول الشارع جندياً يقرب عددهم من الف قادمين علينا وبعد قليل وصلت هذه الاورطة (طابور) ثم جاء الموسيو ايلغ ورأس ولدى وعزاج كزومدير القصر الملوكي وأحد قرناء الامبراطور وفيتوراري ردى أحد حجاب الامبراطورة وغيرهم من رجال القصر ليرافقونا وكلهم بالاردية الرسمية .

وفي الساعة الثالثة (عربي) زكينا وسرنا قاصدين القصر والجنود محيطة بنا من كل جانب وامامنا جوقة موسيقية عسكرية مؤلفة من نايات وزمرو وبعض آلات لا أعرفها .

وكانت الطرق وأسطحة المنازل والشرفات والدكاكين خاصة بالناس الذين كانوا يحيوننا وكان بعض المأمورين بيدهم العصي يطردون بها الناس ليفتحوا الطريق للموكب . وصلنا الى القصر ودخلنا بين الازدحام الذي يفوق الحصر والوصف وعبرنا من الباب الاول الى ساحة فسيحة محاطة من كل جانب بجدار ثم دخلنا من باب آخر الى ساحة أخرى والساحتان كانتا غاصتين بالجنود وفي الساحة الثانية كانت بطارية مدافع واقفة تؤدي التحية باطلاق البارود . وبعد الساحة الثانية وجدنا مرآة كبيرة جداً وهنا يوجد البهو الملكي الكبير المسمى آدرش . دخلنا من باب البهو فوجدنا جلالة الامبراطور منليك جالساً على عرش جسيم وهو محاط بمحاشيته ورجال بلاطه وعددهم يقرب من مائة . فلما دخل الوفد الى البهو أخذت تدوي المدافع فقمام الامبراطور حينئذ ثم جلس ولما اقتربنا منه انتصب قائماً للمرة الثانية فهتف امام جلالتة بخطاب وجيز فيما يخص مهتمتي التي أتيت من أجلها ثم أعطيته الكتاب السلطاني والنيشان فأخذهما مني بكل تجلّة واحترام وفاء بعبارات الشكر . للحضرة السلطانية . وبعد ان تمت هذه الرسوم أشار بيده الى مقعد امام العرش الملكي كان أحضر بصفة خصوصية فجلست عليه . وبعد ذلك أخذ جلالتة يسألني عن صحة جلالة مولانا السلطان الاعظم وعن الامن والراحة في البلاد العثمانية وعما اذا كنا تعبنا في الطريق أم لا . وبعد قليل قدمت الهدايا السلطانية فصار يفحصها بنفسه واحدة واحدة ويظهر مزيد سروره . ثم أخذ يشرح امتنانه وشكره للحضرة السنية السلطانية التي تفضلت واقتكرت بجلالتة (أي بالامبراطور) . وأما الهدايا السلطانية فكانت مؤلفة من طاقم شاي وبسط من صنع فابريقة حركة السلطانية وأقشة للملابس والفرش وجوز شمعدانات من الفضة وكلهم من أحسن ما صنع وأبدع ما عمل .

كانت حاشية الامبراطور كلها واقفة وراء العرش وعلى جانبيه سوى ثلاثة كانوا جالسين على مقاعد موضوعة على يمين العرش الملكي وهؤلاء الثلاثة هم رأس ما كورنين ورأس جورجيس ورأس تسما . وقد عرفني بهم الموسيو ايلع الذي كان يؤدي وظيفة

الترجمان فمصالحنا وشكرت للرأس ما كوين ما رأيتيه من الاكرام في منزله الكائن في هرر .

دامت هذه المقابلة نصف ساعة تكامنا في خلالها مع جلالة النجاشي في مواضع مختلفة . وكان جلالاته مرتدياً بالملابس الرسمية ومتقلداً وساماته المرصعة والتاج الملوكي المرصع كان موضوعاً على العرش بجانب جلالاته . وكان على رأسه كوفية يلبسها دائماً حتى تحت القبعة وهو جالس فوق العرش على الاصول الشرقية (مربع) وحوله الوسائد يتكى بيديه عليها .

وأما العرش الملكي فانه كان مزيناً تزينا عظيماً كأنه سرير عروس وحجمه متر ونصف يصعد عليه بدرج واحد وهو مصنوع من الاخشاب المنقوشة والمذهبة والفرش والوسائد الموجودة على العرش مشعولة كلها بالقصب . ويأدب النجاشي كل يوم أحد في هذا البهو مأدبة يحضرها جميع القواد وأمرأ الجنود والجنود ويتناول جلالاته الطعام في ذلك اليوم وراء الستر وبعد الطعام يكشف الستر فيظهر جلالاته للمدعوين الذين يجلس كل فوج منهم على خوان . ويأتي الخدم من الخارج بأطباق المأكل فيوزعون الاطعمة على الخوانات . والجنود تدخل للطعام أيضاً فوجاً فوجاً . والطعام المقبول عندهم في هذه المأدبة هو اللحم النيء . وتذبح مئات من العجول وتسلخ وتقطع قطعاً وتوضع على الموائد وحرارة الحيوان موجودة فيها بعد . فيأخذ كل من المدعوين قطعة ويقطعها على شكل مستطيل وبعد ان يمسها بالفلفل الاحمر يعض عليها بأسنانه ويقطع ما بقي خارج فمه بخنجره ويضع ما بقي في فمه وهكذا حتى يشبع . والاوروبيون هنا يعجبون كيف ان الاحباش لا يقطعون أنوفهم عند ما يأكلون على هذه الصفة . أي عند ما يقطعون اللحم بالخناجر وهم مسكون له بأسنانهم

وطول هذا البهو ٨٠ ذراعاً وعرضه ٦٠ وارتفاع سقفه متناسب مع طوله وعرضه وقد أقيم السقف على أعمدة كبيرة قائمة على صفيين بين الواحد والاخر عشرون ذراعاً . والبناء مشيد من الحجر وعوارض السقف من الخشب ومستورة بنوع من الساج مطلق

بطلاء معدني . وهذا البناء أقيم على الطراز الجديد هو محكم التشييد جداً .

ولما استأذنا بالانصراف من لدن جلالة الامبراطور طلب اليانا ان نجيء في اليوم التالي الى انصر فشكرنا جلالاته ثم انصرفنا وأتينا الى منزلنا بالوكب الذي ذهبنا به الى القصر . وبعد ان جالس معنا رجال التشريفات برهة قليلة شربوا في خلالها القهوة والشربات انصرف كل في سبيله

وبعد الظهر ذهبنا لزيارة السفراء وكان يمشي الخدم والجنود بالاسلحة وراءنا حسب عادة البلاد . يوجد هنا لكل من دولة انكلترا وفرنسا وروسيا وايطاليا سفير . ودور السفارات بعيدة مبنية على هضبات مرتفعة بعيدة بعضها عن بعض الاسفارة انكلترا وفرنسا فان المسافة بينهما قريبة . والمواصلات هنا صعبة بسبب عدم وجود طرق وشوارع منتظمة . ولا يذهب أحد ليلاً عند الآخر لعدم وجود عجلات للركوب لذلك كان السفراء يقابل بعضهم بعضاً في النهار . وكثيراً ما تزاق أرجل البغال في الايام الممطرة فتقع هي والركاب وذلك بسبب الصعود والتزول ولزوجة التربة . ودور السفارات الموجدرة الآن هي عبارة عن طبقة أرضية واحدة وانما هي على غاية من النظافة والترتيب . وقد بنى المستر هاريفجتون السفير الانكليزي دار سفارته على طراز لطيف جداً فانه أنشأ اكواخاً متعددة على مثال اكواخ الوطنيين ثم وصلها كلها بعضها ببعض بدهاليز . وداخل هذه الاكواخ مفروش بفرش جميل صنعه هنا عمال أتوا من الخارج لهذا القصد .

مررت على الرؤوس لزيارتهم ولكن لم أجدهم لانهم كانوا لم يزالوا في القصر الامبراطوري . وذهبت الى منزل افانفوس فلم يكن موجوداً بمنزله وبينما كنا نهم بالرجوع بعد ان تركنا بطاقة الزيارة اذ قال لنا الخدم ان السيدة حرمه مستقابلنا فدخلنا وبعد قليل ظهرت سيدة جميلة جداً يقرب عمرها من اربعين عليها ملامح الذكاء الشديد فاستقبلتنا بكل لطف واکرام . وكانت هذه السيدة محاطة بجواري وعبيد يقرب عددهم من ثلاثين . وعرفتنا بنفسها أنها حرم افانفوس وان اسمها وزرودستا وعلى

ذلك أخذنا تجاذب أطراف الحديث بواسطة مهباندارنا الحاج أحمد افندي فأعجت
 برقة هذه السيدة ولطفها وذكائها ومما تأتي به من العبارات الجميلة والامثال البديعة
 التي كانت تضر بها لنا في خلال كلامها مما يضعها في مصاف أحسن نساء أوروبا تربية
 وتمهيداً . وقد قدمت لنا شربات العسل وشربات (برز) وبينما كنا عندها أخذت
 الامطار تهطل بحيث اضطررنا الى البقاء عندها حتى انقطاع المطر . وكانت جالسة
 امامنا وعلى رأسها غطاء (طرحة) ولما أخذنا نشرب الشربات طلبت الاناء
 الخاص بها لتشرب على صحتنا فأتوا بها لها وهي تسع مائة درهم فقط . والسيدات
 هنا (ويقال للواحدة منهن وزرو وذلك بدل خانم) لا يشربن الماء أو غيره بالاقداح
 بل يشربنه مباشرة من (الصراحية) اذ لكل سيدة واحدة خاصة بها ذات نقوش بديعة
 ولما رجعنا الى المنزل قيل لنا ان رأس ما كورن حضر في غيابنا لزيارتنا كما ان
 الموسيو ابلغ أنى موفداً من قبل النجاشي . وقد ترك الموسيو ابلغ لي كتاباً يقول فيه
 ان جلالة الاميراطور يريد ان يقابل الوفد مقابلة خصوصية في الساعة الثامنة صباحاً
 من نهار الغد (الاحد)

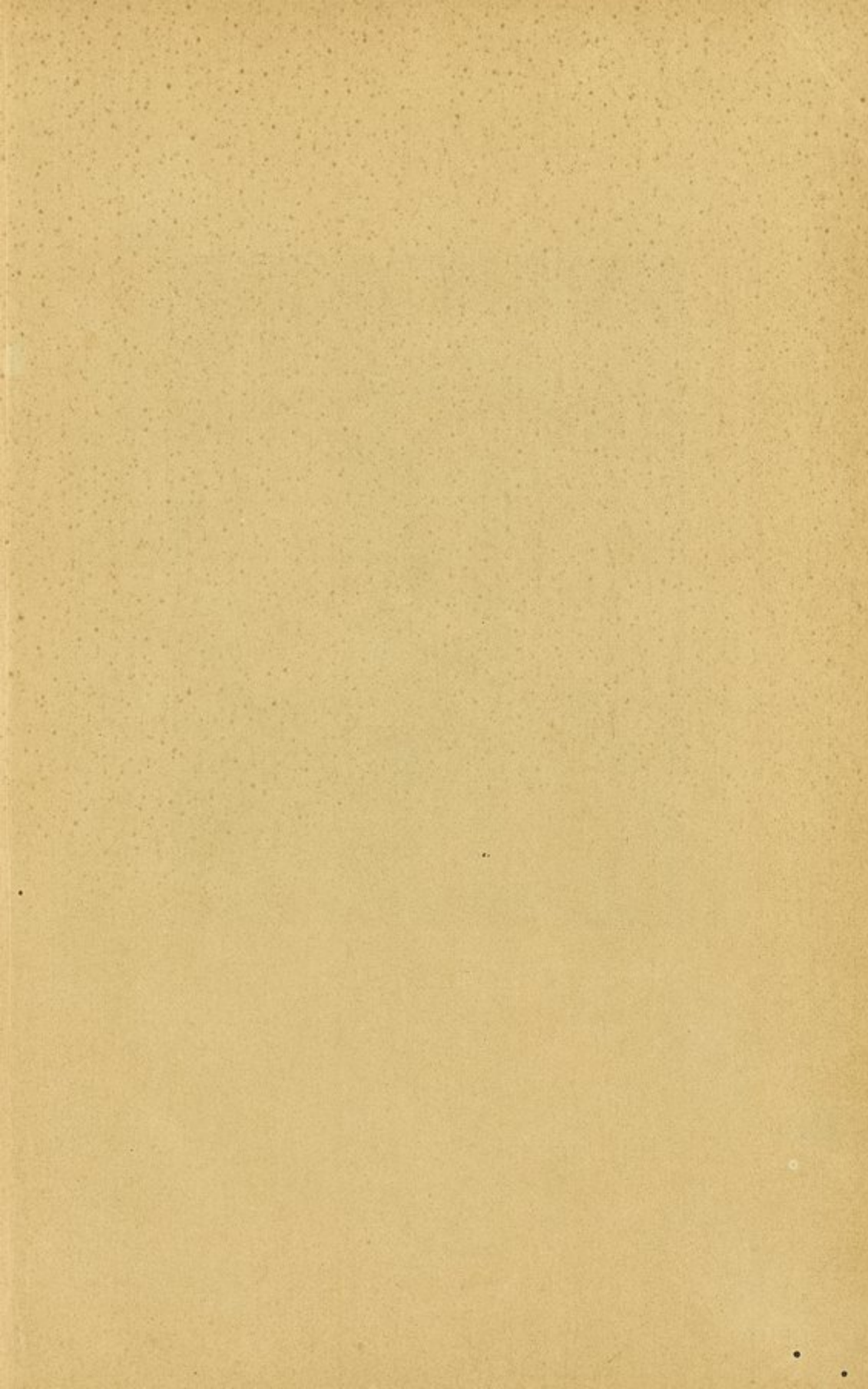
ورد اليوم لنا كثير من الزاد والموئن (طورغو) من قبل الامبراطورة غير الذي
 ورد من قبل الامبراطور . وكان الذي ورد من الامبراطورة خراف وكثير من الدجاج
 وجرار (بلاصيات) مشروب التيج وقدور السمن ومقاطف البيض وأرسلت احد
 حجابها لاهداء الوفد تحياتها

وهنا يجب ان اصف قليلا جلالة الامبراطور وما علمته عنه :





الامبراطور منليك بكسوة التشريفة الكبرى



جلالة الامبراطور منليك

ان جلالة منليك رجل طويل القامة مهيب الطلعة جميل المنظر ربعة متواضع وقوراً . وهو الآن في الستين من عمره ، نشيط يميل الى ان يعلم كل شيء وبواسطة هذا الميل وقف على أمور شتى وعلم صناعات كثيرة مثل فك آلة الساعات وتركيبها ثانياً وكشف عدد البنادق والمدافع حتى اوضحت لديه من اسهل الامور وهو على جانب عظيم من الذكاء والدهاء . يعامل جميع رعاياه بالمساواة ويحكم بينهم بالعدل ويحب لهم الخير ولذلك تجمد رعاياه من مسلمين ومسيحيين أجمعوا على حبه واطهار امتانهم منه . وجلالته شغف زائد بالفن المعماري ويمكننا ان نقول انه اعظم مهندس معماري يوجد في الحبشة يرسم بيده اغلب رسوم الآنية ويصف للقائمين بالعمل كيفية السير بموجب هذه الرسوم مما يستوجب استغراب الاوربيين وعجبهم وقد تعلم من بعض الاطباء والصيدليين تركيب بعض الادوية . يوجد في قصره رجال من الصناع والمهندسين والعمال للقيام بالاعمال الصناعية والهندسية وهو يحدث كل واحد من هؤلاء فيما يختص بصنعتة ويشاهد بنفسه ما يقومون به من الاعمال ويسأل عن الامور التي لا يفهمها ويطلب منهم أن يصنعوا بعض الاشياء أمامه . ومما بلغني عنه من هذا القبيل انه - تحسن أحذية الافرنج الذين كانوا يقدون عليه عند ما كان ملكاً على مقاطعة شوا وطلب مرة الى أحد المهندسين أن يصنع له حذاء أمامه ليرى كيفية صنع الاحذية . فأجابه المهندس معتذراً بأنه لم يشتغل قط بصنع الاحذية واكن لم يرق هذا الكلام في عين منليك وأصر على طلبه فلم ير المهندس بداً من انفاذ امر الملك فقام بجهز ما يلزم لصنع الاحذية فأوصى على صنع قالب خشب وحل قطع حذاء قديم عن بعضها ليرى كيفية تفصيلها ثم أحضر الجلود اللازمة وأخذ يشتغل بصنع الحذاء أمام منليك حتى صنع له حذاء منها وبذلك نفذت رغبة جلالته التي

وقف بواسطتها على كيفية صنع الاحذية . وأمر مرة المهندس أن يصنع له بندقية تطلق بالخرطوش على الطراز الجديد . وهو يعلم أن صنع هذه الاشياء في أوروبا يكون أقل عناء وأقل نفقة ولكنه يطالب صنعها أمامه وفي بلاده ليقنع من امكان صنعها في بلاده ويتأكد من معادنها واخشابها . والاوربيون يعترفون لمنليك بالمهارة السياسية والعسكرية وقد كان قائداً عاماً لجميع حركات الجيش الحبشي في حربه مع الطليان اذ كان يراقب بنفسه مواقع المحلات التي كان ينزل فيها الجيش كما انه كان يقوم بنفسه أيضاً بالكشف على الاطراف قبل القتال ويرتب جيشه حسبما تظهره له المعاينة والاختبار

وأما والده فهو هبلو ملوكت ملك شوا وجده ثالث ملوك شوا . وقد كان تيودوروس نجاشي الحبشة السابق حارب هبلو ملوكت والد النجاشي الحالي وبعد أحضر ولده منليك الى مجدلا وزوجه بنته وأمره بالاقامة هناك

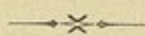
ولما قرب الانكليزي في سنة ١٨٦٧ من مجدلا تمكن منليك من الفرار منها وقطع الوديان والجبال الصعبة للمرور وحيداً ليس معه أحد ولحق بيضة آلاف رجل من رجال أبيه وأخصائه وقومه وقبيلته وكانوا في انتظاره فاستقبلوه أحسن استقبال وسروا لمحبيته فسار من هناك ومعه رجاله وجميعهم مساهون وهاجم انوبزابه حاكم مقاطعة شوا المولى من قبل تيودوروس فهزمه واستولى على بلاد شوا وصعد على عرش أجداده وأبيه ومن هذا التاريخ انقطعت جرثومة الحروب الداخلية في مقاطعة شوا وخضع الغاللا لملكها فاضحت هذه المقاطعة من ذلك اليوم أضخم وأقوى جزء من أجزاء المملكة الحبشية . ولما صار دجاز قاسا أمير تيغرى امبراطوراً على الحبشة باسم يوحانس ابتدأت المحاصمات بينه وبين منليك ولكن الاخير نفر من سفك الدماء فسد باب المحاربات الداخلية وقبل ان يكون تابعا ليوحانس مع انه لم يكن انتصاره على الامبراطور أمراً صعباً ولما قتل يوحانس في واقعة القلابات كما مر ذكره اعترف جميع رؤوس وأمراء الحبشة بامبراطورية منليك وأخذت كلمته تملو ونفوذه يزداد واحتفل بتتويجه





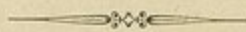
الامبراطوره تايتو زوجة منليك

بعد واقعة أدووا وأخذ يرسل ملوك الدول العظمى في أوربا
وكانت زوجة منليك الأولى توفيت فتزوج بجلالة تايو الامبراطورة الحالية في
سنة ١٨٨٧ واحتفل بتتويجها ابراطورة على المنبشة سنة ١٨٨٩ بعد الاحتفال
بتتويجه بيومين



دافع المصائب والبلاء

في بلاط النجاشي وظيفة على غاية من الالهية يطلق عليها اسم (ليئا ماقواس)
ويجب على الشخص المرشح لاحراز هذه الوظيفة أن يكون مشابهاً للامبراطور من
حيث البنية والشكل تمام الشبه واصحاب هذا المنصب أن يرتدي بمثل ما يرتدي
الامبراطور ويعلق أوسمته وبالجملة ان الشرط الاعظم أن لا يكون فرق بينه وبين
الامبراطور . وفي بعض الاحيان يقسم المنصب بين اثنين يشبهان النجاشي
(ليقامقواس) هذا يقف دائماً وقت المروب والاسفار قرب الامبراطور وتحت
شمسيته ولا يقدر أحد حتى ولا الجنود أن يميزوا الامبراطور الحقيقي من الامبراطور
الوهي فيتمكن الامبراطور بذلك وقت المروب أن يترك شبهه تحت خيمته وشمسيته
في مركزه الرسمي ليذهب هو ويتجول أين شاء دون أن يصيبه أذى أو أقل خطر
ويكون في معزل من قنابل العدو ورضاصه وليقامقواس هذا يكون دائماً معرضاً للمهالك
بدلاً من الامبراطور ولذلك سميت بدافع البلاء



جلالة الامبراطورة تايو

ان جلالة الامبراطورة تايو هي من عائلة عريضة في الحسب من مقاطعة تيغرى
ولها في بلاد المنبشة نفوذ عظيم وجاه كبير لذلكها وفطانتها وصبرها على المنكاره

وعقلها الكبير حتى ان زوجها يعتمد عليها في كثير من أمور الدولة ويرجع الى رأيها
ويأخذها الى الحروب معه

وأنضي هذه الامبراطورة أوقاتها داخل الحرم وقليلاً ما تظهر امام الناس الا في
اسفار النجاشي وفي اثناء الحروب فانها تكون معه . ويقول الافرنج انها لا تحب
الاوروبيين ولا تميل اليهم ويمكن ان يكون سبب هذه الكراهة تعرض الانكليز
والطليان لشؤون بلاد الحبشة . والكهنة في البلاد الحبشية جميعهم من حزب الامبراطورة .
ويقال انها على غاية من الشدة في معالمتها بعكس الامبراطور المشهور بالحلم فلذلك
يهاب الناس جانبها اكثر مما يهابون جانب النجاشي . ويروى ان النجاشي كان أراد
أن يعفو عن الاسرى الوطنيين الذين أخذوا في الحرب مع الطليان من عقوبة قطع
الرجل والايدي ولكنه لما رآها تلح على تنفيذ قانون البلاد على هؤلاء المنكودي المظ
اضطر لتفنيه .

والامبراطورة دائرة خاصة بها فيها كثير من الخدم والحشم وقد كانت اثناء
الحرب مع الطليان هي وحاشيتها وفرقة حرسها وهي نحو خمسة عشر الفاً تحت الخيام
وهذا الجيش ياتمر مباشرة بأمرها فيتلقى قوادها الاوامر مباشرة منها ويتولى الضباط
الطليان الذين كانوا حضروا حروب الحبشة بأن تاتي كانت تدبر حركات جيشها
الحربية كأعظم قائد من قواد الجيوش ذوي المهارة التامة في الفنون العسكرية . وجلاتها
حريصة على شرف الحبشة وسمعتها ولها دخل عظيم في وصول هذه البلاد الى ما عليه
الآن من الرقي بما بذلته من العناية في هذا السبيل كما انها كانت السبب الوحيد في
الحرب مع الطليان واليك البيان :

يوجد معاهدة بين ايطاليا والحبشة تعرف باسم عهد أوقسيالي مؤلفة من عشرين
مادة تبين حدود البلادين وتحدد المعاملة الرسمية بينهما ومن جملة مواد هذه
المعاهدة المادة السابعة عشرة التي كانت السبب في القيل والقال وكثرة الاخذ والرد
واليك ترجمة مضمون هذه المادة من النسخة الطليانية :

« ان جلالته امبراطور الحبشة يوافق على أن تكون مخابرة الحبشة مع سائر الحكومات والدول بواسطة ايطاليا »

أما في النسخة الامحرية فانه ورد في المادة المذكورة (للنجاشي أن يستفيد من توسط ايطاليا) بدلا من كلمة (يوافق) والفرق عظيم جداً بين الجملة الاولى والجملة الثانية لذلك اضطر منليك أن يحتج على المادة المذكورة فأرسلت ايطاليا الكونت انتونلي الى شوا لفصل هذه المسئلة . وطلب منليك تعديل هذه المادة وأن لا يترك فيها مجال للحط بكرامته بين دول اوربا وأخذت المذاكرات في ذلك تجري بطريقة جدية . ولما انتهى المندوب الطلياني من وضع مسودة التعديل قدمها الى الامبراطور الذي لم ير فيها شيئاً للتصليح والتعديل ثانية كما ان رأس ما كونن ورأس منغاشيا وورئيس الكهنة كانوا موافقين على كيفية التعديل الجديد ولكن معارضة الامبراطورة تايو في مشروع التعديل غير الحالة

وذلك انه كان الكونت انتونلي مدعواً في القصر فجلس بعد العشاء مع الامبراطور والامبراطورة يتكلمون في مسألة تعديل المادة المعارض فيها فقالت الامبراطورة للكونت ان حكومة ايطاليا ابلغت مضمون المادة السابعة عشرة من المهدة الى دول أوربا كذلك نحن أيضاً عرفناها على الوجه الوارد في النسخة الامحرية وان للمادة المذكورة معنى غير المعنى الوارد في النسخة الطليانية ونحن لنا شرف ينبغي المحافظة عليه فأجابها الكونت بأنه وضع عبارة أخرى ايضاحاً للمادة المذكورة فقالت الامبراطورة (نعم تريدون أن تضعوا مادة تعرفون بها ان الحبشة تابعة لكم ولكن هذا لا يكون أبداً . ان الحبشة لا تقبل حماية أحد) فتأثر الكونت انتونلي من هذا الكلام وقال (اذاً فلتضع جلالته الامبراطورة هذه المادة) فقالت تايو (نعم سيكون ذلك) وبعد هذه الجملة القصيرة انصرف كل الى سبيله

وبعد بضعة أيام اقترح الكونت انتونلي على الامبراطور أن يكتب كتاباً لطيفاً سلمياً الى ملك ايطاليا بخصرص المادة المختلف فيها فأبى ذلك لممانعة الامبراطورة

وأرسلت الى الكونت مادتين قصيرتين

مادة (١) ان المعاهدة التي عقدت في اليوم الثاني من مايو (مايس) من سنة ١٨٨٩
تعتبر لاغية ومفسوخة

مادة (٢) ان امبراطور الحبشة يتعهد لملك ايطاليا بأنه لا يتنازل قط لاي حكومة
كانت من حكومات أوروبا أو غيرها بأرض من مملكته ولا يقصد معاهدة معهن
ولا يقبل حماية قط

فلما وصلت هذه المسودة الى الكونت اعتبرها كأنها اعطاء الجواز (تذكرة مرور
أو بسابورط) له فنطع جميع صلاته وعاد الى بلاده



يوم الاحد ١٣ يونيو (حزيران) آديس آبابا

مقابلة الامبراطور الحصوصية والوداع — الجوس وحارسه في حديد واحد — الهدايا الامبراطورية

اليوم صباحاً ورد أحد رجال رأس ولدى لاهدائنا السلام من قبله والسؤال عن صحتنا وأحوالنا وفي الساعة الثانية (عربي) ركبنا البغال الى القصر ومعنا جمع غفير من الجنود والخدم وتقابلنا نحن والموسيو ايلغ فدخلنا لمنزله وترجمنا الكتاب السلطاني الى اللغة الفرنسية ليرجمها المرما اليه الى اللغة الامحرية فيما بعد . وبعد أن أتمنا هذا العمل ذهبنا الى قصر النجاشي . فأدخلنا الى قصر منفصل من دائرة الامبراطورة بحائط ويسمى هذا القصر (شهلايت) وقد رسمته بعدة الفوتوغراف التي كانت معي حينئذ وهذا القصر الصغير مبني ومفروش على الطراز الشرقي وفي وسطه سرير يشبه أسرة النوم خاص يجلس الامبراطور عليه والقصر مفروش بالطنافس التي أهدتها الحضرة السنية السلطانية الى جلالة النجاشي كما ان العرش كان مغطى بسجاد من الحرير وهي أيضاً من جملة الهدايا المذكورة . وقد أراد الامبراطور بذلك أن يرينا سروره من لطف الحضرة العلية السلطانية وبينما كنا في هذا البهو ننتظر أن يأخذونا الى محل آخر يكون الامبراطور موجوداً فيه اذ فتح الباب انكائين بين دائرة الامبراطورة ودخل جلالة الامبراطور لبهو فبروانا لاستقباله فصاحنا مراراً يداً بيد بكل لطف وتعطف ففهمنا من ذلك انه حضر لعندنا وانه أعاد بذلك الزيارة لنا . وبعد أن جلس على العرش أمر فخرج كل الموجودين في البهو ما عدا الموسيو ايلغ وأحد قرنائيه ونزع قبعته عن رأسه ووضعها بجانبه علامة على انه جعل مقابلة هذه المرة خصوصية غير رسمية وأشار الي أن اجلس على المقعد الكائين أمامه ففعلت ثم جعل فاتحة حديثه

السؤال عن صحة الحضرة السلطانية المعظمة وانتقل بعد ذلك الى الكلام عن الدير الحبشي الكائن في القدس ثم السؤال عن الصلوات التاريخية التي كانت موجودة بين العالم الاسلامي والحبشة فأخذت أشرح لجلالته على وجه الاجمال المخبرات والمهاداة التي وقعت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين النجاشي أصحمة وكيف أن المهاجرين المسلمين وجدوا أحسن قبول وأحسن حماية في الحبشة وانه كان كثير من الاحباش مصاحبين لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما انه يوجد ليومنا هذا كثير من الاحباش بوظائف سامية عند جلالة مولانا السلطان الاعظم بصفة مصاحبين . فسر ذلك جلالاته جداً وقال انه يريد أن تكون الصلوات الحسنة الحبية متصلة دائماً وانه يحب رعاياه المسلمين كما يحب رعاياه الامحريين بدون فرق

وقد ظلت المقابلة نصف ساعة جرى الحديث في خلالها على مواضيع مختلفة ثم استأذنا من جلالاته بالسفر الى الساحل قبل أن يشتد هطول الامطار في موسمه كان جلالة الامبراطور اليوم لا بساً قفطاناً من قماش الشام فوقه برنس وعلى رأسه قبعة من الكلاستور موضوعة فوق الكوفية البيضاء وفي رجله نصف حذاء من الجلد الاصفر

وبعد انصرفنا من القصر أخذنا في التجول بالمدينة لاعادة الزيارة الى بعض من زارنا ولم تتمكن من اعادة زيارته البارحة فزرنا رأس قوقسا زوج بنت النجاشي ورأس تسما . ورأينا في طريقنا حمامات حارة معدنية أقيمت عليها أكواخ خشبية فالذي يريد يدخل اليها ويستحم بأجرة زهيدة جداً كما ان كثيراً من الناس يستحمون في الخارج مجاناً والماء كثير يجري ويذهب ضياعاً

رأينا قرب منزل رأس قوقسا فتاتين مكبلتين من معصميهما بسلسلة واحدة من الحديد فسألت عما اقترفناه من الذنب فقيل لي ان الواحدة هي المذنبه ولذلك كبت بالمديد والثانية موكلة بحراسة المحكوم عليها بالمقاب فربطت مع المجرمة لاعتماد سيدها على أمانتها لتمنع هرب المذنبه . أمانا فلم أجد فرقاً بالمعاملة بين المذنبه والحارسه !!

وفي الساعة العاشرة رأينا موكباً فخياً آتياً الى منزلنا ولما اقترب منا رأينا أحد
أكابر المستخدمين ووراءه أكثر من ستين رجلاً يسحبون بضعة عشر بغلاً على كل
منها البرادع الجميلة . ولما وصلوا صعد الينا رئيسهم ومعه عشرة من رجاله يحملون معهم
الحراب والسيوف وكساوي رسمية (كساوي تشريفة) حبشية ففهمنا أن النجاشي
أرسلها لنا هدية وعلمنا أن الرجل الكبير يسمى اتوغنا ووظيفته أمين ملابس جلالة
الامبراطور . فأبلغنا التحية الملوكية وأخذ يعلق بيده الوسامات التي أنعم بها جلالة
الامبراطور على رجال الوفد السلطاني كل حسب رتبته كما انه سلم لنا البرات المكتوبة
على رق غزال وسائر الهدايا الامبراطورية . واليك بيان درجة الوسامات والكساوي
الرسمية (أي الرتب) التي أهديت الينا :

لي وسام خاتم سليمان من الدرجة الاولى والكسوة الرسمية الخاصة بالرؤوس
(أي انه أنعم عليّ بهذه الرتبة) وتؤلف هذه الكسوة أولاً من الكسوة نفسها ومن
رمحين وسيف وترس وبغل خاص بركوب الامبراطور مع برذعته
لطالب بك وسام خاتم سليمان من الدرجة الثالثة والكسوة الخاصة برتبة درجماج
(الكسوة ورمحان وسيف وترس وبغل من الاصطبل الامبراطوري)

لياسين جاو يش وسام يعطى للضباط فقط وأسلحة بيضاء وحصان . كما أنه أرسل
لكل من الجنود الخمسة الذين كانوا معنا بغلاً وعليه برذعة . فلا تسل عن سرور هؤلاء
الجنود من هذا الانعام وقد شربوا من مشروب (تيج) اظهاراً لسرورهم لانه يندر
جداً أن ينال الجندي من الامبراطور بغلاً كمكافئة . ظهر لي أن البغال هنا مرغوبة
أكثر من الخيل

وفي المساء حضر المتولي أعمال سفارة ايطاليا هنا وكتبة سائر السفارات لزيارتنا
وأما سفير ايطاليا فانه كان توجه الى أوروبا بينما كنا نحن في الطريق الى آديس آبابا
وتقرر أن نقوم من هنا يوم الثلاثاء القادم أي بعد نهار غد لذلك كنا مشتغلين بتجهيز
ما يلزم لذلك

يوم الاثنين ١٤ يونيو (حزيران) آديس آبابا

إعادة السفارات الزيارة — تقديم الاهالي المرضحال الشفهي للامبراطور — هل هذه مظلة أم ترس — مقابلتنا مع رأس ماكونن

وفي صباح هذا اليوم ورد المستر هارينجتون سفير انكلترا وسكرتيره الاول لاعادة الزيارة لنا . وكنت أفكر قبل أن أصل الى آديس آبابا أن نزل بالعودة غرباً الى ساحل النيل الابيض ونعود من هناك عن طريق فاشوده وأم درمان والخزطوم فالقاهرة فلاسكندرية بدلا عن طريق جيبوتي الذي آتينا منه . وقد فاتحت كثيراً من الناس الذين لهم علم بأحوال هذه الجهات فكان جوابهم كلهم بأنه ليس في الامكان الآن الذهاب بهذا الطريق لكثرة الامطار في هذا الموسم حتى ان سواحل نهر سوبات تستحيل الى مستنقعات لا يمكن العبور منها ولكن لما أعلمه من جراء الانكاييز واقدامهم على مثل هذه الاسفار وعدم مبالاتهم بالاطار وتحمل المشاق كاشفت المستر هارينجتون الموما اليه بنيتي هذه فاستحسنها بيد انه قال كما قال الآخرون من الصعوبة الموجودة من موسم الامطار وبعد الشقة ثم قال « اذا كنتم مصريين على الذهاب من طريق النيل فاني مستعد للقيام بكل ما في وسعي في سبيل راحتكم في الطريق فاني أرسل الآن رسالة برقية الى فاشوده ونستعلم عن مواعيد وصول وسفر الباخرة الصغيرة التي تمخر ذهاباً واياباً بين النيل (وايتانغه) الكائنة على ساحل سوبات » فشكرت هذا السفير اللطيف وعزمت على العودة الى جيبوتي عن طريق عصبوت المتوسط بين طريق اداو وطريق جرجر الا أنني تيقنت من اجماع كلام كل من أخذت رأيه في العودة عن طريق النيل ان ذلك غير ممكن ون المواصلات منقطعة تمام الانقطاع بين النيل الابيض وآديس آبابا مما يجعل السفر فيه

من رابع المستحيلات ، وقد حسبنا مع المسترهارينجتون المدة الواجب قطعها من آديس أبابا الى محطة الزفاص بعد مراجعة الخرط وتعيين الاتجاه فوجدنا انه يلزم نحو ٣٥ - ٤٠ يوماً اذا كان الطقس جيداً واذا أسرع في السير وكانت الاحمال خفيفة فيلزم نحو ثلاثين يوماً

وبينما كان المسترهارينجتون عندي جاء الموسيولاغارد سفير فرنسا ومعه اليوزباشى موسيو مارتنديه كان والملازم موسيو قوللات وكلاهما من موظفي السفارة العسكرة بين (ملحق حربي) فشاركونا في بحثنا بخصوص السفر بين آديس أبابا والنيل فصادقوا على كلام المسترهارينجتون وعلى أرجحية وجوب السفر من طريق العصوت وبعد الظهر ذهبت الى منزل رأس ما كوتن . وبينما كنت في الطريق رأيت نفرًا من الناس نحو خمسين رجلاً واقفين على رهوة أزاء القصر الامبراطوري على بعد نصف ساعة منه وكلهم ينادون (جانهوي جانهوي) أي الامبراطور الامبراطور باعلى أصواتهم ويتخلل الاصوات بعض كلام ما كنت أفهمه وبعد قليل ورد أحد رجال الحاشية وأخذ منهم عرضحالم . ولدى السؤال علمت ان هؤلاء الناس لهم مصلحة يريدون ان يعرضوها على مسامع النجاشي

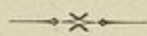
كنت وصفت في هرر المظلات ذات ألوان قوس قزح كما اني كنت تكلمت على بعض مظلات أخرى وطنية لا تعلق قط مصنوعة من عشب رفيع يستعملها هناك السيدات للزينة ليس الا . واليوم رأيت هنا مظلة غريبة وغليلة الشكل وأظن انها صنعت لتمنع البرد الكبير الحجم وهذه المظلة مصنوعة من أعواد شجر طولها ذراع ونصف وعرضها ذراع وليس لها يد ويمسكها الانسان من مقبض في وسطها كالتروس وتقوم مقام آلة دافعة عن صاحبها اذا هاجمه وحش كاسر وصلنا الى منزل رأس ما كوتن فاستقبلنا من الخارج كوكبة من الجنود واستقبلنا الرأس بكل اكرام واحترام وأخذ يشرح لنا سروره من مقابلته لنا اليوم وأنه حضر

البارحة لزيارتنا في محل نزولنا ولكنه لم يجدنا . وهذا الرأس على جانب عظيم من اللطف والايناس والتواضع والورع . شغف باكرام الضيف . وقدم الخدم لنا من المشروبات الوطنية والقهورة واللبن فشر بنا البرز والقهوة وقد وجدت طعم للعسل المعمول منه البرز نفيساً جداً يعادل طعم العسل الذي كنت أكلته في أقره ويشبه عسل الطائف أيضاً . ونفاضة هذا العسل ناشئ من جمع النحل الزهور ذات الروائح العطرية ولما علم الرأس اننا وجدنا البرز لذيذاً أرسل الى منزلنا بضع جرات من غير ان نعلم ذلك

وهذا الرأس قريب الامبراطور وهو رجل مشهور بالذكاء والجرأة والاقدام والشجاعة وكلته نافذة أكثر من كل الرؤوس ولذلك هو مرشح لان يكون امبراطوراً في المستقبل . وهو رجل متوسط القامة نحيف الجسم وقور فاتح اللون طويل الوجه يلقي الرهبة والاحترام بقلب الناظر الى سياه

والرأس ما كونه غني جداً ويميل لنشر العلوم والمعارف بين الناس وقد اشتهر بانه سياسي محنك عظيم كما انه جندي مقدم . ولكونه زار مراراً أوروبا واختلط باهلها له وقوف والمام بها وقد استجلب حب الاحباش واحترامهم له بما جيل عليه من الشجاعة والورع والتقوى . كثيراً ما سمعت من جميع المسلمين الاحباش الذين رأيتهم وقابلتهم الثناء عليه . وقد بلغني ان بعض رعا ع اليونانيين في هرر كانوا في اثناء الحرب اليونانية العمانية يؤذون المسلمين ويحتقروهم والمسلمون يتحملون ذلك بكل مضض وصر . ولما حقت الكلمة على اليونان وانهزمت امام الجنود المظفرة العمانية قام المسلمون يزينون منازلهم ودكاكينهم ويدعون للحضرة السلطانية بمزيد النصر فلما رأى اليونانيون ذلك ذهبوا عند الرأس ما كونه فشكوا أمرهم له وقالوا انما المسلمون يقصدون بذلك احتقارنا والخط بكرامتنا امام الناس فاجابهم الرأس (عندما كنتم تعدون عليهم وتحتقروهم ما كان أحد من المسلمين يرفع صوته ولا بكامة واحدة ولما قاموا الآن يظهرون سرورهم بحق من غير ان يتعدوا عليكم أخذتم بالشكوى منهم انكم تقوم معتدون)

والرأس ما كوزين متصف بالاخلاق الفاضلة الطيبة ولا يأكل ولا يشرب الا
 باعتدال وكان يحب زوجته المتوفاة حباً عظيماً جداً حتى انه لما توفيت عتد النية ان لا
 يتزوج من بعدها باخرى ولما كلمته الامبراطورة ان يتزوج احدى بنات ابن أخيها
 رأس وليه تمنع مدة ولكن لشدة اصرار الامبراطورة اضطر الى تزوجها وأتى بها الى
 هرر فكث معها سنة كأنه أب لها وكأنها ابنة له وفي ختام السنة أخذها معه الى
 العاصمة محتجاً بأنه لا يصلح للزواج وعلمت ان الامبراطورة اغتاظت منه لذلك جداً.
 وعمره لا يتجاوز الخمسين وكان ذهب في سنة ١٨٨٩ الى ايطاليا ليوقع على عهدة
 (أوقسبالي) من قبل الامبراطور . فزار هناك محلات كثيرة وأكثرت ما به أنظاره
 الامر العسكرية والترتيبات والتعليمات المربية ويوجد تحت حكم الرأس في مقاطعة
 هرر كثير من الصوماليين والغاليليين وقد كان حارب بهم جنود توسلالي الطلياني
 وهزمتهم في واقعة امبا الاجي وأظهر من الشجاعة في حصار ما كاله وواقعة
 ادووا ما يفوق الوصف . بعد ان تكلمنا وتباحثنا في مواضيع مختلفة فبنا فشي معنا الى
 ان أوصلنا الى الباب الخارجي أما رجاله وجنوده فأنهم رافقونا مسافة طويلة في الطرق
 والشوارع . وعند رجوعنا الى المنزل وجدنا بطاقة زيارة من البارون روشيل حضري
 غيابنا للزيارة وقيل لي ان هذا البارون كان يريد العودة الى بلاده عن طريق النيل
 ولكنه الآن عدل عن ذلك وانه سيذهب الى الساحل بدلاً من النيل . ووجدت
 بطاقة سفير روسيا الذي حضر لزيارتنا اثناء وجودنا عند الرأس ما كوزين . انتهينا
 هنا من وصف الامبراطور والرأس ما كوزين فيجب ان أسرد ما علمته في وصف بعض
 أركان وأعظم الدولة الحبشية :



أمراء مقاطعة (شوا)

لما مات نأخلاماتيو حاكم مقاطعة (غوجام) انتقلت في يادى الامر كل أحكام
 هذه المقاطعة الى ولده داز اجماج بازاب وأعطيت منها قسم صغير الى رأس منكاشا

آتيكم وقسم آخر الى دارجاج دامس ابن افانقوس

راس وليه لا كول

ان راس وليه هو أخو الامبراطورة تايتو ومن عائلة مشهورة في بلاد سه من مقاطعة تيغرى ويحكم على مقاطعات (جنفيو) و (زوبريل) و (أده لا) و (غوينو) و (تالاتا) ولهذا الراس هيبه عظيمة في النفوس ووقار وهو مستبد في أحكامه حتى انه ألقى الرعب والخشية في قلوب رعاياه ولا يجب أهالي تيغرى. ويقال انه يأمل أن يكون إمبراطوراً على المباشه بمد منليك . ومع ذلك هو يحب شقيقة الامبراطورة وينقاد لها تمام الانقياد حتى انه مع كرهه المشهور لاهل تيغرى زوج بنته الجميلة جداً حسب رغبة الامبراطورة الى رأس منغاشا يوحانس الذي هو من مقاطعة تيغرى . وهذا الراس مشهور بأنه أعظم عدو للطلليان

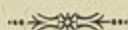
راس منغاسا اتكيم

وهو الذي أخذ قسماً من بلاد غوجام وينتسب لا كبر عائلة من عائلات صهيون التابعة لبلاد امحرا . الراس منغاشا حائز على تمام رضى الامبراطور وثقته واعتماده وله نفوذ عظيم وقدره عظيمة ويحكم غير بلاد صهيون الاراضي الكائنة على أطرف بحيرة (تسانا) مثل (بايمه در) بني بيهه ، خوانا وغيرها من البلاد . وسنه فوق الخمسين وله ثروة عظيمة ومشهور بالدهاء السياسي ومعروف بكونه رجلاً يوافق روح هذا الزمان . وقد حاز رضاء الامبراطورة أيضاً وله مكانة سامية جداً مع قلة عدد جنوده. حضر واقعة آدووا في مقاتلة الطليان

راس قوفسا

وهو ابن أخت الامبراطورة تايتو وزوج الاميرة وزرو زور يتو بنت الامبراطور

من زوجته الاولى المتوفاة . وهذا الراس شاب جميل الطلعة ذكي القلب والفؤاد .
ويؤاخذ بنو وطنه بأنه يميل جداً الى الجنس اللطيف ولكن هذه المؤاخذة قابلة
للسماح ! والذي ليس عنده ميل الى هذا الجنس فليستمر بمؤاخذته ان شاء . ويحكم
الراس قوقسا مقاطعة سيمين التي يتبعها بلاد وانهاغهم ، سلمت ، ايزاغادي ، والدهبا ،
والقابت وغيرها من البلاد . ويحب الراس قوقسا خالته حباً شديداً ويسير على أثرها
في الشدة بالمعاملات . وقد حضر الحرب في ادووا



راس منغاشا ولد يوحانس

وهذا الراس هو ابن الامبراطور يوحانس الذي قتل في واقعة القلابات مع
الدرراو يش . وله شغف عظيم بالتزین وميل شديد للنساء وانهماك في الملاذ والترف
ومع ذلك يتطلع دائماً لان يتبوأ العرش الملوكي على الحبشة حتى عقد عهدة مآرب
مع الطليان سنة ١٨٩١ . ولما انهزم الطليان امام منليك وثبتت أقدام الاخير في
الامبراطورية عاد والتحق بهذا الظافر ولكن منليك نفاه الى انقوبر وهو الآن مقيم
بها . وكان ابنه المسمى دجاج سيوم أشعل نار الثورة في مقاطعة تيغرى ليتوصل الى
تخليص أبيه وأتعب بذلك منليك ولكن الامبراطور تمكن من استجلابه اليه وهو الآن
مقيم في اديس ابابا



يوم الثلاثاء ١٠ يونيو (حزيران) مرحلة عقاقى

التلغراف والبسته — الرجوع من آديس آبابا — مطر شديد

كنت قلت اننا عزمنا على القيام من هنا الى الساحل هذا اليوم وقد أرسلت هذا الخبر الى الاستانة على لسان البرق. ولتلغراف من آديس آبابا الى أوروبا خطان الاول خط الحكومة وهو الذاهب من العاصمة الى هرر فديدوه فجيوتي فبريم فاووبا وأجرة كل كلمة الى أوروبا على هذا الخط خمسة فرنكات والى هررستون فضاة صاغ والى جيوتي ثلاثة قروش والثاني خط التلغراف الطلياني الذاهب الى اسمرا حيث ينقسم الى قسمين الواحد يذهب الى مصوع ومن هناك الى أوروبا عن طريق بريم والثاني يربط عاصمة الحبشة باوروبا عن طريق كسالا والسودان المصري والقاهرة والاسكندرية . والاجرة الى أوروبا على خط مصوع ثلاثة فرنكات عن الكلمة واثنان وستون سنتيا ونصف ساتيم وعلى خط كسالا و مصر فرنكان وخمسة وأربعون ساتيماً . وأنا أرسلت تلغرافي على هذا الخط الاخير . وللحكومة والسفارات الاجنبية برد نذهب وتأتي بين الساحل والداخل . لكن لعدم تغيير الرجل الذي ينقل حقائب البسته وبغاله اثناء الطريق يحدث بطاءة في نقل البرد . وقد تكلمت مع أحد السفراء بهذا الخصوص فاجابني (عندما يعرف الاهالي في الحبشة قيمة الوقت ويقدرونه حق قدره حينئذ تؤسس خطوط بريد سريعة)

☆☆

حضر عندي صباح اليوم الموسيو ايلغ لوداعنا وبعد ان بلغني تحية النجاشي والامبراطورة سامني كتابهما لجلالة مولانا السلطان الاعظم وجوازاً خصوصياً مختوماً

بمختم جلالة الامبراطور يأمر مستخدميه ورعاياه في طريقنا ان يكرمونا أينما نحل ونذهب.
ثم حضر الملحق العسكري في السفارة الفرنسية وكثير من الاعيان وغيرهم لوداعنا
كان ترتيب بغالنا والمكارية هذه المرة بواءة أحمد أفندي الذي عمل كل
ما في وسعه في سبيل راحتنا في الطريق كما انه أخذ الشروط على المكارية ان يكونوا
رهن اشارتنا وان نمشي حسب رغبتنا لا حسب رغبتهم . وقد عزمنا هذا اليوم ان
نزل بمنزل أحمد أفندي الموجود في (العقاقى) لان المرحلة الاولى في الاسفار تكون
عادة قصيرة فلذلك أرسلنا العفش والامتعة الى هناك قبل ان تقوم من هنا . وكان
هذه المرة بين البغال جملان وذلك لتحميل الحقايب الكبيرة المعمولة من الجلد لاننا
وجدناها ثقيلة جداً على البغال خصوصاً واننا سنذهب على طريق عصبوت الذي
نمشي عليه الجمال بخلاف طريق چرچر

قمنا اليوم الظهر الى العقاقى المذكورة وقد ركبنا على البغال التي أهداها الامبراطور
لنا . ولم نكد نسير قليلاً حتى أخذت الامطار تنهمر واستمرت هكذا حتى وصلنا
الى العقاقى العصر ودخلنا في المنزل الموجود هناك انتظاراً لوصول العفش والصناديق
والخيام التي صادفناها في الطريق فسبقناها . وهذا المنزل عبارة عن كوخ كبير طوله
خمسة عشر متراً وعرضه عشرة أمتار

وجدنا في العقاقى بضعة نفر من الخدم والعييد وكان أحمد أفندي أرسلهم ليقوموا
بخدمتنا ويجهزوا الطعام لنا . وبعض هؤلاء العبيد يتكلمون باللغة الفاللية والبعض
باللغة الامحرية . ووجدنا هنا كثيراً من المعز والبقر هربت الى هذا المحل من كثرة
الامطار . جلست على سد عال أقيم داخل الكوخ وأخذت أنزه الطرف على ماحول
الكوخ وأنظر العبيد المشتغلين بطهي الطعام وتنظيف بغالنا والجنود والخدم المشتغلين
بربط سيور طويلة من أحمد عواميد الكوخ الى آخر لينشروا عليها أرديتهم المسماة
(شما) المبتلة من المطر . وكان معنا قردان من الجنس الصغير كان كل منهما محمولاً
على بغل فلما وصلنا الى هنا وتركناهما أخذنا يظهران سرورهما من تلاقيهما وصارا

يتماثقان ثم جلس الذكري يفي الاثني . وقد ظننت نفسي من هذه المناظر الغربية اني
في سفينة نوح والمطر المتواصل بشدة ربما كان يشبه طوفان نوح . وكنا كنا أي
جميع رجال القافلة مع بغالها تحت سقف واحد وهو سقف هذا الكوخ . وسيرجع
بعد يومين النظام والانتظام كما كان في الذهاب الى آديس أبابا لانه لا بد من حصول
عدم انتظام في أول مرحلة

و بعد قليل وردت الخيام ولكن لم ترد أعمدها فلذلك نصبت خيمتي الصغيرة
خارج الكوخ ووضعنا كثيراً من الحشائش المجففة على التراب المبلول داخل الخيمة
م فرشنا عليها البساط وأخذت أجهز ما يلزم أن يكون معنا في اليوم التالي وأضعها في
الحقائب الصغيرة

كان طعامنا هذا المساء من لحوم البقر والعجول والدجاج والخضر والارز ونوع
من الفطير والحلويات ضمن علب من صفيح

علمنا ان أحمد افندي البارحة كان أقام هنا وليلة لاثنتين وخمسين شخصاً خرجوا
من العاصمة لاستقبال أحد الاعيان المسلمين فقام عبيد احمد افندي بخدمة كل هذا
الجمع واطعامهم فذبح لهم بضعة عجول وبضعة خراف . وهنا يجب أن أقول ان الجواري
السود في الاستانة في سعادة عظيمة بالنسبة لحال الجواري هنا ولو رأى جوازي الاستانة
تعاسة هؤلاء لحدن ربهن على حالهن مائة الف مرة . ان الجواري هنا ليس لهن راتب
لا سنوي ولا شهري فهن يشتغلن ويخدمن أسيادهن بغير أجر الا ثوبين في السنة
وما يأكلنه

استمر المطر بشدته طول الليل وانما لم ينفذ من خيمتي الصغيرة ولكن أقلق
صوت سقوط المطر على الخيمة منامي فلم يتركني أنام براحة وقضيت الليل بالتكلم مع
يس چاويش

يوم الاربعاء ١٦ يونيو (حزيران) مرحلة (دوبي)

قت من سريري قبل بزوغ الشمس وانتقلت الى الكوخ فوجدت النيران مشتعلة وعليها القهوة واللبن فأخذنا نتناول القهوة واللبن ونفطر بينما كان المكارية يحملون العفش وورد كثير من الناس للوداع وكان بينهم احمد افندي وابو بكر افندي فودعناهم وأخذنا نسير ووجهتنا محل يقال له (دوبي) للمبيت فيه

اضطررنا أن نسوق جمالنا من طريق طويل غير الطريق الذي نزل منه البغال في وادي العقاقير لانه يصعب على الجمال السير فيه . وكان الطريق كثير الاحوال حتى ان البغال كانت تغرز رجلها قريباً من الركبة في الوحل الذي كان لزجاً مثل الصمغ فيلصق بعض الاحيان على رجل البغل فيكون كأنه قطعة واحدة مع رجله . اني لم أر في عمري تربة جيدة قوية لزجة كهذه . وصلنا بعد مشاق وصعوبات عظيمة الى (تيمكي دنسا) الساعة الثانية بعد الظهر ونزلنا قرب نهر صغير وتحت ظل شجرة كبيرة لتناول طعام الغداء . ولم يمض قليل الا وورد كثير من نساء وبنات الغرويين الاحباش لبيع ما معهن مثل الطاللا والخبز والشعير والدقيق وغيره . وقد وضعن هذه الاشياء في أجربة من جلد الماعز وقد رغبنا ان يأخذن ثمن ما يبيعنه لنا خراطيش بنادق بدل الدراهم فاشترينا شعيراً لاجل البغال ودقيقاً وخبزاً لاجل الجنود والخدم . ويستطيع الانسان أن يشتري ثلاث أقات من خبز انجرا بخرطوشة واحدة من خراطيش بنادق (غرا)

وبينما نحن كذلك اذ أخذت الغيوم تتلبد ثم لعلع البرق وقصف الرعد وأحاطت بنا الحشرات والهوام مثل أبو دقيق والخنافس والنمل والعناكب وما أشبه من كل

جانب حتى كانت تدخل في حثائبنا الصغيرة ولم يمض الا بضعة دقائق حتى أخذت الامطار تهطل . فكثنا هنا ساعة ونصف ساعة ثم استأنفنا السير . وكانت البغال الحاملة للعفش والصناديق قد مرت من النهر عند ما نزلنا نحن هناك للاستراحة وأمرت المكارية وقتئذ أن يستمروا بالسير دون أن يقفوا في محل واننا سنلحق بهم بعد قليل . ولكن لما عبرنا النهر وسرنا قليلاً وجدنا هؤلاء المكارية أنزلوا الاحمال عن البغال ونزلوا هناك خلفاً للامر ووضعوا الصناديق فوق بعضها وأرسلوا البغال ترعى في المراعي وجلسوا هم يستريحون تحت الخيم ظن هؤلاء أني اذا وجدتهم على هذا الحال لا يمكن أقول لهم قوموا لنسير والمطر نازل فيكونوا على زعمهم قد فازوا بالاستراحة في محل جميل مثل هذا . ولكن لما وصت لعندهم قلت لهم بجد (انكم نزلتم في غير محل النزول فيها بنا الى دوي التي هي امامنا فيها أنا سابقكم اليها فعليكم ان تلحقوا بي من غير مهل) وبعد ان قلت ذلك سرت الى الامام فاضطر المكارية ان يحموا البغال ويستأنفوا السير ولو لم أصنع هكذا لهدروا فيما بعد فلا أتمكن من تنفيذ كلمتي بينهم سرنا ساعة ونصف ساعة ووصلنا الى (دوسي) فجلسنا هناك على صخور مرتفعة وعلينا ملابس المطر (المشمع) وبايدينا المظلات نتنظر وصول البغال والاحمال والخيام . وبعد قليل وردت البغال ولكن تأخرت الجمال فارسلنا من يستعجلها

اصطردنا هنا أوزة برية بقدر الديك الرومي (الحبشي) . ولم نجد هنا من الحطب ما يكفي لتسخين طعامنا فاضطررنا ان نحضر طعامنا على جلة البقر . ثم وصلت الجمال بعد الغروب فنبهت على الجمالة ان يجعلوا قيامهم بعد الآن قبلنا فقام الجمالة مبكرين وقتنا نحن الضحوة الصغرى . لم ينقطع أصوات الذئب والضباع طول هذه الليلة من أطرافنا ولكنها لم تكن لتجراً على الاقتراب لوجود النار مع ضعفها . وكانت قافلة أخرى نزلت قربنا فخرج أحد بغالها عن دائرة المنزل أي النيران فجمت عليه الذئب وقطعت من فخذه قطعة كبيرة ولم ينبج من أنيابها الا بصعوبة ورأيت هذا البغل بعيني

يوم الخميس ١٧ يونيو (حزيران) مرحلة منابلا

القرود — الاجران — (البيادر) عند الاحباش

وصلنا قبيل الظهر الى رأس نهر (جتقوره) الاول اعتباراً من جهة (بالجي) وجلسنا ننتظر بغال الاحمال التي تخلفت ورائنا وأرسلنا بغل الركوب الى المراعي لنرعى وجلسنا نحن على مرتفع من الارض قليلاً فتناولنا طامانا وأخذنا نستريح قليلاً وبينما نحن كذلك اذ ورد علينا رجل حبشي ويده ربابة ذات وتر واحد وجلس أمامنا وصار يضرب عليها فقمت وأحضرت عدة الفوتوغراف لآخذ رسمه فسر لذلك جدا وزاد معه الشوق للغناء فأخذ يغني ظناً منه أن العدة تأخذ في آن واحد رسمه وصوته واستأنفنا السير بعد ساعة فوصلنا الى نهر (بوركا) الساعة الثانية بعد الظهر ونزلنا تحت الشجرة التي كنا نزلنا تحتها في الذهاب الى آديس آبابا للاستراحة والاستظلال وبينما نحن جالسون هنا اذ وردت أسراب من القرود على الشاطئ الآخر من النهر لتشرب فلما رأت القردين معنا صارت تصرخ بأصوات عجيبة فكأنها كانت تحرض قروداً على الفرار . لان هذين القردين لما رأيا القروود الاخرى وسمعا أصواتها أظهرتا الرغبة بالتخلص من السلاسل والجري نحوها

مكثنا هنا مدة ثم قمنا نسير بعد أن أخذنا حاجتنا من الماء اللازم لنا أثناء الطريق ضمن صفايح . واصطدنا هنا أربعمائة من الدجاج البري المسمى (بيج) بطائفتين . والصيد هنا كثير جدا من الاوز والدجاج البري والغزلان والارانب فلذلك ما كنا نرضى أن نصطاد بطلقة واحدة مصيداً واحداً

• ولما وصانا الى أول قرية من قرى (منجار) رأينا منظراً غريباً ذلك أن بعض الزرويين الاحباش كانوا يشتغلون بدرس ما حصدوه من الغلال الموجودة في الاجران

فكان الجرن (البيدر) مؤلفاً من دائرة صغيرة يدور عليها تورج مصنوع من بضعة قرون من قرون البقر وعلى الجرن جملة من القتيان والقنيتات بيدهم العصي ينطون ويحركون رؤوسهم الى الشمال والى اليمين ويضربون حزم الغلال الموجودة بأيديهم وهم يغنون كلهم بصوت واحد . فوقفنا تفرج على هؤلاء مدة وأخذنا رسمهم بعدة الفوتغراف ثم استأنفنا السير ووصلنا قبيل الغروب الى منابلا حيث نزلنا للاستراحة قليلا



يوم الجمعة ١٨ يونيو (حزيران) مرحلة تاديجمالكا

لعدم وجود الماء في المسافة التي سنقطعها من هنا الى ان نصل الى (تاديجمالكا) اشترينا قدرة من القدر التي تسع أربعين أقة من مشروب (طاللا) وخصصناها للخدم والجنود وأعطيناهم قدحا من الزجاج لاجل الشرب بها ولكنهم استصغروها لانهم يريدون ان يشربوا من فم القدرة حسب استطاعتهم كما ان كل واحد منهم يريد ان يكون أول الشاربين . ولكن يس جاويز جمعهم وأوقفهم كما يوقف الجنود على نظام واحد وصار ينادي كل واحد بدوره ويسقيه فكان البعض منهم لا يريدون ان يفارقوا القدرة . ولم يمض بضع دقائق حتى فرغت القدرة ولم يبق فيها شيء . وحب هولاء الاحباش لشرب (طاللا) و (تيج) يفوق حب الالمانيين لشرب البيرا وصلنا قبيل الظهر الى (جوبا) فالانينا كوخا فيه موظفان من قبل الحكومة وظيفته رؤية جوازات المسافرين . فلما رأى جواز الامبراطور الخصوصي المتحوم بحتم الامبراطور الكبير وضع يديه على صدره وانحنى حتى وصل رأسه الى الارض تقريبا . فرشنا البساط هنا تحت ظل بعض الاشجار وجلسنا للطعام والراحة . وبعد قليل وصلت بغال الاحمال وكانت على جانب عظيم من التعب ومن قلة الماء وشدة الحر . وقتنا من هنا قاصدين نهر (تاديجمالكا) فوصلنا مساء . ولا تسلم عن حالة البغال التي أنهكها التعب وعدم شرب الماء حتى انها لما وردت الماء ظننت انها ستشرب طول يومها وليها . وأما القروء التي كانت معنا فكان واحد منهما معنا فكنا نعطيه من حين لآخر شيئا من الماء ومع ذلك لما رأى النهر صار يصرخ كمن مسه الجنون وألقى بنفسه في الماء وصار يشرب . وأما رفيقته وهي الاتي فانها كانت بقيت مع الاحمال فلم ينتبه اليها أحد فماتت من العطش

واضطررنا ان نصعد من هذا الوادي الى سهل جبلي يبعد سبعمائة متر عن الماء
 قفزنا في محل فيه حاجتنا من الحشائش والنباتات الجافة وبعد ان نزلنا الاحمال عن
 ظهور البغال أرسلناها ثانياً الى التهر تشرب الماء براحة لان البغال كانت في غاية من
 التعب مع قلة الشمير معنا وقلة المراعي فاضطريت الى البقاء هنا لحد الظهر من نهار غد.
 ومع ذلك كنا نقطع في سيرنا ضعف المسافة التي كنا نقطعها في الذهاب الى آديس آبابا
 وذلك لنتمكن من الوصول الى جيوتي في أواخر شهر يونيو (حزيران) حتى نركب
 الباخرة التي ستقوم منها في أواخر هذا الشهر . ولا نضطر للانتظار في جيوتي خمسة
 عشر يوماً ولا يخفى انه يصعب على الانسان ان يقضي يوماً واحداً في الثغر المذكور
 من شدة الحر فما بالك اذا كنا مضطرين لمكث نصف شهر حيث يمضي اليوم على
 الانسان كقرن

عصفت الليلة رياح شديدة فلم نتمكن من نصب الخيمة الكبيرة فاكتفيت
 بالخيمة الصغيرة وقد أمطرت السماء طول الليل وكان فكري مشغولاً جداً لعدم وصول
 جمالنا من المحل الذي تنزل فيه . وفي الليل ضاع أربعة من بغالنا ثم اهتدى اليها
 المكارية بعد البحث



يوم السبت ١٩ حزيران (يونيو)

تعبان سام — عقرب سام

صباح اليوم وصلت جمالنا فسقتنا جميع البهائم الى الامام الى محل كثير الكلاء
نعم كنا أعطينا للبعال من المساء شعيراً ولكن رأيتها مع ذلك محتاجة للرعي. وليس
من عادات هذه البلاد ان يعطوا البهائم شعيراً ولطول المسافات التي كنا مضطرين
لقطعها رأينا من الحكمة ان نعطي عايقاً من الشعير أمرت اليوم الخدم والجنود والمكارية
ان يخبزوا خبزهم ويجهزوه قبل الظهر لاننا عزمنا ان نقوم من هنا بعد الظهر ونقطع
مسافة كبيرة فلذلك يجب ان يكون الطعام جاهزاً حتى لا يعيقنا في سيرنا . وكان
الارز الذي طبخه الطاهي اليوم كأنه معالج بعصير الفوطة (بندوره) من تعكير المياه
لشدة الامطار كما ان الخبز كان أخذ لون الطين . ولم يكن معنا ماء غير عكر سوى
صفحة من ماء بوركا فخصصناها للشرب واضطرينا ان لا نأخذ منها الا عند
الاحتياج الشديد

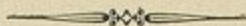
لما كنا ذاهبين الى آديس آبابا أضعنا هنا بغلاً والآن وجدناه عند أحد الاحباش
القرويين أبقاه عنده حين رجوعنا فاستلمنا البغل وأعطينا الرجل شيئاً مكافأة له على
حفظ البغل عنده وكان سمن وبطر من عدم وجود أشغال يقوم بها أو أحمال يحملها
فلما رأى هنا أحمالنا وصناديقنا أراد ان يهرب ولكنه لم يجد لذلك سبيلاً وأخذ ينظر
الى الاحمال شزراً وبعد الظهر حملنا الجمال وسيرناها قبل قيامنا بساعتين ونصف وقنا
العصر نسير ومعنا بغال الاحمال . وقبل قيامنا أتى المكارية والخدم بمقدار من دقيق

السمسم ثم جعلوا فيه الماء حتى صار أشبه بالبوذا المعلومة فشربوها كلها وعلمت ان هذا المشروب يدفع الجوع والعطش في آن واحد . وقد اشتد الحر على طريقنا فمطش رجالنا خصوصاً الخدم وكانوا كلما مر بنا مسافرين -أولونه هل امامنا ما . لانهم ليسوا بمتعادين ان يحملوا الماء في كيزاتهم بل يشربون عند ما يجدون الماء . ويصبرون على العطش اذا لم يجدوه

وصلنا الى (فنطالي) عند الغروب فوجدنا هناك قليلاً من ماء المطر المتجمع في بعض حفر الوادي فشرب رجالنا منه ولم يمنعهم ركود الماء ووجود الحشائش فيه من الشرب لان معدة هؤلاء الناس متناسبة مع سائر اقسام جسمهم فالشمس مثلاً لا تضربهم وجروحهم تبرا بسرعة ومعدتهم تهضم كل شيء حالاً . وانا يخافون من الحشرات السامة جداً . لان حشرات هذه البلاد مؤذية جداً بل هي قتالة . وقد حدث اليوم قبل ان تقوم من محل نزولنا ان الرجال الذين كانوا قرب محل المطبخ أخذوا يصيحون وهم يكررون كلمة (غندغند) . فهزلت لاستطلاع الخبر فعلمت انهم وجدوا عقرباً كبيراً فقتلوه . وقيل لي ان هذا الجنس من العقارب يقتل الانسان عقب لسعه اياه أي انه سام جداً . ولونه مائل للصفرة . وكنت رأيت من جنسه في (وان) وسمعتهم يقولون هناك انه سام جداً

دعونا الليل ونحن في الطريق فلشدة الظلام الخالك اضطررنا ان نوقد الفانوس فحمله أحد الخدم ومشى امامنا واستمرينا هكذا حتى أشرق القمر وأنار الفلوات والغياض بنوره . ونزلنا في الساعة الرابعة بعد الغروب في محل كثير الكلاء والنباتات بعيد عن المحلات المسكونة واقع في الخلا ولشدة هبوب الرياح اضطريت ان أصرف النظر عن نصب الخيمة الكبيرة والا كتفاء بالخيمة الصغيرة فوضع بركن منها سريري وبالركن الآخر سرير طالب بك وكلفنا يس جاوئش ان يفرش لنفسه في وسط الخيمة وينام هناك ولكنه لم يشأ ذلك بل نام خارج الخيمة . وكان طالب بك وضع فردة من جعبته الصغيرة (الخرج) وراء محل وضع الوسادة حيث أسند سريره

عليها فكنا نسمع طول الليل حركة خفيفة وراء الخيمة فظننا ان الارياح تخبط بذيل الخيمة على الخيمة ولم نعلم السبب الحقيقي الا في الصباح حيث وجدنا بين السريرين ثعباناً ذا سم شديد فلما رأنا انسل الى وراء الصندوق وبينما كنا نشغل لاجراجه من هناك عثرنا على عقرب من الجنس الذي رأيناه البارحة فقتلناها كما قتلنا الثعبان .
وعلمنا من ذلك اننا نزلنا في الظلام في محل فيه أوكار هذه الحشرات المؤذية فكان الله حافظاً لنا كما ان يس جاويز أصاب جداً في عدم الرضاء بالمنام داخل الخيمة على الارض . ووصلت جمالنا بعنا بنحس ساعات فامرنا بان تستمر في سيرها الى (قاجانواها) بدرن ان يقفوا هنا



يوم الاحد ٢٠ يونيو (حزيران) له قارابا

قنا اليوم صباحاً ولما وصلنا الى نهر اواش وجدناه متعكراً جداً . فلم نشأ النزول بل مررنا من الجسر واستمرينا في السير وكان اليوم حاراً جداً ولما جاوزنا نهر اواش زاد الحر حتى صار لا يطاق فلذلك كنا مجدين في المشي لنصل بسرعة الى (قاجا نواها)

وصلنا بعد الظهر بساعة الى المحل المذكور الذي كان بطراوته وأشجاره ومياهه كالجنان في جوار جهنم فأخذنا في الحمال نفسل وجرهنا وأيدينا بمياه النهر الباردة الجارية تحت الاشجار الباسقة ذوات الظل المنعش . فالانسان الداخل الى دمشق الشام بعد قطع صحراء الديماس القاحلة ذات الحر الشديد يحس بالطراوة المنعشة الابدان عند ما يصل الى الربوة وتبدل حالته سريعاً من ذبول الى نشاط كذلك كان حالنا عند ما وصلنا الى هذا المحل بعد أن قطعنا تلك السباسب والغيافي الحارة وبعد أن عانينا أشد العذاب من شدة الحرارة وقلة المياه . نعم ان هذه الاراضي لا تشبه ربوة دمشق من حيث اللطافة الطبيعية لكون الاراضي هنا مسطحة ولكن لا فرق بينها وبين تلك من حيث الطراوة . كنت ترانا لا نفارق شاطئ النهر كل منا جالس تحت ظلال الاشجار مشغول بشيء من الاشغال . وأما البهائم فانها بعد أن شربت كثيراً وارتوت أخذت ترعى والطاهي بعد أن جهز طعام الغداء جلس يشتغل بطهي طعام العشاء واحضاره والخدم والجنود ذهبوا فأخذوا في غسل ملابسهم ونشرها في الشمس . أما أنا فاني نزلت الى النهر واغتست بالليف والصابون . جلسنا هنا أربع ساعات بعد أن كنا مصممين على المكث ساعتين فقط وقنا قبل ساعتين من الغروب وتركنا هذا المحل وفي القلب حسرات من فراق الماء

سرنا ساعتين في طريق، جر جر (وهو الطريق الذي كنا أتينا منه الى آديس أبابا) ثم تركنا هذا الطريق وعواميد التلغراف على يميننا ودخلنا في طريق عصبوت (وهو الطريق الجديد الذي اخترناه بالاياب الى جيوتي) وكان الظلام أقبل علينا فما كنا نرى الطريق كما يجب ومع ذلك كنا نتمكن من رؤية الاشباح فالاراضي مستوية مسطحة مستورة بالحشايش الناشفة والخضراء معاً وأشجار قليلة تصادفها هنا وهناك وفي الساعة الثانية بعد الغروب سمعنا طلقتي بندقية من الامام فعلمنا أننا وصلنا الى الماء. وهنا يجري نهر صغير يسمى (قارابا) ينبع من محل يبعد من هنا مسافة مرحلة واحدة وينصب في نهر اواش. مررنا حسب العادة من النهر ونزلنا في محل كثير الخضرة والكلاء على الضفة الاخرى تبعد خمس دقائق من الماء. وبعد أن تعشنا على نور القمر ذهب كل منا الى خيمته للنوم والاستراحة وكان الجو وقتئذ صحواً والطقس جيداً والهواء عليلًا ولكن أخذت الامطار بمد نصف الليل تسقط بشدة لا مثيل لها. ولم تنفذ مياه الامطار من الخيام ولكن دخات من أطرافها من تحت فصار داخل الخيمة كاستنقع وابتل كل ما هو موجود على أرض الخيمة من أمتعتنا وكنت أنا في سريري فلم يصل الماء لعندي. ويس جاوئش الذي لا يجب أن ينام على السرير ندم هذه الليلة ندمًا كبيراً على ذلك وجلس على صندوق صغير وقضى طول الليل عليه. أما الخدم والجنود الذين كانوا ناولوا في الخارج تحت السماء فانهم ظلوا نياماً رغم شدة الامطار وكان كل واحد منهم واضعاً رأسه على رحل من رحال البغال فكنت تجد المياه تجري من كل جانب ومن تحتهم ومن فوقهم وهم نائمون غير دارين بما هو كائن. وقد تلف كثير من ذخائرنا التي كانت في الصناديق مثل السكر والملح والدقيق وما أشبه

يوم الاثنين ٢١ يونيو (حزيران) مرحلة لقامعو

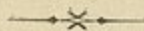
قبائل اليتو يتزوج الواحد منهم ثمانى نسوة — مطر شديد

كنت في الليل وضعت مقداراً من الفاصولية ضمن جردل لينتل وأوصيت الطاهي أن يطبخه لاجل الخدم والجنود . وكان هؤلاء يعلمون ذلك فلما أصبحوا أخذوا الفاصولية من الجردل ورضعوها على قصعة كبيرة وجلسوا على أطرافها وأخذوا يأكلون الفاصولية وهي نيئة كما يأكل الانسان الحمص المقلبي ولم يمض بضعة دقائق حتى أكلوها ولم يذروا منها حبة واحدة

ما كنت تمكنت من رؤية الاراضي في هذه الجهات من الظلام . والآن وجدت الاراضي كلها خضراء على مد النظر وكها مستمرة بالادغال والعوسج . وأما الاشجار فانها كانت قليلة ومتفرقة . وجدت هذه الاراضي قابلة للممران والسكن . قنا من هنا الضحى وأخذنا نسير في اراضي تشبه الاراضي التي وصفتها الآن وانما كان يقاطعنا من حين الى آخر تلال صغيرة غير عالية خفيفة الميل . وهنا يصادف الانسان بعض الزوج المعروفين باسم (ايتو) وهذه الطائفة لا تقطن محلاً واحداً معلوماً بل انها ترحل دائماً من محل الى آخر بمواشيها وأعمالها . ويتعيشون بألبان سواثمهم ويسترون عورتهم بقطعة قماش (فوطه) ويضعون فوق الكتف أيضاً فوطه أخرى وتتركون ما بقي من أجسامهم عارياً عن الملابس . وهم متوحشون تقرباً ومنظرهم مخيف ولا يدينون بدين وعندهم تعدد الزوجات حتى ان الرجل يمكنه أن يتزوج بقدر ما يستطيع على اعالته من النساء أي انه اذا شاء أن يتزوج ثمانياً في وقت واحد فله ذلك . وأسلحتهم عبارة عن حربة بيدهم وخنجر يحملونه في أوساطهم . وهؤلاء الناس ليسوا من الاحباش بل انهم قوم مستقلون بالجنسية عن غيرهم

وبعد الغروب بساعتين أطلق عثمان أحد الجنود وكان سائراً امامنا بندقية اشارة الى اننا وصلنا الى الماء . فترننا هناك ولكن علمنا فيما بعد ان هذا المحل ليس قريباً من الماء كما توهم عثمان الذي لا أخاله الا تعب وأراد أن ينزلنا ليستريح هو وبغله . فاضطررنا أن نرسل الخدمة ليأتونا بالماء بالصفائح من التهر الذي كان اسمه (لقامعو) تناولنا عشاءنا ثم ذهب كل منا الى السرير طلباً للراحة والنوم وجلس التوبنجية على أطراف النيران المشتعلة يحرسون النافذة

وفي الساعة الرابعة بعد الغروب نزلت الامطار منهمرة ولكن هذه المرة لم تدخل المياه في الخيمة لانني كنت من المساء جمعت الخنادق التي تقام على أطراف الخيام عميقة لتمنع دخول المياه الى الخيمة



يوم الثلاثاء ٢٢ يونيو (حزيران) في الاحراش

لقامعو — مياه مولون — حيوانات برية كثيرة — رفض من البقل — ضعنا في الاحراش

كانت الشمس اليوم تشرق مرة وتغيب أخرى تحت جنح الغيوم . وأما أمطار الليل الشديدة فانها بلت أكثر حوائجنا حتى ان أغلب الخراطيش التي كانت معنا انتفخت من الرطوبة فصارت لا تدخل في البندقية لذلك فخصناها كلها فخصاً دقيقاً لنعلم الرديء من الطيب . ولم يكن معنا من الخيام المباشية الا واحدة أتينا بها من آديس آبابا والباقي كانت كلها من صنع الاستانة فلذلك ما كانت تعمل شدة أمطار هذه البلاد جلنا للطعام وجلس أيضاً البنود والخدم في محل آخر لياً كلوا طعامهم الذي كان مؤلفاً من عصير الفلفل الاحمر حيث ينمسون فيه الخبز ويأكلونه . انتظرنا هنا الى قريب الظهر لتجف خيامنا وملابس خدمنا وجنودنا . ثم استأنفنا السير فوصلنا بعد ساعة ونصف الى ماء (لقامعو) فعلمنا حينئذ ان الماء الذي أتى به رجالنا البارحة كان من بعض غدران تجمعت فيها مياه الامطار

ونهر لقامعو ينبع من جبال (چرچر) وينصب في نهر اواش ويكفي ماؤه لادارة حجر طاحون . وكان سيرنا من (چوبا) في اراض غير مسكونة وخالية من الزرع فما كنا نصادف في طريقنا ضياعاً ولا قرى ولا مزارع . وبعد ساعتين ونصف وصلنا الى نهر مولون الذي ينبع من (قونى) ويجري نحو اراضي (أوغادن) ويفور هناك في الرمال ولا يمكن أن أصف ما تطيه المياه الجارية هنا للانسان من الانشراح والسرور لان هذه الاراضي قاحلة جرداء . نزلنا على ضفاف نهر (مولون) وتناولنا غذاءنا تحت الاشجار الجميلة . وكان منظر النهر جميلاً جداً يشرح الصدر لسرعة جريانه وطيب صوت خريره مع الطراوة

أعطى يسن چاويش الى ادريس أحد خدمتنا الذي كان واقفاً بالقرب منا قليلاً من البقصاد وخشاف قر الدين وزيتون وصوجق . ولكن ادريس الذي لم يتعود أكل مثل هذه الاطعمة أكل أول كل شيء الصوجق وحده ثم شرب الخشاف ثم تناول البقصاد وانتهى بيلع الزيتون كأنه يأكل عنباً

فما من هنا العصر وقد تغيرت طبيعة هذه الاراضي بعد ان بعدنا من النهر حيث أخذت الابات الخضراء نفل بالتدرج كما ان الاشجار قلت . وكنا نرى عن بعد كثيراً من أسراب الغزلان والارانب تجري على أطرافنا حتى كان بعض الذئاب تمر على بعد قليل من القافلة غير وجلة . وقد اصطادنا ما يلزم للعشاء من الطيور والدجاج البري الذي كان هنا بكثرة

ولما كنا نازلين على ضفة النهر قبل قيامنا كانت بغالنا مرت بنا واستمرت بسيرها وأوصينا البغالة أن ينزلوا وقت الغروب في المحل الذي يكونون فيه اذا لم نلحق بهم الى ذلك الوقت

وبينا كنا نصطاد ونجري وراء الطير في الغابات تمنا عن الطريق وكان ذلك قرب الغروب حيث أخذ الظلام يمد أجنحته فزادت حالتنا أشكلاً فلم تتمكن من رؤية أثر الطريق الذي يمشي عليه الناس وصار كل من الجنود الذين معنا يشير علينا باتباع جهة . وكان بعض أشجار هذه الغابة التي نحن فيها كبيرة وأرضها متماوجة أي انها ذات مرتفعات ومنخفضات . وأردت أن أترك الطريق وأتوجه الى جهة كنا سرنا نحوها ولكن لم تتمكن من ذلك لكثرة الشوك والادغال التي كانت حائلة وممانعة لمسيرنا واستمر الحال معنا هكذا الى الساعة الحادية ونصف بعد الغروب فلم نعثر بالطريق فأخذنا باطلاق البارود حتى نسمع قائلتنا فيجيبوننا ونعلم حينئذ الجهة التي يجب أن نسير نحوها وأصعدنا بعض الجنود على الاشجار العالية فصاحوا بأعلى أصواتهم فلم يسمعنا أحد . وأردت أن أعلم هل كان الجنود والخدم الذين كانوا معي يعلمون الطريق أم لا فأخرجت خريطة الجيب والبوصلة فوضعتهما

على شكلهما الطبيعي ثم أخذت أعين تقريباً النقطة التي نحن فيها على نور الشمعة . فسأتهم عن الجهة الواجب اتجاهنا نحوها فأروني بأيديهم جهة من الجهات فعلمت أنهم يمكن أن يعرفوا الطريق عند بزوغ النهار وعزمت على قضاء الليل في الغابة ونزلنا تحت شجرة جسيمة وربطنا بغائنا على جذوعها وذهب أبو بكر ورفاقه الجنود وأتونا بكثير من المطب والحشائش الجافة فوضعنا بعض الحشائش على الأرض ثم فرشنا عليها البسط التي كانت معنا ورحال البغال ووضع جانب من الحشائش أمام البغال وأشعل الخدم النيران حولنا لنُدفع أذى الحيوانات الكامرة التي كانت بكثرة في هذه الغابة وبعد أن أتممتنا هذه الاعمال أحصينا الموجودين هنا فكنا ثمانية أنا وطالب بك ويس جاويز وأبو بكر وعمر وجمعه وحسن وادريس وفحصنا بنا دقنا فوجدناها على ما يرام وءندنا كثير من الخراطيش وبذلك اطمان بالنا نوعاً ولو من جهة أذى الحيوانات المفترسة . ولكن الذي أزعجنا عدم وجود شيء نأكله اذ لم يكن موجوداً في السبت الذي كان فيه أكل الظهر الا قليلاً من خشاف العنب ضمن قارورة وقليل من البن . ووجدنا غير ذلك علبه بسكويت في خرج يس جاويز وعلبة من مرق اللحم في حقيتي . وأما الماء فانه كان متوفراً في كيزاننا . ومما زاد حالتي حرجاً الالم الذي كنت أحس به في ذقي وفي صدري من رفضتين كنت نلقيتهما من أحد بغائنا قبل الخروج الى الصيد. ولو كان البغل محمدياً بالمد يد حسب عادات بلادنا لكانت هاتان الضربتان كسرتا فكي وصدري فلذلك كنت محتاجاً للراحة أكثر من سائر رفاقي جلس الخدم يتناوبون حراستنا وأما نحن فوضعنا علينا أرديتنا فنمنا بقدر ما تسمح به حالتنا هذه . وكان من حسن حظنا أن كان الجو صافياً فلا خوف من المطر والزوابع . وفي نصف الليل صعد أحد المكارية واسمه عمر على شجرة فأطلق عياراً نارياً فسمعته قائلتنا وأجابته بطلق بندقيه ففهمنا أننا لم نكن بعيدين عن قائلتنا ولما أصبحنا ذهب أبو بكر ورجال في أطراف الغابة للبحث عن الطريق فعاد ونحن نشرب القهوة ومرق اللحم وبعد ذلك قمنا ولم تمض ساعة حتى التحقنا بقائلتنا فالحمد لله على السلامة

يوم الاربعاء ٢٣ حزيران (يونيو) في وسط الصحراء

بينما كان المكارية في الليل مشتغلين بالبحث عنا كانت بعض البغال فرّت بعيداً عن القافلة فذهب اكثر رجالنا لياتوا بها واضطررنا أن نتنظر . فقام الموجودون من رجالنا باحضار الطعام وخبز الخبز وما أشبه من الاعمال التي اذا أخرناها تأخرنا في الطريق فلا نصل الى دريدوه ومن ثم الى جيبوتي في الوقت اللازم . كان الجو هذا اليوم شديد الحرارة والشمس محرقة جداً لان طريق عصبوت هذا منحط كثيراً بالنسبة لطريق جرجر الجبلي . لذلك كانت بغالنا تأتي بصعوبة . وكان عمر أحد المكارية تاه عن الطريق بينما كان يبحث عن أحد البغال وضل في البراري المقفرة وكاد يموت من العطش لو لم يدركه رجل من قبيلة ايتو ويأتي به لعندنا . والواحد من البغال فقد بالمرّة فلم نجده ولم نشأ أن نتنظر هنا من أجله بدون فائدة فقمنا في الساعة الثانية ونصف بعد الظهر من هنا . وفي أثناء سيرنا انقطع عن السير بغل يحمل أشياء ل بكر أفندي كان أرسله معنا فاضطررنا لتوزيع حملة على البغال الاخرى وتركه في سبيله في هذه البراري وربما يقدر على محافظة حياته اذا التقى بالماء ولم تقترسه الحيوانات الكاسرة . وكان المطر اليوم ينزل أحياناً وصلنا الى محمل كثير المرعى والكلأ فنزلنا فيه . وقد وجدنا هنا بئراً اشدهنا في نظافة مائه لذلك اضطررنا الى غلي الماء



يوم الخميس ٢٤ حزيران (يونيو) مرحلة غوط

استخراج الماء من البئر من غير جردل ولا جبل — السوائم الفطنة — الطيور الغريبة — الاسورة

اتدبنا من نومنا في الليل وصرنا نتأهب لاستئناف المسير على نور القمر ولكننا لم نتمكن من القيام الا طواع الشمس وكان الجو لطيفاً جداً فكنت ترى الاشجار والحشائش وسنابل القمح تلعب من انعكاس نور الشمس على نقط ماء المطر والطيور تطير من شجرة الى اخرى كلها تغرد تغريداً بديعاً وبعد ساعتين من مسيرنا وصلنا قرية صغيرة تسمى دارعيله . ويقطن نقدراس محمد أخو أبو بكر هنا ومعه بعض أشخاص من عائلته وأولادهم وسوائهم . وقد كنت رأيت نقدراس محمد هذا في آديس آبابا فخرج كبارهم الى استقبلنا ودعونا للفقور وشرب القهوة عندهم فجلسنا تحت شجرة وبينما كنا نشرب القهوة أخذ أحد المستقبلين يذم قبيلتي ايسسا وايتو فنظرت الى يده التي كان يرفعها وينزها فاذا فيها اسورة كبيرة في معصمه فسألت هل يلبس رجالهم الاساور فقال ان الاسورة التي يلبسها الرجال ليست للزينة بل هي علامة على ان صاحبها قتل بعض أعدائه وان الاسنان الموجودة عليها تدل على عدد من قتله من الاعداء . قامعت النظر في الاسورة فوجدت عليها خمس أسنان ولدى السؤال علمت انه كان قتل خمسة أشخاص من قبيلة ايتو وصادق رفاقه على كلاله . شربنا بعد القهوة واللبن الرايب الذي أتى به هؤلاء الناس . فلم نقدر ان نشرب كثيراً منه لطعم الهباب الموجود في الوعاء كما مر ذكره آنفاً . انقطع هنا أيضاً اثنان من بغالنا وكان الواحد منهما خاصاً بالحمل فوزعنا حمليه على البغال الاخرى والثاني هو البغل الذي كان جلاله منليك أهدها الي في آديس آبابا كان جميلاً جداً وكان هذا البغل

انقطع بعد سفرنا من آديس آبابا بيومين عن الاكل وأخذ ببطيء في السير فمات هنا اليوم . ويقول المنكارية ان الشحم زاد على قلبه من كثرة الراحة والاكل في الاصطبل الامبراطوري فلم يقو على مشاق السفر والسير

وصلنا في الساعة الثانية بعد الزوال الى قرية ايلابللا وأهلها من الصوماليين من قبيلة أعييسا التي لا يلبس رجالها ونساؤها شيئاً سوى فوطة ليستروا بها عورتهم . ومع ذلك ترى لهؤلاء الناس جداً ووقاراً . ولا يوجد هنا مياه جارئة وقد فتح الاهالي آباراً متعددة على مجاري السيول فأتينا الى بئر من هذه الآبار فوجدنا عمقها أربعة أو خمسة أمتار ووسع الفم مثل عمقه وكان عمق الماء لموجود فيه متراً واحداً . ويستخرج الناس الماء هنا بطريقة غريبة لعدم امكان أخذ الماء بالجرادل والحبال وذلك انه ينزل أحد الصوماليين الى البئر ويقف في الماء . ويلقى اليه أحد الواقفين على البئر بمجرد معرض على الهباب أيضاً فيملاً الواقف في الماء الكردل ويرمي به مائلاً الى الأعلى حيث يلتقطه الرجل وهو يلقي اليه بأخر فارغ ويفرغ الملائن في حوض أقيم قرب البئر فيملاً الانسان الجرادل الفارغ والملائن يصعدان وينزلان بمهارة فائقة وسرعة عجيبة حتى ان العين تنبهر والانسان يندهش من هذه المهارة برمي الجردل الملائن الى فم البئر من غير ان ينصب منه نقطة واحدة والجرادل مصنوعة على شكل يتمكنون به من محافظة الموازنة اذ يرمون بها فقد صنعت من الوسط الى الاسفل على شكل مخروط ناقص والنصف الآخر على شكل اسطوانة وطوله نصف متر وقطره الفوقاني ثلاثون سانتيمتر . واستعمال هذه الجرادل بهذه الصورة ورميها من البئر الى الأعلى ستة أو خمسة أمتار مما يدل على قوة سواعد هؤلاء الرجال والانسان اذا أنعم النظر في أيديهم وسائر أعضائهم يرى العروق والشرابين نافرة كأنها خيطان القنب واذا أراد الراعي أن يسقى سوائمه فانه يستخرج الماء على الصفة المذكورة فيملاً الحوض الآنف الذكر ثم يتوجه نحو القطيع على بعد كيلو متر واحد من البئر فيناديها بصوت مخصوص فتراها أتجهت نحو البئر كأنها جنود تطيع نداً قائدها . وبعد ان

يشرب هذا القطيع وينسحب يتوجه راع آخر الى قطيع غير القطيع الاول فيناديها فتأتي كالأولى وتشرب ثم تنسحب ويأتي الدور بعدها لغيرها وهكذا الى آخره بحيث تشرب كلها من غير ان يزاحم قطيع قطعياً . وبينما نحن جالسون هنا سمعنا صوت بعض الطيور بشكل غريب فصوت الواحد يشبه الطفل الذي يبكي ويصرخ والثاني يخرج منه باآت متعددة حيث يسمع الانسان حروف با با با با بكل فصاحة . والطيور في الحبشة مشهورة بأنواعها وجمالها وكأنها خاصة في هذه الاقطار فقط . وقد كان الموسيو شمير الالماني المشهور بمباحثه وتدقيقاته الفنية أرسل من نباتات الحبشة الى جنائن النباتات في برلين وباريس ولوندره ستة آلاف صنف من النباتات غير المعروفة في هذه العواصم والبلاد الغربية والمانني آخر كان قد اصطاد كثيراً من الطيور التي توجد في هذه البلاد وأرسلها الى العواصم المذكورة بعد ان صبرها

أقمنا تحت الشجرة في ايللا بثلاث ساعات ثم استأنفنا السير فوصلنا الساعة الثانية بعد الغروب الى محل يقال له (ارير غوط) ونزلنا على هضبة قليلة الارتفاع تبعد عن الماء مائة متر وأشعلنا النيران على أطراف القافلة حسب العادة وبعد تناول الطعام انسحب كل منا الى مناهه ولم يبق ساهراً الا النوبتجية القائمون بحراسة القافلة والنار



يوم الجمعة ٢٥ حزيران (يونيو) مرحلة توما

السلحفاة الكبيرة الجسم

لما أصبحت أخذت أعين الاطراف والاكتناف فوجدت الحرارة شديدة على أطراف محل نزولنا رغم طراوة الصبح ولكن كان الهواء على حافة النهر طرياً ومعتدلاً لوجود الماء وكثرة الاشجار الباسقة النامية على حافتي النهر . والماء هنا كان رائقاً . ويوجد بالقرب من هنا مزارع للحاج محمد أخي تقد رأس أبو بكر ومزارع أخرى ملك أحمد أفندي عبد القادر الجداوي ويخرج منها العنب والبن والموز وقصب السكر وفاكهة تشبه الكباد تسمى باباي وغيره من الفواكه وهي مساعدة لزراعة أنواع الجبوبات أيضاً . ويريد أصحاب هذه المزارع أن يرقوا أعمالهم فيها ويقوموا بكل ما يستوجب كثرة الاستغلال ولكن تسلط قبائل عيسا المتواصل يضرب على أيديهم . والمياه الجارية في المزارع المذكورة كثيرة جداً تجري من غير فائدة في الاراضي حيث يمكن تأسيس مدينة عظيمة يبساتينها وكرومها ومزارعها

اننا من يوم قيامنا من آديس أبابا الى هذا اليوم قطعنا مسافات كبيرة فصارت بغال الاحمال والركوب في حالة سيئة من التعب حتى صار بعضها لا يقدر على مشي خطوة واحدة . ولم يبق بيننا وبين دريدوه التي هي آخر محطة السكة الحديد الممتدة من جيوتي الا مرحلتين لذلك رأيت ان نبقى في مزرعة أحمد افندي صناديق الذخائر وبعض الحوائج التي لم يبق لها احتياج وان نستأجر من هنا بعض البغال اللازمة لنا حتى نصل الى المحطة المذكورة ومن جملة ما تركناه هنا كثير من البصل والثوم وكان الخدم وقتئذٍ مشتغلين بمص قصب السكر فلما رأوا البصل وعلموا انه سيترك هنا لعدم لزومه أحاطوا به وصاروا يأكلونه كما يأكل الانسان أحسن الفواكه فلما رأيتهم استرسلوا في أكله منعهم خوفاً من أن يتسلط عليهم العطش في الطريق

قنا من هنا قبل الظهر بساعة تقريباً وكان معنا أحد عبيد محمد افندي المار ذكره المسمى (فدا) ووصلنا في الساعة الخامسة ونصف الى محل يسمى (أريز) وكان الحر شديداً جداً في الطريق . ولما وصلنا (أريز) هذه سررنا جداً اذ وجدنا فيها الماء اللذيذ الصافي يتدفق في نهر صغير وعلى أطرافه الاشجار الباسقة وتحتها الظلال المنعشة ونزلنا تحت شجرة من هذه الاشجار وأخذ كل منا يستحم في الماء البارد بينما كان الطاهي يهيئ الطعام . واضطريت ان ألبس بعد الاستحمام ملابسني التي كانت عليّ مقلوبة لانه لم تكن يدي تطول الملابس النظيفة . وهذا هو أحسن ما يمكن عمله اذا لم يكن عند الانسان ملابس نظيفة

وفي هذه الاثناء وردت بغال الاحمال فشربت واستمرت في سيرها من غير ان تنزل هنا . رأيت في (أريز) بضع راعيات جميلات جداً جالسات قرب القافلة مع قطعانهن . وكان القسم الأعلى من أجسامهن عارياً من الملابس فوجهت عدة الرسم عليهن ورسمتهن من غير ان يعلمن ذلك . يوجد هنا بضعة عشر كوخاً ولكن هذا العدد قليل جداً بالنسبة الى خصب الارض واستعدادها لتأسيس بلدة عظيمة عامرة فيها . ومع وجود الماء والمراعي والاراضي القابلة للزرع لا يلتفت السكان الى الفلاحة بل يعيشون السوائم فقط

قنا من هنا في الساعة الثانية ونصف بعد الزوال ووصلنا قبل الغروب بساعتين الى وادي كرام حيث يوجد بعض آبار محفورة على مجاري السيول . واستمرينا بسيرنا بعد ان عوضنا من الآبار الماء الذي كنا صرفناه في الطريق وسقينا بغالنا . ان الحر اليوم كان شديداً والذي زاد الطين بلة حلاوة الدقيق التي أكلناها على طعام الغداء فانها زادت حرارتنا فاضطررنا للشرب من الماء كثيراً

وقبل الغروب وصلنا الى محل يبعد كيلومترين عن سفوح جبل توما حيث وجدنا القافلة نزلت هناك فنزلنا نحن أيضاً . ولم يكن يوجد في هذا المحل شيء من الكلاء سوى بعض جذور النباتات التي اكتفت البغال برعيها . ولو لم نكن أعطيناها في غوثنا

عليقاً كافياً من الشعير والذرة والحشائش لما كانت قدرت على السير معنا
 أعطى يس جاويش هنا حذاءً لخادمه الحبشي فلبسه هذا وقام ولكنه خطأ
 بمض خطوات تشبه خطوات الاطفال الذين يتدثون بالمشي وكان رفاقه يهيمون
 من حوله ولم يقدر على السير بالحذاء فقلعه من رجله وقال انه لا يعرف ان يسير بالحذاء.
 أمطرت السماء في الليل مطراً شديداً ولم تكن الخيمة الكبيرة المانعة لنفوذ الماء معنا
 لاننا تركناها في (أريير) مع ما تركناه من الامتعة . لذلك نفذ الينا المطر



يوم السبت ٢٦ حزيران (يونيو) الوصول الى دريدوه

استيقظنا اليوم قبل الفجر لتمكن من القيام من هنا قبل بزوغ الشمس حتى
نصل الى دريدوه لنستفيد من الوسائط المدنية مثل النوم في الغرف والسفر بالسكك
الحديد والبواخر وما أشبه ولكن لم تتمكن من السفر من هنا الا بعد طلوعها . وقررنا
من دريدوه لم نكن نحتاج بعد الآن لبغال الاثقال وللصناديق لذلك تركناها كلها
وراءنا وصرنا الى دريدوه وامامنا (فنا) عبد محمد أفندي يدلنا على الطريق . لان
الاراضي التي كنا سائرين بها كانت عبارة عن غابات وأحراش فيها كثير من الطرق
المتشعبة لذلك لا يقدر الانسان ان يسير فيها من غير دلالة أحد العارفين بطرق هذه
البلاد . وقد كنا نرى في طريقنا بين أشجار الغابات كثيراً من الغزلان والارانب
والطيور الغربية كما اننا رأينا اليوم لأول مرة سلحفاة كبيرة جداً طولها ٨٠ سنتيمتر
وارتفاعها ٥٥ سنتيمتر . أراد (علامو) أحد خدمنا ان يركبها لتسير به ولكن لعدم
وجود وقت كاف لنضيمه في أمور كهذه منعه عن ذلك فاكتمى بان صعد عليها ووقف
على ظهرها بضع دقائق . وكان الخدم اليوم والمكارية والبغال كلها تسرع في سيرها
لانها عالمة بان هذه المرحلة هي الاخيرة من سياحتنا هذه

نزلنا قبيل الزوال تحت شجرة وجلسنا ريثما تناولنا الطعام وملاًنا الكيزان من ماء
المطر المتجمع بين الصخور ثم استأنفنا السير وكان نشاط الخدم والبغال في المشي أخذاً
في الزيادة كلما اقتربنا من المدينة . وفي الساعة الثانية بعد الزوال بلغنا دريدوه ولا
تسل عن سرورنا لما سمعنا صفير القاطرة في محطة السكة الحديد ورأينا القطرات
وعرباتها فكأننا قربنا من الاستانة ودخلنا في دائرة العادات والاحوال التي تعودناها
في عالمنا المدني . نعم ان السياحة في البراري والاراضي المقفرة لها لذة كبيرة ولكن في
مقابلة ذلك كثير من المتاعب خصوصاً تعب البال والفكر وهذا أمر لا ينكره أحد .

فان الانسان كثيراً ما يكون في النهار تحت رحمة الحر وفي الليل معرضاً لاهوال القر ولا تنس الامطار التي تنزل بكثرة ليلاً ونهاراً والزوابع والعواصف واقطاع البغال عن السير واتيته في هذه الفيافي وهجوم الحيوانات الكاسرة على القافلة ليلاً وعدم انتباه المكارية للاحوال وهم يحملونها على البغال فيقع الصندوق وينكسر أو يحملونه مقلوباً فوقه لنحت مما يجعل الامتعة التي فيه لا تصلح لشيء فيما بعد . واذا كان فيه شيء قابلاً للكسر ينكسر وبالجملة ان هذه الاحوال وكثيراً مما تليها تدع الانسان في كرب عظيم فلذلك كله كان وصولنا الى دريدوه من أعظم دواعي السرور والحمد لله وقد خيل لي انه لو كان امامنا مسافة ساعتين غير ما سرنا لما كنت قدرت على قطعها على البغل . ذهبنا توأ الى الفندق الذي كنا نزلنا فيه في الذهاب الى آديس آبابا المسمى (اوتيل ميخاليدس) باسم صاحبه . ودخل كل في غرفته بعد ان أرسلنا البغال الى وكيل الحاج أحمد عبد القادر أفندي في دريدوه . فكان أول شغلي الاستحمام وتغيير الملابس وبعد ذلك جلست على كرسي هزاز امام جنيئة النزل وأخذت أشرب الشيشة (الأركيله) بكل سرور من وصولنا الى دريدوه بالسلامة . وأما الطقس هنا فانه كان حراً وكان معنا بالنزل كثير من السيدات الاوروية وكلهن بملابس خفيفة جداً ولما سألت الغارسون عنهن أجاب بانهن زوجات بعض المستخدمين في جيوتي حضروا الى هنا لقضاء بضعة أيام في دريدوه هرباً من شدة حرارة الثغر المذكور . فاخذت أفكر في درجة الحرارة في جيوتي فاذا كان هنا الحر في هذه الشدة فكيف يجب ان يكون الطقس هناك حيث أوجب هروب السيدات الاورويات منها الى دريدوه التي وجدنا الحر فيها شديداً

كنت علمت من ادارة البوستة في آديس آبابا ومن موسيو لاغارد سفير فرنسا بان باخرة من بواخر مساجري ماريتم تصل الى جيوتي آتية من ماداغسكار في صباح التاسع والعشرين من شهر حزيران (يونيو) وتبرح الثغر المذكور بعد الظهر قاصدة السويس . لذلك كنا رتبنا خطة سيرنا على وجه ان نصل الى دريدوه يوم الاحد

وتقوم منها الى جيبوتي يوم الاثنين حيث نركب الباخرة منها يوم الثلاثاء وبهذا الحساب لا نكون قضينا في جيبوتي الا ليلة واحدة فقط . ولكن لما وصلنا الى دريدوه علمنا ان الباخرة ستصل الى جيبوتي يوم الاربعاء لا الثلاثاء فلزم ان نبقى هنا يومين لانه لا يوجد قطار يقوم يوم الاحد الى جيبوتي

وردت مساء البغال فوضعنا الاحمال في الاكياس والصناديق لانها لا لزوم لها بعد الآن . وبعد وصولنا بقليل ورد للسلام علينا آتوبيانا ابن آتومارشا حاكم المدينة وعض الموظفين الاحباش وآتوجوزوف قنصل الحبشة في جيبوتي الموجود هنا لبعض أشغال تخص وظيفته ونعمان أفندي الحوري قنصل فرنسا في دريدوه . وكان نعمان أفندي هذا رفيقي في المدرسة قبل ٣٣ سنة في بيروت وما كنا رأينا بعضنا بعد ان خرجنا من المدرسة فجلسنا نقطع الوقت معاً ونذكر أيام الصبا والمدرسة . وقد استفدت كثيراً من معلوماته بالحبشة لانه مضى عليه بضع سنين وهو في دريدوه وهو رجل عالم عاقل ذكي لطيف المعشر يعرف أربع أو خمس لغات لا يعمل مخاطبه من لذيذ صحبته وعنده هنا مكتبة نفيسة . وكانت زيارتنا لبعضنا من قبيل زيارة الصديق لصديقه خالية من كل تكلف وترسم . وقد دعانا للعشاء عنده في غد



يوم الاحد ٢٧ حزيران (يونيو) دريدوه

حضر اليوم آتو جوزف للنزل وسلم لكل واحد منا الرقيم (البراءة) المؤذن بانعام
جلالة النجاشي علينا بالنياشين التي مر ذكر انعامها آنفاً فانهزت فرصة وجود الاثو
عندي وطلبت اليه أن يترجم لي الرقيم المشار اليه وجواز السفر المعطى لنا من قبل
الامبراطور وبعض مكاتيب باللغة الحبشية وردت عليّ بينما كنت في آديس آبابا
وهالك ترجمتها :

ترجمة براءة الوسام :

ان النصر والظفر لأسد سبط يهوذا
من منليك الثاني ملك ملوك الحبشة بعون الله وعنايته الى كل من يقرأ هذه والى
محببه سلام . ان الملوك العظام ينعمون بالاوسمة لجنودهم الصادقين ولكل من يشتغل
باحياء العلوم والدراية وكذلك نحن أيضاً نهدي أعظم وسام من أوسمة حكومتنا الى
صديقنا صادق المؤيد باشا ياور الحضرة المعظمة السلطانية وأذنا له أن يعلقه وقت ما يشاء
في ١٩ حزيران (يونيو) بعد عام النجاة ١٨٩٦

ترجمة الجواز :

ان النصر والظفر لأسد سبط يهوذا
من منليك الثاني ملك ملوك الحبشة : ان صادق المؤيد باشا وطالب بك ويس افندي
سيعودون الى بلادهم فيجب أن لا يمسه أحد بسوء بل ليحترمهم ويراعوا جانبهم
٢١ حزيران

ترجمة الكتاب الذي أرسله ناظر القصر الامبراطوري

الى أحمد افندي عبد القادر يصرح به للموما اليه بناءً على أمر النجاشي اضافتنا في منزله

ليصل الى الحاج عبد القادر افندي

كيف أنت يا أخي؟ أما أنا فاني والله الحمد بخير وعافية. عرضت البارحة على مسامع جلالة النجاشي التماسكم الخاص باضافة الرغد العثماني المحترم بمنزلكم. وحضرت مساءً لأبلغكم الجواب الذي تلقيتيه ولكنني لم أجدكم وقد سر طلبكم هذا من تلقاء أنفسكم جلالة الامبراطور كثيراً فأصدر أمره بقبول ملتسمكم ودعا لكم بالرضاء الالهي ومعونته الربانية

التوقيع

تقدراس هيللا جورجيس

٨ حزيران ١٨٩٦

وكنت تركت بطاقة زيارة لابنة الامبراطور عند ما زرت زوجها ففضلت حضرة البرنيس وأرسلت الي كتاباً هذه ترجمته :

من وزرو وللاتو كريمة الامبراطور منليك الثاني الى حضرة صادق المؤيد باشا الجنرال العثماني - :

كيف حالكم؟ عسى أن تكونوا بخير؟ أما نحن فانا له الحمد بخير. بلغت سلامكم كما انه وصلني بطاقتكم وقد سررتي ذلك جداً فلتكونوا في رعاية الله دائماً وأنتم بخير وعافية. أرسلت لكم كتابي هذا مشفوعاً بتحياتي وسلامي

التوقيع

وزرو وللاتو

ترجمة الكتاب الوارد من افانفوس

من افانفوس نسيبو الى حضرة صادق باشا المؤيد العظم سفير جلالة السلطان عبد الحميد خان - :

كيف أنتم؟ وكيف صحتكم؟ هل أنتم بخير واذا تفضلتم بالسؤال عنا فانا

والحمد لله بخير وعافية . أخذت بطاقتكم العزيزة . وقد أسفت جدا لعدم التمكن من مقابلتكم وقت تشريفكم منزلي لوجودي وقتئذ في الجنة (اسم المقصر الامبراطوري الجاري تشييده في المحل المسمى هولالاتا) حسب أمر جلالة الامبراطور والامبراطورة بلغني خبر وصولكم الى آديس أبابا . وأوئل مجيئكم الى المقصر الجاري بناؤه هنا . واني مقصر بعدم ارسال كتاب اليكم للسؤال عن صحتكم والذي يكدرني أكثر من كل ذلك هو اني لم أتمكن من مقابلتكم ورؤيتكم فاذا كنتم حقيقة على وشك السفر أسأل الله أن ييسر لقاءنا بكم في وقت آخر

التوقيع
من الجنة ١٩ حزيران ١٨٩٦
افانفوس نسيبو

ترجمة الكتاب الوارد من وزرودستا زوجة افانفوس

من وزرودستا الى حضرة صديقنا العزيز صادق المؤيد باشا
كيف أنتم ؟ وكيف أحوالكم ؟ أما نحن فله الحمد بخير وعافية . ان الهدية التي تفضتكم بارسالها وصلت . واني لفي غاية السرور والامتنان لتفكيركم بي قبل سفركم أسأل الله أن يجعلكم في حرزه وأمانه الصمداني

التوقيع
٢٠ حزيران ١٨٩٦
وزرودستا

ويظهر من مقابلة التاريخ الحبشي بالتاريخ الافرنكي انه يوجد بينهما فرق ثماني سنوات . وقد كنت ذكرت ذلك في الفصل الخاص بالتقويم . وأما جملة (ان النصر والظفر لاسد سبط يهوذا) الموجودة في أول كل كتاب ملوكي فان أصلها مأخوذ من التوراة التي تشبه يهوذا أحد أولاد يعقوب عليه السلام وجد اليهود بالاسد وتلقبه بهذا اللقب . ولا يخفى أن يهوذا أبو داود وداود أبو سليمان عليهما السلام وسليمان هو جد العائلة المالكة الآن في الحبشة كما يدعي الاحباش . وكل من أولاد سيدنا يعقوب كان يصنع علما لعائلته وقبيلته وينتسح عليها صورة حيوان واذ كان يعقوب لقب ابنه يهوذا بالاسد لزم أن ترسم صورة أسد على علم يهوذا وهو شعار الاحباش

الى اليوم ينقشونه على دراهمهم وعلى اعلامهم . ومن هذا القبيل ما كان يرسمه بقيقة
أولاد سيدنا يعقوب من العلامات المميزة على اعلامهم فكان شعار يوسف صورة
جاموس وشعار بنيا مين ذئب وشعار نفتالي غزال وشعار ايساخار حمار وشعار دان ثعبان
وشعار روبن سمكة

سلمنا اليوم جميع أمتعتنا الى السكة الحديد وقطعنا تذاكر السفر وفي المساء حضرنا
المأدبة التي أقامها حضرة نعمان خوري افندي قنصل فرنسا وقد كان أكثر المأكل
في مأدبة نعمان افندي على الطراز العثماني من تركي أو سوري



يوم الاثنين ٢٨ حزيران (يونيو) السفر الى جبوتي

بكرنا اليوم في القيام من النوم وبعد أن هيأنا أنفسنا للسفر أخذ خدمنا الحقايب الصغيرة وذهبنا الى محطة السكة الحديد . وقد حضر لوداعنا نعمان افندي الموما اليه وآتو جوزف وآتو مارشا وآتو بيانا وكثير غيرهم من الموظفين . وفي الساعة السادسة ونصف قام القطار وأخذنا نقطع الغيطان والوديان وكنا كما وقفنا في محطة نجد كثيراً من الصوماليين واقفين للدعاء للحضرة السلطانية والسلام علينا . وفي إحدى المحطات وصاني تلغراف من حضرات غالب اخوان من كبار التجار في جبوتي وكان مر ذكرهم في الكلام على الثغر المذكور يهنئوني فيه بالاياب سالماً ويدعرتني الى النزول ضيفاً عليهم وقف القطار قليلاً في الحدود الفرنسية لاخذ مأمور الحدود وزوجته الذاهيين الى جبوتي . وفي محطة جمبولي وجدنا رئيس مهندسي السكة الحديد وموسيو لهقورتيق المغتش الاول وقد حضرا على قطار قام بصفة خصوصية لاستقبالنا . ولما وصلنا الى محطة جبوتي وجدنا في استقبالنا من قبل الوالي الموسيو اتروان مدير أقلام محررات المستعمرة وقنصل روسيا والموسيو مارشال الوكيل العمومي لشركة مساجري ماريتم وغالب اخوان الموسيو وبجيه صاحب فندق (ده زاركاد) وكثيراً من المستخدمين وغيرهم . وبعد أن سلمنا على المستقبلين مصافحة ذهبنا الى منزل غالب اخوان حيث دعينا للنزول فيه فلا تسلم أيها القارئ عن مقدار ما رأيناه من الاكرام من غالب اخوان في منزلهم فبارك الله فيهم

وكانوا أعدوا لنا أسرة في غرف خصوصية لكننا لم نقدر على النوم فيها من شدة الحر الذي كان يبلغ في الليل الى درجة الاربعين فوق الصخر . لذلك خرجنا الى الشرفات الواسعة حيث قضينا الليل هناك على أسرة أقاموها لنا بصفة خصوصية . والناس هنا ينامون على سرر مصنوعة من التيل وليس عليها الا وسادة رأس فقط .

لان الانسان لا يستطيع أن يتحمل حرارة الفراش واللحاف فوق حرارة الجو الشديدة
وينصبون السرير الى جهة هبوب الريح لاستقبال الهواء الطري فاذا انقطع الهواء من
هذه الجهة أثناء الليل فان صاحب السرير يقوم ويوجه سريره الى الجهة التي أخذ
الهواء يهب منها . وبعض الناس يهبطون على الشرفات بضعة أسرة حتى ينتقل عليها
في الليل حسب اتجاه الارياح . قضينا الليل بنوم متقطع وشرب ماء كثير والعرق
يتصبب في جباهنا وكنت كأني في حمام حار . ولما أصبح الصباح أسرعت
فاغتسلت بالماء البارد الذي لم يكن فرق بينه وبين ماء الحمامات



يوم الثلاثاء ٢٩ حزيران (يونيو)

كنا منتظرين وصول باخرة شركة مساجري ماريتيم ولكن بعد السؤال علمنا انه ليس لدى مكتب شركة البواخر المذكورة علم بميعاد وصرها لان أسفار البواخر لم تكن انتظمت بعد من جراء الاعتصاب الذي حدث في مارسيليا قبل شهرين ورد اليوم أكابر وأعيان المسلمين لزيارتنا . وأما الوالي موسيو بونهور فانه كان تعين في غيابنا والياً على (مارتينيك) قنزاورنا مع وكيله موسيو دوباري القائم بأعمال المستعمرة . وقد أدب الموما اليه لنا مأدبة رسمية في دار الحكومة . وبعد الظهر أخذت في رد الزيارة للذين أتوا لزيارتنا . ومن حسن الحظ انهم هنا لا يلبسون في هذا الموسم التمصان الافرنجية والملابس السوداء مثل (فراك) (سموكينج) اذ شدة الحرارة في هذه البلاد تغلبت نوعاً ما على المراسم والتكلفات . لذلك كنا مرتدين في زيارتنا بالاردية العسكرية البيضاء . والذين يلبسون هنا اللباس الافرنجي لا يلبسون سوى بانطون رفيع وجاكت مثله وأحياناً يلبسون التمصان الرفيعة جداً ولا يلبسون شيئاً سوا ذلك

وقد كنت ذهبت لزيارة رجل من أكابر موظفي المستعمرة فوجدته لابساً بانطالوناً وجاكتاً مصنوعين من الشيت الرفيع وليس في رجله جوارب بل محتدراً بنعل (ششب) فقط وهو عار الرأس وقد خجل مني جداً لمقابته لي بهذه الهيئة وأخذ يمتذر . والرجل يذهب لمحل وظيفته ويقوم بأداء مهام المستعمرة وأمورها وهو على هذه الهيئة واني أعذر الرجل وغيره ممن يسكنون هذه البلاد على تخفيف ملابسهم لشدة الحر الذي يفرق كل تصور . وقد زرت بعد ذلك بشاره افندي غالب والتقمصل الروسي والموسيو مارشال وكيل ادارة مساجري ماريتيم . ولم أجد الموسيو

مارشال في منزله فاستقبلتنا قرينته أحسن استقبال وفي اثناء الكلام شككت من الشكوى من شدة الحر وتأثيره عليها وقد رثيت لحالة هذه المسكينة مع ان المنزل القاطن به الموسيو شارل مشيد من قبل شركة مساجري ماريتم على أمتن وأحسن طريقة في فن المعمار وعلى طراز يمنع نفوذ الحرارة الى داخله . وكانت السيدة جالسة على مقعد (قانا به) مرتدية بلباس خفيف مصنوع من القماش الابيض الرفيع وفوق رأسها مروحة من الجنس المسمى (برانتار) مربعة الاضلاع حجمها يزيد عن الاربعة أمتار يحركها الخدم بالجلال من خارج البهو . وكانت تذكرني الاستانة بتحسر وقد كانت سكنت فيها مدة ومناخها اللطيف والبوسفور ومناظرها البديعة وهواءه البليل المنعش للابدان . كنت تعرفت بمدام مارشال وزوجها قبل شهرين عند ما وصات الى جيبوتي آتياً من الاستانة في المأدبة التي أقيمت لنا من قبل الوالي حيث كان محلي على المائدة في جانبها . وهذه السيدة على جانب عظيم من الذكاء والالطف وحسن الجمالة حسنة المعشر جداً مكرمة للضيف مهذبة تهديباً جيداً . وبينما كنا نتجاذب أطراف الحديث حضر زوجها الموسيو مارشال فجلس معنا فكان جل كلامنا دائراً على الحر هنا والطرارة في أوروبا خصوصاً في الاستانة والبوسفور . وبعد ان قضينا برهة من الزمن استأذنت بالانصراف على ان تتلاقى ثانياً في مادبة وكيل الوالي الرسمية هذا المساء

وكانت هذه المأدبة مثل سابقتها التي أقامها لنا الوالي السابق من حيث الزينة والترتيب والاكرام وقد كان الحر يلطف بالمرأوح الكبيرة المعلقة بالسقف التي يحركها الخدم من الخارج وكانت فابريقة الثلج الصناعي أوقفت عمل الثلج منذ بضعة أيام لعطل طراً على عدتها لذلك كان الاهالي مضطرين لشرب الماء الحار ولكن لحسن حظنا كان مدير السكة الحديد أهدي الى وكيل الوالي ما يكفي من الثلج في مأدبة هذا المساء لان لادارة السكة الحديد هنا معملاً صغيراً يصنع من الثلج ما يكفي لمستخدميها وموظفيها فقط . فلذلك كنت ترى المدعويين كلهم السنة تشكر مدير

السكة الحديد على هذه الهدية العظيمة . وفي الحقيقة ان الانسان لا يقدر ان يقيس قيمة الثلج في هذه البلاد على أي شيء غيره . ولما شكرت المدير على هديته أجاب قائلاً بأنه يرسل اليّ نهار غد بضع أقات من الثلج لوقت الغذاء فظهرت شكري الجزيل وامتناني لهديته النفيسة وختمت الأدبة بخطبة ألفاها وكيل الوالي وشرب نخب الحضرة السلطانية وقد أجبته على ذلك بما يقتضيه المقام . قنا عن المائدة وجلسنا مدة في الشرفات حيث شربنا القهوة المثلجة والسجائر ثم انصرف المدعوون الى منازلهم شاكرين وكيل الوالي على مآدبه البديعة النظام . علمنا اليوم انه ستصل بعد بضعة ساعات الى جيبوتي باخرة من بواخر شركة هاورثه بنسولير آتية من ماداغسكار وأنها ستقوم غداً قاصدة السويس فصممنا ان نساfer عليها وان تكن دون بواخر شركة مساجري ماري تيم انتظاماً ونظافة



يوم الاربعاء ٣٠ حزيران (يونيو) السفر الى السويس

قطعنا تذاكر السفر بواسطة غالب اخوان وأرسلنا جميع أمتعتنا الى الساحل .
وبعد أن تناولنا طعام الغداء وودعنا وكيل الوالي ذهبنا الى الباخرة وكانت الساعة
وقتئذ الثانية بعد الظهر على الحساب الا فرنجي . فلم نشأ النزول الى الغرف (القمارات)
من شدة الحر بل ظلينا على ظهر الباخرة التي كان بها بضعة ركاب آتون من الجنوب
وكلهم لابسون أردية خفيفة جداً من غير جوارب عراة الرؤس . وكان ربان الباخرة
رجل خدم بالجيش الفرنسي في الهند الصينية يحب الجندي حياً عظيماً . فكان دائماً
يعاملني معاملة عسكرية ويخاطبني بقوله (مون جنرال) أي (أيها القائد) فكنت
أرى اللطف والرقّة والنشاط ومعاملة الضيف بالاكرام الخاصين بالبحارة الفرنسيين
تجسّمت كلها في هذا الرجل الجميل المعشر . ولما رأى الربان ان الحر يمنعنا من النزول
الى غرفة الطعام فضلاً عن الاكل فيها أمر فأقيم لنا محل مخصوص حجز بالسجف
(اثندات) وزين بصفة خصوصية وجهز بكل ما يلزم للاقامة والنوم فيها وأقيمت لنا
مائدة على الظهر أيضاً نأكل عليها . وقد خصص لي غرفة النوبيجي الموجودة في أعلى
الباخرة للمطالعة والاستراحة بها نهائياً . وهذه الغرفة بسبب علوها لم تكن تخلو من
الهواء الطري نسبته للغرف الاخرى

بقي غالب اخوان في الباخرة حتى قرب سفرها وفي الساعة الرابعة افرنجي أقلعت
الباخرة قاصدة السويس . كنا لما سافرنا من الاستانة توجهنا الى مرسيليا حتى نجعل سفرنا
منها على احدى بواخر مساجري ماريتيم ولكن لم يتم لنا ذلك للاسباب التي سردتها
فيما سبق كذلك كانت حالتنا في الاوبة فاننا كنا عزمنا أن نقوم من جيبوتي على

احدى بواخر مساجري المذكورة وأسرعنا بالوصول الى جيوتي بقصد أن ندرك الباخرة قبل سفرها ومع ذلك فإنه لم يتم لنا ذلك :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
ان المسافة الموجودة بيننا وبين السويس طويلة فيجب أن تقضي بعض الوقت في سرد الوقائع الحربية التي حدثت بين الاحباش والاطليان :

الوقوعات الحربية بين الطليان والحبشة

احتلال مصوع

أرادت الحكومة الايطالية أن تستعمر احدى المقاطعات الواسعة في افريقيا وتجعلها باباً للولوج الى داخل هذه القارة العظيمة كما تفعل دول أوروبا في الاستعمار فانهزت فرصة اشتغال الاحباش مع الدراويش واحتلت مصوع . وقد استصوب الانكليز الذين كانوا يعلمون أن مصوع وحواليها لا تصلح لسكن الاوروبي ولا للاستعمار عمل الطليانيين هذا بل ونشطوهم على ذلك . وكان لا بد للاطليان من سبب وحنة للقيام بهذا العمل واخراجه من القوة الى الفعل . لذلك انتهز الطليان فرصة قتل كوستاف بيانشي الطلياني ورفاقه سنة ١٨٨٥ في دانغالي في نفس المحل الذي قتل فيه غاليه ني ورفاقه سنة ١٨٨٤ وكان وقتئذ الرأي العام في ايطاليا متجهاً لهذا الاحتلال ومستحسناً له فبناءً على ذلك أرسلت ايطاليا فرقة من جنودها واحتلت ثغر مصوع في اليوم الرابع من شهر شباط (فبراير) سنة ١٨٨٥ وانتشرت الجنود الايطالية في أراضي سمهره وأرشيكو وموتقولو وساتي وكها تابعة للحكومة الحبشية . وأخذت من ثم الجنود الايطالية تتقدم شيئاً فشيئاً الى شمال مصوع وجنوبها وغربها حتى استولت على كل مقاطعة اريتره وجعلها الطليان مستعمرة لهم وألفوا فرقة من الجنود المتطوعة الوطنيين بالاجرة . فلما رأى ذلك الامبراطور يوحانس نجاشي الحبشة حينئذ أراد أن يوقف تقدم الايطاليين عند حد معلوم فأرسل رأس الولا ومعه خمسة آلاف جندي

لارجاع الطليان الى الساحل . وبلغ هذا الخبر الطليان فأخذوا يحصنون (ساتي)
للدفاع عنها عند اللزوم

واقعة دوغالي في ٢٦ كانون ثاني (يناير) ١٨٨٧

كان تابور مؤلفاً من خمسمائة جندي طلياني ومعه كثير من الزاد والذخائر قاصداً
(ساتي) تحت قيادة القائم مقام خريستوفور ريدي . فصادف في طريقه تابوراً من
جنود رأس الولا فاشتبك القتال بينهما في محل يسمى (دوغالي) بعد ١٠ كيلو مترات
عن ساتي . وقد دافع الطليان دفاع الابطال ولكن هذا الدفاع لم يدفع عنهم القضاء
المبرم فانهمزمت الجنود الطليانية الا انه لم ينج منها ولا واحد ووقعت جميع أسلحتهم
وذخائرهم غنيمة بيد الاحباش

وكان وقتئذ في (ساتي) المذكورة تابور آخر مؤلفاً من خمسمائة جندي تحت
قيادة البيكباشي (بوره تي) الذي كان واقفاً على وقت سفر خريستوفور ريدي بجنوده
التي أبادها الاحباش فلما استبطأ وصوله الى (ساتي) أرسل في الحال من يستطلع
أخباره فرجع هؤلاء المستكشفون وأخبروه بنكبة التابور وما حصل بينه وبين الاحباش
الذين كانوا عسكروا في سفوح الجبل الكائن أمام (ساتي) فعمل البيكباشي بوره تي
أن الاحباش سيهاجمون (ساتي) في اليوم التالي لذلك أخذ يتأهب للتفقر الى مصوع
في جنح الظلام من غير أن يشعر الاحباش بذلك وتوقف للخروج من ساتي ليلاً ولم
يأخذ الجنود معهم سوى الخراطوش الموجود وأسلحتهم وتركوا ما عدا ذلك من
الذخائر والمهمات وغيرها . ولما أصبح الصباح وهاجم الاحباش المدينة وجدوها
خالية خاوية على عروشها فاعتنموا ما تركه الطليان من الزاد والذخائر الحربية

نكبة الموسيو ساليمه ني ورفاقه

كان ورد الى مصوع سنة ١٨٨٦ وفد ايطالي تحت رئاسة الكونت ساليمه ني .
ومهمة هذا الوفد هي الذهاب الى شوا حيث يقيم الامبراطور يوحانس عن طريق

اسمرا وادووا ومقالله وأوتالو بحجة القيام بعمل رسم قنطرة (كوبري) نهر مارب المزمع تشييده والتحق بهذا الوفد أيضاً شخص طلياني يسمى قونت سافوارو وهو ضابط برتبة ملازم في الجيش الطلياني أتى مصوع لرؤية رفاقه الضباط الموجودين في هاته البلاد فرافق سالمييه ني الموما اليه الذي بعد ان تجول مدة هو ورجال وفده في جهات مونغولو بقصد الصيد سارقاصداً سأتى المار ذكرها . وكان خرج معهم من مصوع ضابط آخر برتبة بيكباشي يسمى بيانو ومعه ابنه البالغ عشرين من العمر ارتياحاً الى ان الوفد سلمي واعتبر سفره معه كنزها جميلة . وكان عدد رجال الوفد أربعة أشخاص

كان الوفد يتصيد في النهار اثناء سيره ويالجأ في الليل الى منازل الوطنيين حيث ينزل عليهم ضعفاً . ولما وصل الكونت سالمييه ني ورجاله الى معسكر راس الولا أبقاهم هذا القائد الحبشي عنده بضعة أيام بحجة انه يوجد في الطريق كثير من الاشقياء قطاع الطرق . ولما عاد رجال الوفد من الصيد مساء يوم حدوث الواقعة رأوا من رأس الولا اكراماً زائداً وجاسوا على المائدة وبعد ان فرغوا من الطعام تقدم بعض رجال من الاحباش بناء على اشارة الرأس ووضعوا السلاسل والاغلال في أعناق رجال الوفد وفي أيديهم وأرجلهم وأبلغوهم بأنهم أسرى عند الرأس وسجنوا كل واحد منهم على حدة في كوخ وحده . وأراد راس الولا أن يعدمهم الحياة ولكن بناءً على توسط كريمته التي كان يحبها جداً والتي كانت رثت لحال الضابط الملازم الطلياني وتمكنت بذلك من تخليص حياتهم فقط . وبعد شهرين توفق الملازم سافوارو الموما اليه للاستحصال على تصريح بالذهاب الى مونغولو بقصد ارسال كتاب الى والدته في ايطاليا ليعرفها محل وجوده ويطمئنها على حياته على شرط ان يرجع فذهب وعاد الى أسر رأس الولا تنفيذاً لما أعطاه من القول والقسم على شرفه

طلبت الحكومة الطليانية من الحبشة اعادة هؤلاء الاسرى فأجاب رأس الولا لذلك على شرط أن تعيد الحكومة الايطالية خمسة من الاحباش موجودين في أسر

الجيش الطلياني . وعلى ذلك أخلى القائد الطلياني سبيل أربعة من الخمسة أسرى واستبقى الواحد عنده لانه كان قبل تابعة ايطاليا فلا يجوز سياسة والحالة هذه اعادته الى حكومته السابقة . ولما علم رأس الولا بذلك أحضر الاسرى الطليانيين لعنده وقال لهم انه يوجد الى الآن رجل حبشي في أسر ايطاليا لذلك يريد أن يبتى أحدهم نظير هذا الرجل ويخلى سبيل الآخرين وعيهم ان ينتخبوا هذا الاسير الذي سيبقى هنا حتى يفرج عن الحبشي وسمح لهم بمقابلة بعضهم والمداكرة في هذه المسئلة

ولما اختلى هؤلاء الطليانيون مع بعضهم للمداولة في انتخاب واحد منهم للبقاء هنا اقترح الكونت سالميه في أن يرجعوا الى الاقتراع ولكن الملازم سافوارو لم يوافق على ذلك وقال ان الكونت سالميه في رجل عجوز فلا يليق أن يبقى هنا أسيراً واذا وقعت القرعة باسم البيكباشى أو ابنه فانهما سيضطران للاقتراع عن بعضهما وهذا أيضاً مما لا يجوز بالنظر لسن الغلام فلا أرى من يبقى هنا الا أنا لاني في مستقبل الشباب بعد كما اني أعزب سهل عليّ البقاء في الاسر . واقنع الملازم رفاقه بوجود ذهابهم وبقائه هناك . وبناءً على هذا القرار أخلي في اليوم الثاني سبيل الكونت سالميه في والبيكباشى وابنه . وأراد عم الملازم سافوارو ان يفدي ابن أخيه بمليون فرنك يرسله الى رأس الولا ولكن الحكومة الطليانية لم توافق على ذلك خوفاً من ان تصير عادة سيئة في المستقبل . وكان حراس الملازم يعاملونه بقسوة وعنفة . وكانت كريمة رأس الولا تحضر في بعض الاحيان خفية الى سجن الملازم وتحضر له معها بعض المأكولات وتسايه في سجنه وأسرته هذا

وكان هذا الاسير المسكين يؤخذ الى ساحة هناك لعدم رمياً بالرصاص فيوقفونه امام الجنود التي تصوب بنادقها عليه وتبقى مدة هكذا ثم تعود راجمة أدرجها من غير ان تطلقها عليه ثم يرجعون الملازم الى سجنه بحجة ان الرأس عفى عنه الآن من الاعداء . ولما طال هذا التعذيب قال الملازم يوماً الى سجانته (اذهب لسيدك الرأس وقل له اني لست في احتياج لعفوه غني فليعجل باعدامي) فأجابه السجان قائلاً (ان

عمل الرأس هذا متأت عن رغبته في تجربتك عما اذا كنت جباناً أو شجاعاً . انك تجهل ان الرأس رجل شفوق رحيم ولا يوجد قائد آخر مثله . فهل يمكن والحالة هذه ان يأمر بقتل واحد مثلك فاذا كان لا بد من معاقبتك ربما يأمر بقطع يدك اليمنى ورجلك اليسرى فقط . لان قائدنا رجل رحيم بالناس جداً كما قاتته لك)

و بقي هذا التعيس في قيد الاسر مدة تسعة شهور ولم تقدر السياسة الطليانية على تخليصه ولما رأى ذلك أحد رهبان العذار بين الفرنسيين المقيم في الحبشة توسط لدى رأس الولا في اخلاء سبيل الملازم الموما اليه نظير مبلغ يدفع الى رأس الولا واتفقا على ان يكون المبلغ مائة الف فرنك وخابر الراهب أهل الملازم سافوارو وأقرباءه فأرسلوا في الحال هذا المبلغ وبعد ذلك أخلى سبيل الاسير

احتلال أريترة

نزلت حملة عسكرية طليانية مؤلفة من عشرين الف جندي تحت قيادة الجنرال سانمارزانو الى مصوع في اليوم الثامن من تشرين ثاني (نوفمبر) سنة ١٨٨٧ وكانت هذه الحملة تتألف من أربعة ألوية قوادها الجنرالات (جه نه) و (لانزا) و (غاني) و (بالديسه را)

وكانت ايطاليا علمت ان محاربة الحبشة ليست بالامر الهين فطلبت الى انكلترا أن ترسل من قبلها وفداً الى الامبراطور يوحانس للتوصل الى تسوية الخلاف بين ايطاليا والحبشة بطريقة سلمية من غير سفك الدم وأجابت انكلترا طالب ايطاليا هذا وأرسلت من قبلها من يعرض ذلك على يوحانس . لذلك صدر الامر الى الجنرال سانمارزانو بأن يلزم جانب السكون الى ان يرجع من أرسل من قبل انكلترا الى الحبشة وتعرف نتيجة مساعيه . ولما عاد مندوب انكلترا من غير أن يتوفق لحل مرض صدرت الاوامر الى الجنرال سانمارزانو باجراء الحركات الحربية حسبما يرى فقامت الجنود الطليانية من مونغولو الكائنة قرب مصوع وسارت الى الامام فضبطت النقط

المهمة على طريقها ثم استولت ثانياً على سآتي وحصنتها للدفاع عنها كما أنها باشرت في مد خط حديدي من مصوع الى سآتي

أما الاحباش الذين كانوا انسحبوا بعد واقعة دوغالى الى المحلات العالية فقد عادوا هذه المرة تحت قيادة يوحانس بالذات ونزلوا عن طريق غنيدا وصابر غورما وعسكروا في سهول صابر غورما وفرقوا طلائعهم الامامية حتى هضاب (ديفديفنا) الكائنة على بعد بضعة كيلو مترات من سآتي . وأخذ رأس الولا يحرض الامبراطور يوحانس على مهاجمة المعسكر الطلياني ولكن الامبراطور أبى أن يصغى لكلام الرأس فأحجم عن مهاجمة الجيش الطلياني لانه خاف من مدافع الطليان وبالوناتهم والصواريخ الليلية وعلى الاخص من الانوار الكهربية في الليل حتى انه قال مرة لرأس الولا (نعم ان الهجوم على العدو ليس بشيء يذكر عندنا ولكن هؤلاء الناس أهل الجلد الابيض لهم مقدرة عجيبة حتى على توليد الشمس في الليل ولهم آلات وأدوات شيطانية مما تدهشنا وتحير عقولنا) ثم تربص مدة في محله دون أن يتحرك الى الامام أو الى الورا . وبعد قليل تفشت الاوبئة مثل الطاعون والحى التيفودية بين الجنود الحبشية وأخذ الجوع ينتاب الجيش والامراض الفتاكة تقتل المواشي والحيوانات كل هذا أجأ يوحانس لسحب جيشه الى الداخل وترك الجيش الطلياني وشأنه . أما الجنرال سامارزانو فلم يشأ أن يتعقب الجيش الحبشي فرجع مع قسم من جيشه الى ايطاليا وبقي القسم الاخر في جوار مصوع

وفي نيسان (ابريل) من عام ١٨٨٨ تعين الجنرال بالديسه را قائداً على القوى الطليانية الموجودة في هذه الاصقاع . وبعد سنة أي في عام ١٨٨٩ قتل يوحانس في الحرب مع الدراويش في القلابات كما مر ذكره آنفاً ولما تولى منليك بدلاً عنه ملك الحبشة نأر عليه أهل مقاطعة ينغرى بحجة أحقية رأس منغاشا ابن يوحانس الذي كان أميراً على المقاطعة المذكورة بالعرش الامبراطوري فلما رأى ذلك منليك طلب الى القائد الطلياني ان يحتل اسمرا بجنوده الطليانية ليتمكن من رغم الينغرين على الرجوع الى طاعته

وكانت في هذا الاثناء المداولات والمذاكرات جارية بين ايطاليا والحبشة بشأن تحديد الحدود والعلاقات بين الحكومتين وجعلت الحد الفاصل بينهما اسمرا وعقدت عهدة أوقسيالي في ٢ مايس (مايو) من عام ١٨٨٩ بين منليك والكونت اتونللي وقد ذكرت هذه العهدة في الفصل الخامس بالامبراطورة تيتو زوجة منليك أما الجنرال بالديسه را الذي كان نشيطاً وفي مستقبل العمر فقد تمكن من فتح مدينة (كره ن) الكائنة في مقاطعة بوغوس وأخذها من محافظها بالمبراس نحافل من غير مدافعة عنها . وفي هذه المدينة استحكومات جميلة قوية كان أقامها المصريون لما كانت المدينة في أيديهم وفيها ثلاثة آلاف نسمة من المسلمين . وطقس (كره ن) هذه جيد جداً وماؤها عذب

وبعد ضبط (كره ن) قام الجنرال الموما اليه بالجنود الطليانية المنظمة وبالمتطوعة غير المنظمة من الوطنيين من غيندا قاصداً اسمرا فكان كلما اقترب منها الجنرال ينسحب أمامه الاحباش حتى اذا وصل الى اسمرا في اليوم الثالث من شهر اغستوس (أغسطس) من السنة المذكورة وجد رأس الولا انسحب الى (غودوفه لاس) ومنها الى (آدووا)

بينما كانت هذه الحوادث تجري هنا كان منليك أرسل رأس ما كونن الى ايطاليا موفداً من قبله ليوقع على ذيل العهدة التي اتفق عليها الموسيو فريسي رئيس الوزارة الطليانية والرأس ما كونن وألحقت بعهدة أوقسيالي فوق المندوبان في أول تشرين أول (أكتوبر) وأبلغت للدول في الحادي عشر منه

وفي أواخر هذه السنة أعيد الجنرال بالديسرا الى ايطاليا وعين الجنرال أورره رو بدلاً عنه لقيادة الجنود الطليانية هنا ولما وصل القائد الجديد جهز حملة مؤلفة من تابورين أحدهما من العساكر الطليانية والثاني من الوطنيين وكوكبة فرسان وبضعة بطاريات من المدافع وأرسلها الى مقاطعة همازن الغنية جداً لتنفيذ عهدة أوقسيالي ولتشر نفوذ وحكم ايطاليا على المقاطعة المذكورة . وقد علم قائد هذه الحملة بواسطة

بعض الذين أرسلهم الى الامام للاكتشاف ان الجنود الاحباش انسحبوا الى ماوراء ما كاله

بسبب ما طرأ على البلاد من الضعف من جراء المحاربات ومن الاوبئة التي تسلطت على المواشي والحيوانات فأماتت معظمها وبسبب الفقر الناشئ عن الضرائب الفادحة التي كان يضربها الرؤوس على الاهالي ليتمكنوا من القيام بشؤون الجندية واطعام العسكر مال الاهالي الى مسالمة الطليان فكان حتى كبار الاحباش يقدمون الطاعة للجندي الطلياني أينما حل . وأخذ الجنرال أوروه يعين الموظفين والمستخدمين للبلاد التي تقدم الطاعة وتوسع في فتح البلاد حتى وصل الى بلاد مارب وبلزومونا . فلما رأى منليك هذا التوسع أرسل في اليوم الثاني والعشرين من شهر مارث (مارس) عام ١٨٩٠ احتجاجاً الى ايطاليا ضد هذا العمل وأبلغها بأنه لا يرضى بهذا العمل البتة ومن ثم أخذت تجري المذاكرات السياسية بهذا الخصوص ولكنها لم تأت بنتيجة ما وبعد ذلك بثلاثة شهور فصل الجنرال أوروه من وظيفته وجاء بدلاً عنه الجنرال غاندولفي بوظيفة والي مستعمرة اريتره وقائد الجنود فيها . وفي هذه الاثناء ثار على الطليان أحد أمراء الحبشة المدعو بالمبراس ايما أمير مقاطعة دونباسي وكان خضع لنفوذ ايطاليا ثم أخذ في محاربتهم . وفي الواقعة الثالثة التي حصلت بينه وبين الطليان انهزم الامير الموما اليه ووقع هو ورجاله أسرى بين يدي الجنود الطليانية . وفي هذه السنة نفسها حصلت واقعة بين الدراويش والطليان كانت نتيجةها توسيع الاراضي التي كانت تحت حكم الطليان وضبط أراضي (أغوداست) ولما وصل توسع ايطاليا بالاستعمار لهذا الحد قام منليك وأرسل احتجاجاً آخر في ٢٨ أيلول (سبتمبر) من السنة المذكورة ضد عهدة أوقسيالي وأعاد عدم رضائه عن أن تكون الحدود مما يلي مارب وباله ومونا . وفي هذه الآونة أقام الطليان جنوداً منظمة تؤخذ بالاجرة بدلاً من الجنود المتطوعة غير المنظمة ومرنوها على الاصول العسكرية الغربية وانتفعوا من ذلك بنتائج حسنة جداً

وكان رأس منغاشيا الذي لم يقدر على تبوء عرش والده يوحانس أخذ يتربص الفرص لابدال لقب رأس بلقب نفوس (أي ملك)
وأما الطليانيون فانهم اتخذوا في اريتره خطتين سياسيتين الاولى سياسة شوا ومنليك والثانية سياسة تغري ورأس منغاشيا فكانوا يبحثون عن الطرق التي توصلهم الى الاستفادة من التفرق والمزاخمة الواقعيين بين هاتين المقاطعتين . ولما وصلهم احتجاج منليك اتجهوا نحو رأس منغاشيا وأرادوا أن يأخذوه لجهتهم ويتفقوا معه وبنيت عهدة مارب على هذا الاساس

عهدة مارب الشفهية

أرسل الجنرال غاندولفي حاكم مستعمرة اريتره وقائد حاميتها كوكبة من الجنود تحت قيادة ضابطين برتبة يوزباشي وآخر برتبة ملازم الى ادووا مقر حكومة رأس منغاشيا ليقابلوه ويتذاكروا معه في مسألة مقابلة الجنرال الحاكم مع الرأس الموما اليه ويقرروا الترتيبات اللازمة لذلك . وبعد أن اتفق الطرفان على هاتاه المقابلة وتم ترتيب ما يلزم لذلك سافر الجنرال بصفة رسمية في أواخر شهر تشرين ثاني (نوفمبر) ومعه أشرطة مشاة من الجنود الوطنيين وفصيلة من الجنود الايطالية وبطارية مدافع وكوكبة فرسان قاصداً نهر مارب الواقع قرب (آدي غولا) حيث تقرر أن يتقابل القائدان الطلياني والحبشي . وكان رأس منغاشيا ورأس الولا عسكريا في ساحل النهر المذكور من الجهة الاخرى ومعهما ثلاثة آلاف جندي فوصل الجنرال غاندولفي وقضى هناك مع الاحباش يومين وهم يشتغلون باعداد ما يلزم للعهدة وفي اليوم الثالث أقسم الطرفان على الانجيل أمام الجنود الايطالية وقسيسها والقواد والتسيس الحبشي الذي أحضره بصفة خصوصية من اقسام أن الطرفيين يكونون أصدقاء على الدوام وتعاهدوا على ذلك شفهاً وأعطى كل من الطرفين الآخر العهد والميثاق الاكيدين بالتمسك فيما اتفقوا عليه . وهذه صفة قسم الجنرال الايطالي :

(أقسم بأني سأكون دائماً صديقاً لرأس منغاشا واني سأعتبر عدوه عدواً لي
وصديقه صديقاً لي . واني سأمد يد المعونة والمساعدة له في كل وقت وزمان) . وقد
طلب رأس الولا من الجنرال قسماً آخر لاجله لانه كان عالماً بأن الطليان لا ينسون
قط هزيمة دوغالي فلا بد من أن يقوموا يوماً للاخذ بالثار منه . وعلى ذلك حلف
الجنرال ثانياً قائلاً (أقسم بأني أعتبر رأس الولا صديقاً لنا ولا آتي شيئاً للإيقاع به)
وكذلك أقسم رأس منغاشا ورأس الولا . وبعد أن تمت هذه الحفلة وجه الرأس
منغاشا على الجنرال غاندولفي وعلى القائم مقام نافه لقب دازججاج كما انه أنعم على سائر
رجال الجيش الطلياني بوسام خاتم سليمان من رتب مختلفة وعلقها بيده في صدرهم كما
ان الجنرال سلم الهدايا المرسله من قبل حكومته الى رؤس والى القواد ورجالهم .
يقول أهل أوربا في أمثالهم (ان عهود العشق تكتب على صفحات الورد الرقيقة
فأول هزة من الريح تبيدها وتمحوها) وأقول ما أصدق هذا المثل على هذه الاقسام
والمواثيق لان الحوادث التالية لها أظهرت انه لم يكن لكل هاته المواثيق أدنى
أهمية واعتبار

سبب اعلان الاحكام العرفية في همازن

كان شاب من أبناء الاعيان من الاحباش ومن أقرباء رأس منغاشا المسمى
اساسق آباررا دخل في مدرسة الرهبان الطليانيين ودرس هناك وتخرج عليها بعد أن
أتقن اللغة الطليانية. وبعد خروجه من المدرسة دخل في الجندية الطليانية ودرس هناك
أحوال وعادات الطليانيين وأطوارهم وبعد أن أحرز رتبة ضابط فر يوماً مع من كان
تحت امرته من الجنود الوطنيين المسلمين واتفق مع الفيتوراري غايرو الذي كان خدام
أيضاً في الجيش الطلياني مدة واخيه فيتوراري رايته ساي وثاروا ضد الطليان مع كثير
من الاحباش الذين انضموا اليهم . وكان في تلك الآونة أي ١٥ مارس ١٨٩٢
أحد ضباط الطليان وهو اليوزباشي باتيني آتياً من مولاي ستايا الى اسمرام ومعه ستة

من جنوده فخرج رجال اسماق الموما اليه ورفاقه عليهم وقتلوا اليوزباشي ومن معه
من الجنود

وأرسل الجنرال غاندولفي في ١٧ مارس حملة مؤلفة من فصيلتين للقبض على آباررا
ورفاقه ولكن هؤلاء التجأوا الى قم الجبال الوعرة التي يصعب الصعود اليها فلم تتوفق
الحملة الى القبض عليهم . وفي أواخر نيسان صادفت فصيلة اليوزباشي وردة الي اسماق
آباررا الموما اليه فأصلته نار الحرب . ومع ذلك نجح آباررا من يدالفصيلة وسار هذه المرة
قاصداً مقاطعة تيغرى . وأراد رأس منغاشا أن لا يقبل آباررا ولكنه عدل عن ذلك
بناء على اصرار والدته وعقب أعمال آباررا هذا ظهر بعض أمور وأحوال تدل على
الثورة والعصيان في جهات همازن فاضطر الجنرال أن يعلن الاحكام العرفية في تلك
البلاد وألف في كل مدينة من مدن المقاطعة المذكورة مجلساً حريباً مؤلفاً من ثلاثة
ضباط فأخذوا يعاقبون كل من يقع بايديهم من الاشقياء والثوار المسلمين ويحكمون
عليهم بالاعدام وينفذون الحكم في الحال حتى أوقفوا حدوث الثورة في اريتره مؤقتاً
ولكن هذه الشدة التي اتخذها الطليان ضد الثائرين الوطنيين كانت سبباً لأضرار
عظيمة لحقت بالطليانيين كما سيأتي ذكره فيما بعد

اعلان فسخ عهدة اوقسيالي

مضى ثلاث سنوات على احتجاج منليك ضد اتخاذ الطليان جهات مارب وبلز
حداً فاصلاً بينهم وبين الحبشة ولم يعر الطليان أدنى التفات الى احتجاج الامبراطور
واستمروا في اعتبار البلاد المذكورة منتهى الحد المستعمرتهم مما ألجأ منليك الى اعلان
فسخ عهدة اوقسيالي في اليوم الحادي عشر من مايس (مايو) سنة ١٨٩٣ وان
أحكام العهدة المذكورة أضحت لاغية اعتباراً من اليوم المذكور . وأما الطليان فانهم
لم يهتموا بذلك الاعلان واستمروا في خطتهم . وقد أظهرت الحوادث التالية
ان الاحباش في هذه المدة كلها لم يكونوا نائمين بل انهم كانوا يشتغلون ويجدون

سرّاً في احضار وتجهيز ما يلزم للعمل لاسماع كلمتهم

واقعة حالايامع بانا آغوس

كان المدعو دازججاج بانا اغوس أمير مقاطعة أوقوله قواس الكائنة في اريتره حارب رأس منغاشيا ثم رأس الولا قبل احتلال الطليان لمستعمرة اريترافنهزم امامهما وضبطت أملاكه ولما أتى الطليان واحتلوا تلك الجهات أظهر الطاعة والخضوع لهم وطلب اليهم أن يردوا له مقاطعته فأجابه الطليان الى طلبه وأرققوه بألف ومائتي جندي من الوطنيين تحت قيادة ضباط ايطاليين وأعادوا له المقاطعة المذكورة وخصصوا له ما يكفي من الراتب

وكان وقتئذ رأس منغاشيا بن يوحانس المقتول في واقعة القلابات مع الدراويش يظهر الود والميل للطليان ويقول لهم انه سيجوز حملة ضد الدراويش ويساعد بها الطليان للأخذ بثأر أبيه ويخبر من جهة أخرى سرّاً بانا آغوس . وقد أخبر الطليان ببعض أحوال هذا الرجل فأرسل القائد سرّاً يئال من الملازم سانغيتي المأمور بمراقبته في ساغانيتي فأجاب الملازم بأنه لا يشتهه في أحوال انا آغوس . وفي ١٥ كانون أول (ديسمبر) ١٨٩٤ انقطعت المخابرات البرقية فجأة مع ساغانيتي حاضرة مقاطعة (أوقوله قواسي) فحمل الطليان ذلك على سبب عارضي خارجي ولكن لم يمض الا القليل حتى ظهر ان بانا آغوس استمال اليه الجنود الوطنيين الموجودين تحت أمره الملازم الطلياني سانغيتي وقبض على هذا الضابط وسجنه مع ثلاثة من مستخدمي النلغراف وبعض الجنود الطليان . وعلى ذلك أصدر الجنرال باراتيه ري الذي كان في (كره ن) أمره الى البيكباشي توسلي الموجود مع أورطته في اسمرا أن يذهب الى ساغاناتي بأورطته . وقد ظهر ظهور الشمس من ارسال بانا آغوس في اليوم التالي رجاءه الطليان الى معسكر رأس منغاشيا ان الاتحاد بين هؤلاء الاحباش كان تاماً لتقيام بعمل ثورة منظمة ضد الطليان . وهذا يدل على ان العدو لا يكون يوماً ما صديقاً

أما البيكباشى توسللى فانه قام من اسمرأ في الخامس عشر من الشهر ووصل في السادس عشر منه الى قرية مهاربة الكائنة امام ساغاناتي . وأخذ من جهة يرأسل النقطة العسكرية الموجودة في حالابا الكائنة على بعد ١٨ كيلو متراً من ساغاناتي منتظراً ورود المدد الذي طلبه منها ومن جهة أخرى أرسل الى بانا آغوس يطلب منه اخلاء سبيل الطليانين المسجونين عنده . فأجاب بانا آغوس على طلب البيكباشى بالمطالبة لان السجناء كانوا أرسلوا الى معسكر رأس منغاشا . وفي الليلة السابعة عشرة زحف بانا آغوس على (حالابا) بقصد الاستيلاء على استحكاماتها وقتل الحامية الموجودة فيها ليتمكن بذلك من فتح الطريق لرأس منغاشا الى قلب المستعمرة الطليانية . وفي اليوم الثامن عشر هاجم البيكباشى توسللى ساغاناتي ولما دخلها علم انها خالية منذ البارحة من جنود بانا آغوس

فعلم البيكباشى وجهته بانا آغوس وانه سار الى (حالابا) فزحف عليها بسرعة دون أن يخبر أحداً بذلك حتى يتمكن من تخليص الحامية الطليانية القليلة العدد فيها من بطش بانا آغوس . وأما هذا فانه وصل الى حالابا ومعه ١٩٠٠ رجل من حملة البنادق وحين وصوله أرسل ببلغ اليوزباشى كاستلازي قائد الحامية في (حالابا) ان يترك المحل وينسحب الى حيث يشاء سالمًا . وأراد اليوزباشى ان يطيل حبل المحاربة مع بانا آغوس ليغتم الوقت ولكن بانا آغوس فهم قصده وعلم هذه المرة قيمة الوقت فلم يشأ ان يضيع فرصة فتح الطريق لسكان (اسواراتي) الذين ينتظرون وصوله لينضموا اليه . لذلك هاجم المحل المذكور وأوشك ان يظفر بالطليان لو لم يصل توسللى مع أورطته وتغير الحالة بانتصار الطليان على بانا آغوس وأصابته رصاصة أوردته حتفه . وأما جنود الاحباش فانهم ارتدوا الى الاعقاب واختفى أحد أبناء بانا آغوس مع بعض جنود أبيه في الجبال ولحق ابنه الآخر مع بقية الجنود بمعسكر رأس منغاشا . ولما بلغ انتصار الطليانين هذا مسامع حراس الملازم سانيغتي ورفاقه الذاهبين الى معسكر رأس منغاشا أعادوهم الى ساغاناتي على شرط ان لا ينال هؤلاء الحراس سوء

واقعة قوايت

كان رأس منغاشا يهنيء الطليان بانتصارهم في (حالابا) بلسان ظاهره الصدق وباطنه الرياء واضمار الشر لهم لانه بينما كان يظهر لهم أشد الاشياء من أعمال باثا اغوس وثقييح سيره كان يشتغل من جهة أخرى باعداد المعدات لمهاجمة الجيش الطلياني . والسبب في ذلك ان رأس منغاشا لما رأى انه لم يتوصل الى بغيته مع تقديم الطاعة والخضوع للطليان ذهب الى اتوتو حيث يقيم منليك فصالحه وقدم له الخضوع ليحفظ لنفسه ملك تيغرى على الاقل وقد كان كالم منليك قبل عهدة مارب في شأن العنوان الملكي فأجابه منليك قائلاً (لاجل أن تكون أميراً أو ملكاً يجب أن يكون لك حكومة فأين حكومتك وملكك الذي ورثته عن أجدادك لاقيمك أميراً وحاكماً عليه ويجب عليك أن تسترد هذا الملك الضائع والشرف المفقود لتستحق وضع تاج الحكم على رأسك) والآن لما رأى رأس منغاشا انه لم يستفد شيئاً من الايطالين مال الى أبناء جنسه ثانياً والتجأ الى الاقوى من عدويه وهو منليك

ولما أخذ الجنرال باراتييري كتاب الرأس منغاشا الذي يهنته فيه بانتصاره (في حالابا) أرسل جواباً الى الرأس طلب فيه منه أن يفرق الجنود الذين كان الرأس مشغلاً بجمعهم في (انتسكيو) الكائنة على حدود المستعمرة وأن يسلم اليه الثوار الذين كانوا تمردوا على ايطاليائهم التجأوا اليه وان يصدر الامر الى رأس ماغوس بمهاجمة الدراويش حسبما جاء في العهد والميثاق المتبادلين بين الفريقين . وأما الرأس منغاشا فانه لم يرد على هذا الكتاب ولم يجب لطلبات الجنرال . وكان عنده في (ادووا) ضابط ايطالي برتبة ملازم يسمى موللازاني لما رأى عدم اجابة الرأس لطلبات الجنرال خشي من أن يحصل له ما حصل للملازم سانغيتي فترك (ادووا) في الحال وعلى ذلك أخذ الجنرال باراتييري يحشد قواه في (آدي اورجي) وهذا الموقع المستحكم

يشرف على سهل (سه رائه) وكائن في نصف الطريق بين مصوع و (ادووا) وهاته المواضع مساعدة جداً على الدفاع عن اسمرأ ويمكن التحصن بها والقيام بحركات حربية مهمة بقليل من الجنود نظراً للمناعة مواقعها

ولما أتم الجنرال باراتيه ري إعداد المعدات وحشد الجنود نهض سائراً الى (ادووا) ودخلها بعد ظهر ٢٨ كانون اول (ديسمبر) ١٨٩٤ من غير سفك دماء وذلك لتجديد عهد مارب وتأيدده . وقد زار بعض الاشخاص الذين هناك وطائفة افسوم الروحانية الجنرال باراتيري ولم يأت لزيارته الرأس منغاشا ورجال الاحباش الصالحين للضرب والطعان . لانه لم يكن يوجد احد في (ادووا) وقتئذ سوى العجزة والطاعنين في السن والقسس

ولما رأى الجنرال ذلك ولم يجد من يجدد معه عهد مارب وخاف من جهة اخرى من هجوم الدراويش عليه بغتة اضطر أن يعود بجنوده في اليوم الثالث من كانون ثاني (يناير) الى (آدي اوغري) دون ان ينال مطاباً من الأحباش . وبقى مقام رأس منغاشا مجهولاً لهم حتى ظهر في اليوم العاشر منه هو ورأس الولا في (أوفولافوسا) مهدداً خطوط دفاع الطليان في مصوع واسمرأ وغندا وقد كان تحت إمرتهما جيش مؤلف من عشرة آلاف رجل عبرا به نهر (به لز) وقطعا (سهل زاما) حيث أتيا الى (اوفولافوسا) المار ذكرها . ولما رأى الجنرال باراتيري ذلك عزم على مهاجمتهم واصدر الاوامر الى الجنود بالقيام بالحركات الحربية . فاحتل البكباشي توسلي بسرعة (فواتيت) بست فصائل من المشاة . وسار الملائم سانغتي والملائم موللازاني بقوى اخرى وراء البكباشي الموما اليه ولم يأت اليوم الثاني عشر من الشهر المذكور الا وكانت كل القوى الطليانية على تهيئة تامة في اما كنها . وفي اليوم الثالث عشر في الساعة الثالثة ونصف صباحاً على الحساب الافرنجي صدر الامر لأورطة غليانو ان تصطف على شمال اورطة توسلي . وقامت اورطة هيدالغو وراء هاتين الاورطتين بمقام الجنود الاحتياطية . وقد كان الليل هادئاً والقمر كان بدرأ

ينير الاطراف كالنهار . وكانت الجنود الايطالية تعانين نيران معسكر الاحباش امامهم
قام الجيش الايطالي بكل الترتيبات الحربية وتبعته الجنود في الليل وصدرت التعليمات
والاوامر لكل فصيلة واورطة بالاعمال التي ستقوم بها

ولما اخذ الفجر بالظهور اخذت بطارية اليوزباشي (سيكودي فولاً) تلقي القنابل
على الاحباش واجاب الاحباش بنيرانهم ايضاً واشتد اللقاء المقذوفات من الطرفين .
وقد سعى جنود الاحباش مراراً ان يحيطوا بالايطاليين ولكنهم لم يفلحوا . دام القتال
علي هذا المنوال الى المساء ولما خيم الظلام انقطعت النيران عن الفريقين على غير
نتيجة وقضى الجيشان الليل قريبين عن بعضهما

وفي صباح اليوم الرابع عشر ابتدأ الاحباش بالقاء المقذوفات على الطليان
واستمر القتال بضع ساعات اضطرَّ الاحباش في نهايتها ان يتقهقروا لنفاد الرصاص والقنابل
والذخائر الحربية الموجودة عندهم . وكانت خسارة الطليان في هذين اليومين عبارة
عن ضابطين وصف ضابط و ٩٧ جندي قتلى و ٢٣١ جندي جرحى

واقعة سه نافه

كان سقط في الواقعة المذكورة بضعة انفار من الجنود الوطنية بالجيش الطلياني
في اسر الاحباش وفي المساء توفق بعضهم للفرار مساء وعادوا الى فصائلهم في الجيش
المذكور وقالوا ان الاحباش يتقهقرون بغير انتظام وان الخوف والرعب مستول عليهم
جداً فلما سمع الجنرال باراتييري ذلك جمع ضباطه واركان حربه وبعد المداولة
والمذاكرة معهم صمم على اللحاق بالاحباش . وفي اليوم التالي وزع على كل جندي
من جنوده من الذخائر والمؤن ما يكفي لاربعة ايام وامر بالقيام فتحركت الحملة في
الصباح وكانت مؤلفة من الجنود الايطاليين والجنود الوطنيين وبعد ان قطعت اراضي
صعبة المسالك كثيرة الحزون وصلت ومّت الظهر الى (نوغوندا) حيث علم القائد
ان الاحباش مروا من هناك قبل ثلاث ساعات قاصدين (سه نافه) . وبعد ان

استراح الطليانون هنا ساعة واحدة قاموا قاصدين (سه نافه) المذكورة ووصلوا قبل الغروب الى هضبة تشرف على (سه نافه) امام معسكر الاحباش وحين وصولهم اخذت مدافعهم ترمى بمقدوفاتها على الاحباش . وقد وقعت اول قنبلة من قنابل الايطاليين في خيمة الراس منغاشا ولم يكن هو فيها بل كانت جرح منها قبل بضع دقائق ليشتجع جنوده على محاربة الايطاليين فقتلت بضعة أشخاص من رجال الراس ولما خيم الظلام اضطر الجيشان لقطع الحرب الى اليوم الثاني

وفي اليوم التالي نزل الايطاليون الى السهل ولكنهم وجدوه خالياً من الاحباش الذين انسحبوا ليلاً من هناك تاركين بعض الاشياء من جملتها خيمة الراس منغاشا حيث وجدوا فيها اوراق المحاربات التي كانت تجري بين الرأس وبين منليك وبين بانا اغوس ورئيس القسس العاذار بين الفرنسيين فعلموا من هذه الاوراق بأن ما ظهر من بانا اغوس من التمرد والعصيان كان بتشويق الرأس وبرضاء وعلم القسس المذكورين الذين كانوا مشتغلين بالامور السياسية اكثر من اشتغالهم بالامور الدينية يقول الذين حضروا هاته الوقائع ان تفهقر جيش الراس منغاشا أمام الايطاليين على هذه الصورة كان ناشئاً عن جبن الراس وعدم ثباته وقلة دربته في الامور الحربية وقد وافق الراس منغاشا أثناء تفهقره هذا عدواً آخر من أبناء جلدته فخاربه وتكبد الراس خسائر فادحة . واليك بيان هاته الواقعة :

يوجد ولاية مهمة في مقاطعة تيغري تسمى عقامه ادارتها بيد الاكبر من عائلة عريقة بالقدم وبالحسب والنسب اسمها ساغابادي . ولما مات أمير هذه الولاية قبل الوقائع المذكورة ببضع سنوات قام النزاع على الامارة بين راس سابات وداز جماج اغوس نافاري وكلاهما من العائلة المذكورة ولما رأى راس منغاشا ذلك عين أحد الغرباء عن عائلة ساغابادي أميراً على الولاية المذكورة بدلاً من أن يعين الاكبر استحقاقاً والاكبر من العائلة الحاكمة هناك من القديم ولم يكن لهذا الامير الجديد المسمى راس انتالو الذي عينه راس منغاشا مزية سوى انه حائز لرضا الراس فقط

لذلك أخذ الناس يتأففون من تصرف راس منغاشا على هذه الصورة وثار غيظ كل من راس سابات ودازاج تافاري المار ذكرهما وكادت تقع ثورات داخلية هائلة لولم يتداخل رجال الدين النافذو الكلمة فطلبوا اليهما أن يحضرا عند راس منغاشا لتسوية الخلاف بينهما وبين الراس فأجاب راس سابات الى ذلك ولما قصد راس منغاشا أكرمه اكراماً زائداً ثم قبض عليه وزج به في أعماق السجون في (امبا الاغني) أما دازاج آغوس تافاري فانه كان عالماً بأحوال البلاد وتعلق للراس منغاشا موجساً شراً من هذه المآدب اكثر من قريبه راس سابات فلم يشأ اجابة الدعوة بل تحصن مع رجاله في جبال (به لز) وأعلن الخصام والعصيان على راس منغاشا

ولما قامت الحروب بين راس منغاشا والايطاليين هذه المرة كان دازاج تافاري يراقب حركاته ويتعقبه من بعد منتظراً فرصة ينتهزها ويستفيد منها وعندما تفهقر راس منغاشا من (سه نافه) داهمه دازاج تافاري وقتل كثيراً من رجاله وأخذ من جيشه كثيراً من المواشي والغنائم الاخرى . وبعد ذلك ذهب وقدم الطاعة للايطاليين وقبل الايطاليون خضوعه واعلمهم ما لأفراد هذه العائلة في ولاية عقامه من الحقوق وما لهم من الاهمية والنفوذ والمكانة عينوه أميراً على الولاية المذكورة ووضعوا جنود دازاج تافاري تحت امره البيكباشي توسللي قائد منظمة عقامه باسم جنود منظمة وبقى دازاج آغوس تافاري هذا مالياً للايطاليين الى اليوم الثالث عشر من شباط (فبراير) ١٨٩٦ فانضم من ثم مع راس سابات الى اعداء الايطاليين أيي التحق بأبناء جنسه

احتلال تيغري

بعد انتصارات قواتيت وسه تافه الصغيرتين أراد الجنرال باراتييري أن يستولي على كل بلاد راس منغاشا أي على بلاد تيغري فأرسل توسللي ومعه الاورطة الرابعة المؤلفة من الجنود الوطنيين وجنود دازاج اغوس تافاري المار ذكره وأمره أن يحتل

(اديفرات) عاصمة عقامه ووجه البيكباشي (امه غليو) بالاورطة الخامسة المؤلفة من الجنود الوطنيين الى (ادووا) عاصمة تيغري . وكان وقتئذٍ راس منغاشا متقرباً الى الجنوب فاعتقد الايطاليون لذلك انه تم لهم أمر الاستيلاء على تيغري باحتلال هاتين البلديتين وأخذوا يرتبون أمور المدينة ويديرون دفعة الحكم فيها . وأما أمراء تيغري مثل راس الولا وراس اوتالو وغيرهم فانهم كانوا انسحبوا الى الجنوب بقصد أن يحشدوا الجنود ويستكملوا العدة . وبينما كان الجنرال باراتييري يدخل الى (روما) عاصمة ايطاليا حيث طلب اليها بأمر من حكومتها في شهر تموز (يوليو) دخول الظافر المنتصر بين تهليل الجوع وتصفيق الناس وبينما كانت تؤدب له المآدب الفخيمة يشرب فيها الشامبانيا على نخب انتصاراته كان الاحباش مشتغلين ومجدين في اعداد ما يلزم من المعدات لاسترجاع بلاد آباءهم وأجدادهم من يد هؤلاء الفاتحين المستعمرين لما كمل عدد جنود راس منغاشا وعدده انضم الى فرقتي راس ولا وراس ميكائيل واحتشد الجمع كله جنوب بحيرة (اسقياني) . ولما انتهى هذا الخبر الى روما صدر الامر الى الجنرال باراتييري بالسفر في الحال الى افريقيا ولما وصل الى محل وظيفته رأى من الصواب مدهامة الاحباش وفل جمعهم لذلك أمر بحشد الجنود في اديفرات ولما تم اجتماع الجنود في المدينة المذكورة وجه على معسكر راس منغاشا في ٤ تشرين اول (اكتوبر) حملة مؤلفة من أربع اورط من المشاة واورطة من حملة القراينات وفصيلة من المدافع وقطعت هذه الحملة جبل (دبرا ايلله) الصعب المسالك فوصلت في التاسع من الشهر المذكور الى حيث يجتمع جنود تيغري الاحباش فبدأت الحملة بمهاجمته وأصلتهم حرباً عواناً ولم يمض قليل من الوقت حتى انزحر الاحباش وولوا منهزمين تاركين كثيراً من المواشي والذخائر في القتال غنيمة للايطاليين .

ان تقهر الاحباش هذا أمام الايطاليين في (دبرا ايلله) لا يعد انتصاراً وليس له أقل أهمية ولكنه جراً للجنرال باراتييري فأصدر أمره بتتبع آثار الاحباش وقسم قواه الى قسمين سار سيراً حثيثاً ليلحق بالاحباش ولكن القسم الكبير من الجيش الايطالي لم

يقدر على اللحاق به فقسم قواه الى أقسام صغيرة ووزعها على الاطراف. وفي النهاية اجتمع الايطاليون كلهم في امبا الايجي حيث يسجن راس سابات منذ خمس سنين فأخلوا سبيله ولما رأى نفسه حرّاً خارج السجن أظهر مزيد ارتياحه من حضور الايطالين الى هناك ولكننا سنرى بعد سنة واحدة انه انضم هو وجنوده الى راس منغاشا. ان هؤلاء الامراء الاحباش يشبهون الاخوة الذين يتخاصمون كل يوم عدة مرار ثم يتصالحون وليس للحروب الداخلية التي تقع بينهم أهمية وكأنهم يعتبرون تلك الحروب كالتمارين والالعب الوطنية أو كعبة الشطرنج. اذ بينما تراهم يحارب بعضهم بعضاً تجدهم اذا أتاهم عدو من الخارج عادوا اخواناً متحايين متحدين كأنهم رجل واحد أما الايطاليون فانهم لما لم يروا اقل مدافعة من الاحباش في تعقبهم لهم هذه المرة أيضاً حكموا بأن البلاد صارت اليهم وأخذوا ينظرون الى تيغري كأنها من مستعمرة اريتره الطليانية ولم يخطر في بالهم أن هناك أسداً راجضاً يتهماً ويستكمل العدة ويحشد الجنود للوثوب عليهم الا وهو منليك الثاني الموجود في (شوا) كما ان راس ماكونن الذي كان يظهر الحب والميل للايطالين كان من جهة أخرى يطرد تجارهم وجاليتهم من (هرر)

هزيمة امبا الايجي

كان جيش الراس ماكونن الذي كان بمثابة مقدمة جيش منليك معسكراً على ساحل بحيرة اسيانفي. ولما بلغ هذا الخبر الجنرال الايطالي أصدر أمره الى البيكباشي توسللي بالمسير بألفين وخمسمائة من الجنود المشاة وبضعة مدافع الى معسكر الراس ماكونن المشار اليه لمنع أولاً الاحباش من التقدم الى الأمام ثانياً ليستكشف حال القوى الحبشية النازلة على ساحل البحيرة المذكورة وثالثاً ليعطي الوقت الكافي للقائد حتى يتمكن حشد قواه العمومية في (اديفرات) وصلت هذه المحلة الى هضبة امبا الايجي وظلت معسكرة هناك وفي اليوم الثالث لوصولها هاجمها الاحباش واشتبك القتال بين الفريقين وقد كان البيكباشي توسللي اجتهد أن يحافظ على خط رجعته ليجعل الطريق

الذي سيصل اليه الجنرال اريمرندي بالمدد آمناً ولكن هذا المدد لم يصل اليه فسقط اكثر الضباط الايطاليين بين قتلى وجرحى حتى فقدت الصفوف اكثرهم . فلما رأى القائد ذلك أصدر أمره الى اليوزباشي ريسس بالهجوم بفصيلته على الاحباش فهجمت هجمة شديدة جداً وأخذت المدافع تحميها من وراء أظهرها وتلقي الرعب والفناء بين صفوف الاحباش الذين كانوا كلما نقص عدد من جنودهم يأتون بغيرهم في الحال ويدافعون مدافعة الابطال بلا مبالاة بنيران الايطاليين الشديدة وبما ينالهم منها من الموت الزوأم . وفي الساعة الحادية عشرة قبل الظهر على الحساب الافرنكي سارت فصيلة تحت قيادة الراس الولا لقطع خط الرجعة على الجنس الايطالي . ولما رأى توسلي ذلك اضطر للتقهقر ليتمكن على الاقل من تخليص القوة الباقية لديه . ومع ذلك فان الطريق المضطر أن يرجع منها كانت محفوفة بالخطر من جهتين الجهة الواحدة وقوعها على حافة هوة عظيمة علوها ٤٠٠ متر ومن الجهة الثانية تعرض السائر فيها لنيران جنود رأس الولا الذين كانوا واقفين له بالمرصاد على قمم تلو ٥٠ متراً عن الطريق ومما زاد الطين بلة والموقف حرجاً ان الطريق كانت مزدهمة بالبعال والمجاريح والاتقال مع كل هذه الاخطار والمصاعب أخذت بقية فصيلة توسلي تمر من هذه الطريق والنيران تتساقط عليها من فوقها والهوة فاتحة فاهها من تحتها لتبتلع من يسقط من الجنود فكانت فيها خسارة الفصيلة (التابور) الطليانية عظيمة جداً

وكانت البطارية التي بقيادة الملازم مانفردى تلقي النيران من مسافة قريبة على الاحباش وأما جنود البطارية الثانية التي كانت تحت قيادة الملازم سقلا فقد ألقوا بالمدافع وبنهاتها وذخائرها وبكل لوازمها الحربية في الهوة حتى لا ينتفع بها الاحباش ولم تبلغ الفصيلة أي التابور سفح الهضبة حتى لم يبق من الستة وعشرين ضابطاً الذين كانوا يقودونها سوى ثلاثة ضباط فقط أحياء وأما البيكباشي توسلي قائد الفصيلة فانه قتل برصاصة أصابته بعد وصول فصيلته الى سفح الهضبة . والحاصل ان هذه الهزيمة كانت مفجعة وبلاءها عظيماً على الجنود الطليانية اذ لم ينج سوى ثلاثمائة شخص من

الفصيلة كلها

ونظراً لشجاعة البيكباشي توسلي وما أظهره أثناء الواقعة من المهارة والاقدام وحسن التدبير أمر الرأس ما كونه أن يدفن هذا القائد الباسل في احدى الكنائس هناك وأن يحتفل بدفنه احتفالاً عسكرياً يليق بالشرف العسكري وبقائد مثله

حصار مكلا

وصل الجنرال اريموندي بجنوده بعد واقعة امبا الاجي بمدة غير قليلة فوجد الواقعة انتهت فالتحق به المنهزمون الذين كان اكثرهم جرحى . ويقول احد ضباط الايطاليين في كتاب ألفه ان تأخر الجنرال اريموندي في الوصول وما أصاب حملة توسلي من المصائب والانهزام ناشيء عن الحسد الكامن في قلب الجنرال باراتييري للجنرال اريموندي الموما اليه حتى ان انتصار الاخير في اريفرات لم يرق في عيني الجنرال باراتييري . وفي هذه المرة استأذن الجنرال اريموندي من باراتييري ان يذهب ليمد البيكباشي توسلي ولكن لم يأذن له فاضطراً اريموندي ان يرسل امراً الى البيكباشي الموما اليه بالتقهقر ولكن هذا الامر لم يصل الى البيكباشي . ولما لم يأت اليه خبر من قبل توسلي يطمئن به عليه اخذ كل مسئولية على نفسه وقام هو وجنوده من غير اذن من القائد العام وكأ انه وصل الى امبا الاجي ليرى الحالة التعيسة التي كان عليها من نجا من ايدي الاحباش

وفي اليوم نفسه صدر الامر الى القائد الايطالي الموجود في آدووا ان ينسحب الى اديفرات بعد حرق المدينة فاضطر الضباط هناك لجلاء الاهالي عنها لتنفيذ امر القائد العام فخرج الناس الى خارج المدينة نساء ورجالاً واطفالاً تاركين بيوتهم واموالهم طعمة للنار وكان منظرهم يفتت الاكباد لما تولاهم من اليأس ولما كان يسمع لهم من البكاء والعيول حتى ان الضباط الايطاليين اتقأمين بحرق المدينة كانوا يعترفون بفضاعة هذا العمل . وبعد انسحاب الايطاليين دخلت شرذمة من جنود رأس منافشا الى (آدووا) وافرغت ما في وسعها لاطفاء الحريق لكنها لم تتوقع وأضحت المدينة

بعد بضع ساعات رماداً واطلالاً وكان الامر صدر الى الجنود الايطالية أن يسرعوا
بالانسحاب من ادووا لذلك خرجت الجنود والضباط ولم يأخذوا معهم سوى ملابسهم
التي كانت على أجسامهم فقط وما بقي من ملابس الجنود والضباط وحواءهم كلها
تركت فريسة للنار

بينما كانت هذه الوقائع تجري في ادووا والجنرال اريموندي يرتد الى اديفرات
كانت الاورطة الثالثة المؤلفة من الوطنيين موجودة في مكلا تحت قيادة البيكباشي
غالليانو . ومكلا هذه هي حاضرة ولاية (اندرتا) من مقاطعة تيغرى ومشهورة بخصب
أراضيها وكانت فيما مضى عاصمة لحكومة الرأس منغاشا وكان يتخذها الجيش الحبشي
دائماً مركزاً لحركاته الحربية . ولما احتل الايطاليون مقاطعة تيغرى أخذوا يقيمون
الاستحكامات والقلاع وعندما جرت واقعة امنا آجي كانت هذه الاستحكامات
لم تتم بعد وانما كان الايطاليون جمعوا هناك كثيراً من الزاد والذخائر . ولا يوجد
داخل المدينة آبار أو صهاريج للاستقاء يأخذ الناس ماءهم من ينبوعين الواحد شحيح
الماء وواقع خارج المدينة وقرب باب السور الكبير . والثاني واقع في محل أبعد من
الينبوع الاول . لذلك اضطر قائد الحامية هناك أن ينشئ صهراً يجمعين وملاًهما بالماء
من باب الاحتياط . وبعد مفارقة الجنرال اريموندي مكلا ببضعة أيام انقطعت
الاسلاك البرقية وتعطلت المخبرات فأرسل البيكباشي فضيلة من جنوده لاصلاح السلك
المقطوع ولكنهم رجعوا ادراجهم من غير أن يتمكنوا من عمل ما أمروا به لمداومة
الجنود الحبشية لهم قرب هضاب (ماسابوت) ولم يبق للفضيلة الموجودة في مكلا أمل
سوى الاعتماد على أنفسهم وقوتهم القليلة لانه بينما كان الجنرال بارا تيري يطلب
جنوداً من ايطاليا ويحشدتها قرب اديفرات اذ وردت في اليوم الخامس من كانون ثاني
(يناير) قوى عظيمة تحت قيادة رأس ما كونن ورأس منغاشا واحتلت الهضاب
الكائنة على اطراف مكلا وكان وصل قبل ذلك بيوم واحد الامبراطور منليك
والامبراطورة تايغو ومعهما معسكرهما الى محل يقال له (شه ليفو) قرب مكلا

وكان نفوس حاكم مقاطعة غوجام التحق بمعسكر الامبراطور . وفي اليوم السابع من الشهر وصلت الجنود بكثرة من شه ليقو وعسكرت على بعد ٨ كيلو مترات من مكلا ولما عين الايطاليون الموجودون داخل المدينة الصيوان الاحمر في وسط المعسكر علموا أن الامبراطور والامبراطورة وصلا بخيلهما ورجلها الى هنا . وفي اليوم نفسه أرسل الاحباش مدافعهم الى هضبة (انداجه زو) الكائنة على بعد ٨٠٠ متر من مكلا . وأكثر مدافع الاحباش هي من المدافع الجبلية ومختلفة العيار وبينها أربعة مدافع من طراز متراليوز و ٢٨ مدفعاً من طراز هوتشيك السريعة الطلقات التي تقذف بقنابلها الى مسافة ٣٥٠٠ متر ومن هذه المدافع يوجد دائماً خمسة مدافع في الجيش الخاص بالامبراطورة

بأشر الاحباش اليوم الحرب مع الايطاليين واكنهم لم يلحقوا بهم خسائر تذكر وفي صباح اليوم الثامن من الشهر المذكور أخذ الاحباش يقذفون نيران مدافعهم على استحكامات مكلا من ثلاث نقط مختلفة كما انهم أرسلوا قوة الى الينابيع المذكورة ومنعوا الاستسقاء منها . والماء الموجود في الصحاريج التي كان أنشأها قائد الحامية داخل المدينة كان يكفي لشرب المحصورين مدة يومين فقط . لذلك أخذت المواشي والخيل والبغال داخل مكلا تهلك من العطش . وفي اليوم التاسع قوى الاحباش مراكزهم الحربية ولم يكتفوا بنيران المدافع بل انهم هاجموا المدينة بينادقهم أيضاً واستمر القتال في اليوم العاشر والحادي عشر أيضاً بشدة هائلة . وقد تكبد قواد وأمرأ الجيش الحبشي خسائر تذكر لانهم كانوا يسرون بمقدمة الجنود المهاجمة . لذلك قتل من أمرأ واران الاحباش ٢٢ شخصاً وكان الرأس ما كورن ورأس الولا بين الجارج . وسبب هذه الخسائر الفادحة هي ان المهاجمين كانت تصيب مقدوفاتهم الاحجار والتراب (الاستحكامات) وأما المحصورون المدافعون فبالعكس كانت مقدوفاتهم تصيب بني الانسان أي الاحباش

ولما رأى الاحباش عدم امكان الاستيلاء على مدينة محصنة مثل مكلا غيروا

خطتهم الحربية وصمموا على محاصرة المدينة فزادوا عدد الجنود الموجودة عند النيايح وأرسلوا جنوداً كثيرة الى الهضاب الواقعة على أطراف المدينة لتقوية الجنود الموجود عليها . وكانوا من آن الى آن يلقون على الايطاليين بعض القنابل . وأما الايطاليون فانهم ثبتوا في مراكزهم لاقتناعهم بوصول المدد اليهم في وقت قريب

وفي اليوم الثالث عشر وصل الى مكلا رجل مندوب من قبل الامبراطور لطلب هدنة بضع ساعات تدفن بأثناؤها الموتى من الجنود فقبل قائد الحامية الايطالية ذلك على شرط أن يكون عدد الجنود التي ستقترب من المدينة محدوداً فعاد المندوب ليعرض هذا الشرط على النجاشي وأمل المحصورون أن يملأوا صهاريجهم في مدة الهدنة التي طلبها الاحباش ولكن خاب أملهم اذ لم يعد المندوب ثانياً . كان القائد يعطي لكل شخص ٧٥٠ جرام في اليوم وأما هذا اليوم فانه أنزل هذا الراتب الى ٥٠٠ جرام وفي اليوم التالي لم يعط سوى ٢٥٠ جراماً . والحاصل كانت حالة المحصورين سيئة جداً وما كان يعطي لكل شخص في اليوم من الماء سوى كأس واحدة . وفي اليوم الثامن عشر نفذ الماء فجمع البيكباشي ضباطه وبعد المداولة فيما يعملونه قر الرأي على أن يصبروا اليوم التالي من غير ماء واذا لم يأت المدد المنتظر في ٢٠ منه يعطلون مدافعهم وينسفون بالنار ذخائرهم الحربية ثم يخرجون بالقوة محترقين صفوف الاعداء فاما أن يفتحوا لهم طريقاً للنجاة واما أن يموتوا في سبيل الدفاع عن أنفسهم . وبينما كان المحصورون في اليوم التاسع عشر يستعدون للخروج في اليوم التالي اذ ورد أمر من الجنرال باراتييري بلزوم تسليم مكلا الى الاحباش . وقد أثر هذا الامر في الضباط وقائد الحامية تأثيراً سيئاً وصاروا يبكون كالاطفال

وفي اليوم التالي وصل في الساعة العاشرة الى مكلا الموسيو فلتر التاجر الطلياني وصديق الامبراطور منليك القديم المتوسط بين الامبراطور وبين الجنرال باراتييري بأمر تسليم مكلا وعقب وصوله بوضع دقائق أنزل العلم الايطالي ورفع بدلاً عنه العلم الابيض اشارة للتسليم . ثم خرج الناس يهرولون صوب النيايح من شدة ما أصابهم

من العيش . وفي ٢١ من الشهر المذكور ذهب اليكباشي الى معسكر الامبراطور للمذاكرة في طريقة خروج الجنود من مكلا فقبل من الاحباش أحسن مقابلة وأهدى اليه الامبراطور بغلاً وفرساً مع سرجهما ووعدته أن يده بألف بغل ليتمكن من الخروج هو وجنوده من مكلا و بعد الظهر بساعتين بدى باخلاء المدينة المذكورة وبينما كانت الجنود الايطالية خارجة من باب كانت جنود رأس ما كونن الاحباش داخلين من باب آخر ولما تم تسليم المدينة أنزل العلم الابيض ورفع مكانه العلم الحبشي ولما رأى الجنود الايطالية الذين كانوا خارج المدينة وقتئذٍ صعود العلم الحبشي على السارية اغرورقت عيونهم بالدمع حزناً على ضياع هذه المدينة منهم ونزل الجنود في محل يبعد عن المدينة مقدار ساعتين وانتظروا هناك حتى أتت الجنود الحبشية فقام الجميع في ٢٤ كانون ثاني (يناير) قاصدين هوازن وكانت فرقة من جنود رأس منفاشا ورأس الولا أمام الفصيلة الايطالية وفرقة من جنود رأس ما كونن وراءها وعلى اليمين والشمال فرقة من جنود الامبراطور ونفوس مقاطعة غوجام واستمروا في سيرهم هكذا حتى وصلوا الى هوازن المذكورة في ٢٩ منه فتخلف هنا الجنود الحبشية واستمرت الفصيلة الايطالية في سيرها ومعها الرأس ما كونن الى أن بلغوا مكاناً في الطريق فوقف الرأس الموما اليه وقال لقائد الفصيلة ان رضا الامبراطور بخروجهم من مكلا من غير ان يمسهم سوء كان بناء على شرط ان يرسل الجنرال باراتيري اليكباشي سلاسا الى معسكر النجاشي للمذاكرة في شروط الصلح وانه نظراً لعدم ورود اليكباشي الموما اليه الى الآن صدر أمر الامبراطور أن يؤخذ عشرة من الضباط يبقون لدى الجيش الحبشي كرهينة وبعد أن بلغ الرأس ما كونن أمر الامبراطور انتخب عشرة من الضباط ثم سمح للفصيلة بالسفر فسافرت

وأما الجنرال باراتيري فانه كان أمر اليكباشي سلاسا أن يسافر الى معسكر الاحباش ولكنه لما باغه خبر حجز منليك عشرة من ضباطه كرهن عاد واسترجع اليكباشي الموما اليه

ولعدم وفاة الجنرال باراتييري بوعده طلبت الامبراطوره تايئو ومن ينتمي اليها
اعدام الضباط الذين أخذوا رهناً وكاد ينفذ عليهم هذا الحكم ولكن الامبراطور
أمر باخلاء سبيلهم قائلاً أنه لا يجوز اعدامهم ببحريرة غيرهم . وقد أوصاهم الرأس
ما كونهن بأن يسافروا من المعسكر الحبشي في الحال وأن يفهموا الجنرال باراتييري لزوم
ارسال اليكباشي أو على الاقل ارسال الموسيو فلتر . لان هذا الرأس والامبراطور
نفسه كانا يميلان الى الصلح

وأما الضباط الايطاليون العشرة فانهم التقوا بمعسكرهم الموجود في (ماي غايتا)
بعد سير خمس ساعات ولما رأتهم التقط الامامية الطليانية أطلقت عليهم بنادقها ظناً
منها انهم احباش فقتلوا صف ضابط برتبة جاويز وبعلاً ولكن علموا فيما بعد انهم
الضباط الايطاليون الذين كانوا عند الاحباش . ويقول الضباط الايطاليون أنفسهم
ان الامبراطور منليك رجل يحب السلم ويكره سفك الدماء وقد أثبت ذلك بقبول
توسط الموسيو فلتر باخراج جنود الايطاليين الذين كانوا محصورين في مكلا
بعد ما كادوا يموتون عطشاً . ثم ان هناك أمراً يدل على دهاء هذا الامبراطور ووقوفه
على أساليب السياسة وأحوال الحرب وذلك انه لما خرجت الفصيلة الايطالية من مكلا
قام معها هو وجيشه بحجة مراقبتها تشريعاً لها ولكن تسنى له بذلك الاستيلاء على
جزء كبير من الاراضي الداخلة ضمن دائرة النفوذ الايطالي وقطع مسافة لا يستهان
بها داخل الاراضي الايطالية وهذه الحركة هي على جانب عظيم من الاهمية بالنظر
لفن سوق الجيوش وتعبئتها

وقد استغرب الجنود والضباط الايطاليون أنفسهم عدم ارسال الجنرال باراتييري
لليكباشي الى المعسكر الحبشي لعقد الصلح

ثورة عقامه

وفي ٥ شباط (فبراير) أي بعد اعادة الضباط العشرة الذين كانوا أخذوا كرهن
وصل الى معسكر الجنرال باراتييري بالبراس امانول من قبل الامبراطور منليك وأبلغه

بأن الامبراطور نقل معسكره من هوازن الى (غانداباتا) وانه سينتظر هناك ستة أيام
اعتمد الصلح . وعلى ذلك رضي هذا الجنرال العجيب أن يرسل اليكباشي سلاسا وأمره
أن يعقد الصلح على الشروط الآتية :

١ - تجديد عهد اوقسيالي

٢ - الاعتراف بالاراضي التي استولت عليها ايطاليا في المدة الاخيرة بأنهما
مستعمرة ايطالية اعترافاً تاماً

ولا يخفى أن هاته الشروط لا ترضي الامبراطور الذي يميل الى عقد الصلح
فضلاً عن الامبراطورة وحزبها . لذلك أثارت هاته الشروط التي لا تطاق غضب
الامبراطورة وأخيها رأس وليه ورأس منغاشا ورأس الولا وعلى ذلك طلب الامبراطور
من الجنرال نظير عقد الصلح أولاً - الجلاء عن الاراضي التي احتلها الايطاليون
مؤخراً . ثانياً - تعديل عهد اوقسيالي . وقد جعل النجاشي طلبه هذا بصفة انذار
نهائي وأرسله مع اليكباشي سلاسا المندوب الايطالي . ولما انتهت طلبات الامبراطور
الى الجنرال باراتييري أرسل حالاً كتاباً شديد اللهجة الى الامبراطور أخبره فيه ان
كلا من الفريقين حر في حركاته الحربية

وفي نفس اليوم الذي وصل فيه اليكباشي سلاسا الى معسكر الجنرال باراتييري
قام الرأس سابات واغوس تافاري اللذان كانا في خدمة الجيش الايطالي وتركوا معسكر
الجنرال والتحقا بجيش أبناء جنسهم الاحباش بخمسمائة جندي وقوبلا بكل تجلّة
واحترام . نعم ان انضمام خمسمائة جندي الى الجيش المحارب لايطاليا لا يعد خسارة
عظيمة على الايطاليين ولكن أهميته كبيرة جداً بسبب ما لهذين القائدين من النفوذ
في البلاد التي ستحصل فيها الوقائع الحربية . وقد حصل ذلك بالفعل اذ قام الاهالي
ضد الايطاليين وأخذوا يشنون الغارة على قوافل الجيش الحاملة للزاد والذخائر
ويهاجمون النقط الامامية للجيش الايطالي وفصائله ولقد كانت اعالة الجنود الايطالية
متعسرة جداً من قبل فكيف بها الآن لا جرم انها صارت مستحيلة لهذا اضطر

الجنرال باراتيري أن يرتد بمسكره الي هضاب (تيزالا) ولم تكن الجنود الايطالية خصوصاً التي وصلت حديثاً من بلادها معتادة على هذه المنعب والمشاق والتغذي بقليل من الدقيق مخلوط بقليل من الماء وعلى مراحل ومسافات طويلة وتسلق جبال أوعر وأصلب من جبال الالب لذلك كله نال هؤلاء الجنود تعب عظيم وتفشى الوباء بي الماشية والخيول والبغال الخاصة بالمعسكر فهلك معظمها

وأما الجيش الحبشي فانه قام بعد أن أتم معداته قاصداً (ادووا) وقد كان وقتئذ القائد العام للجيش الايطالي نازلاً بقواه على الهضاب الحاكمة على (ايتقيو) وكان يكتفي بارسال فصائل صغيرة كل يوم لاكتشاف ما حول هاته الهضاب فكانت تصادف الفصائل الحبشية الكثيرة العدد وتناوشها القتال ثم تعود من حيث أنت بعد أن تخسر كثيراً من رجالها

واقعة لنا

ومن وقائع هذه الفصائل واقعة لنا حيث ذهب الملازم سيسزني في مساء ١٤ شباط (فبراير) للاكتشاف ومعه ٦٠ جندياً ايطالياً و ٥٠ جندياً من الوطنيين . وبينما كان يتسلق هو وجنوده سفح هضبة وعرة في اثناء عودته للعودة الى المعسكر اذ داهمهم جند الاحباش وأخذوا يرمونهم بوابل من رصاص البنادق واستمر كذلك حتى خيم الظلام وقتل كثير من جنوده . ولقد سمع صوت البنادق من اديفرات فأرسل مدداً مؤلفاً من ٣٥ جندياً ايطالياً بقيادة الملازم قونسيلي ولكنهم لشدة الظلام لم يهتدوا للمكان الذي كان فيه رفيقهم الملازم سيسزني واضطروا ان يقضوا الليل كله في الجبال وفي الصباح صادفوا فصيلة حبشية فاشتبك القتال بينهم وبينها فأبيدت الفصيلة الايطالية عن آخرها

أما الملازم سيسزني فانه لم يعلم بالمدد الذي جاءه الا لما سمع صوت طلقات البنادق فأراد ان يمد اخوانه ولكن رأى فصيلة حبشية مؤلفة من ٥٠٠ جندي أخذت

تحيط به فخشي ان ينقطع عليه خط الرجعة فأمر جنوده بالتقهقر ولما وصل الى اديفرات لم يكن بقي معه من جنوده الا بضعة أشخاص والباقي ذهب فريسة لنيران الاحباش

واقعة اله فا

قام الملازم سيمينيو من اديفرات في ١٦ شباط (فبراير) ومعه ١٠٠ جندي من المشاة للاتحاق بالمحافظين على قافلة كبيرة تحمل ذخائر حربية. ولما وصلت هذه الفصيلة الى (اله فا) التقت بفصيلة الملازم نيفرتي الايطالي وانضمت اليها وبعد قليل ظهر نابور من الجنود الحبشية، وولفأ من ١٠٠٠ جندي فأحاطوا بالفصيلتين الايطاليتين وقتلوا كل رجالها وكان الملازمان سيمينيو ونيفرتي بين القتلى .

وانتهى خبر مهاجمة الاحباش للفصيلتين المذكورتين الى المعسكر الايطالي فقام في الحال اليرزباشي موقوغاتا ومعه ١٤٠ جندياً لنجدة الفصائل ولكنه لم يكديصل الى محل الواقعة الا وكانت الحرب انتهت على ان الاحباش لما رأوا هذه الفصيلة هاجموا من كل جانب فاضطرت للتقهقر وكادوا يبددونها عن آخرها اذ لم ينج منها سوى ثمانية جنود والضابط تاسعهم . أما القافلة فانها وقعت كلها بيد الاحباش . وهنا يجب ان نقص عليك حكاية حدثت في اثناء هذه الواقعة وهي نموذج للشجاعة والوفاء من ضابط وجندي :

بينما كان القتال مشتبكاً أحاط نفر من الاحباش بضابط برتبة ملازم يسمى قابوتو وطلبوا منه ان يسلم نفسه ولكن الضابط أبى ذلك وقتل بمسدسه ستة من الاحباش ثم أصابته رصاصة ألقته صريعاً على الارض . وظن الاحباش انه قتل ولكي يتأكدوا من ذلك أحرقوا رجله بالنار ثم انصرفوا . أما الضابط فانه كان أغمى عليه من جراحه ولما أفق من انغمائه وجد نفسه بين ذراعي جندي حبشي فنظر في وجهه فعرفه . وقد كان هذا الجندي الحبشي دخل متطوعاً في الجيش الايطالي حيث ألحق بفصيلة هذا الملازم . فلما انتهت هذه الواقعة وانصرف الاحباش عاد الجندي الى محل الواقعة

وأخذ يداوي الضابط المداواة الأولية البسيطة حتى أفاق من اغمائه ثم حمله على ظهره وذهب الى المعسكر الايطالي . فما أعظم هذا العمل وما أشرف نفس هذا الجندي البسيط الذي بعد أن أدى وظيفة الجندي مع سائر مواطنيه في ساحات القتال أدى بعدها وظيفة الانسانية وحق الوفاء والصداقة والمعرفة القديمتين فبورك بهذا الاحساس الشريف . وبورك بهذا الانسان الكريم

وفي ١٧ شباط (فبراير) قام الجنرال باراتييري من معسكره مستصحباً معه ثلاثة اورط (توابير) للاستكشاف بنفسه فرأى الجيش الحبشي نازلاً في سفوح جبل (سيله سيت) البعيد عن محل المعسكر الايطالي بخمسة عشر كيلومتراً فلم يستنسب مهاجمة الاحباش في هذا المحل وأمر أن تغير القوافل الآتية الى معسكره طريقها وان تأتي من الآن وصاعداً عن طريق (ماي — مارات — دبرا — دامو) وما كان يعلم الجنرال ان هذا الطريق هو اكثر خطراً وتهلكة من الاول لان الراس سابات كان نازلاً هو وجنوده في الهضاب المشرفة على هذا الطريق

يوجد في هذا المكان دير للاحباش مبني على هضبة (امبادامو) وهو مشهور عند الاحباش وأراضي (دامو) هذه مؤلفة من ستين قرية فيها ٤٠٠ عائلة وكل هذه القرى هي ملك للدير المذكور فيمتلك كل راهب من الرهبان قرية من القرى المذكورة بما فيها من الارض والسكان والمواشي والرهبان تابعون في أحكامهم لرئيس دير ناحية (دامو) والدير المذكور للجنادة العتاة وقطاع الطرق لانه مقدس يحرم دخول رجال الحكومة فيه اي انه فوق احكام القانون والحكومة . والهضاب التي تسمى (امبا) في بلاد الحبشة هي عبارة عن هضبة تكتنفها من كل جانب صخور شامخة واقفة كالعمد او كالجدران حيث يستحيل الصعود الى القمة الا بطريق ضيق لا يمر منه الا الحيوان من الماعز والغنم . وأما القمة فانها عبارة عن سهل منبسط وأرض مخرصة منبتة . اذن فهذه الهضاب هي حصن منيع طبيعي اذا تحصنت فيه فصيلة صغيرة تتمكن من القاء الفشل في صفوف قوة كبيرة وتجعل مركزها من أخرج المراكز .

ومن الهضاب التي رأيتها في المملكة العثمانية وتشبهه هذه الهضاب الهضبة المبني عليها قلعة وان فانها واقعة في أعلى الهضبة الكائنة في وسط سهل واسع الارحاء وليس لها سوى طريق واحد ضيق . والناظر من أعلاها يرى المدينة كأنه ينظر من أعلى أبراج الحريق الى الاستانة

ويوجد على هضبة (امبادامو) صخرة جسيمة قائمة كعامود مبني عليها الدير ولا يتمكن الانسان من الصعود الى الدير الا بواسطة الجبال وكذلك النزول لان ارتفاع الدير عن سطح الامبا ٣٠ متراً وللدير خدم مكلفون باصعاد من يريد الصعود اليه بالجبال . ويوجد في هذا الدير ٦٠ راهباً ومائتاً من صهرج شيد في البدء . ولهذا الدير حكاية في سبب بنائه لسنا في صدد ذكرها هنا

وبالجملة فان أطراف الدير وجواره اكثر خطراً على القوافل من الطريق القديم كما مر ذكره . لذلك أمر القائد العام الايطالي الميرالاي سنه فاني الموجود في مواقع (ماي مارات) ان يحتل هذه الامبا بالالاي المسمى (بنه رغانيه) فلما وصل الميرالاي الى دير ادامو استحضر رئيس الدير وأبقاه عنده رهينة يدفع بها تعدي الالهالي على الجنود الايطالية هذا من جهة ومن جهة اخرى كي هذا الرئيس يساعد الاحباش للوصول الى الهضبة

وفي ٢٦ من الشهر المذكور هاجم الميرالاي سنه فاني معسكر راس سابات واضطره لاجلاء مواقعه والتقهقر وبذلك تمكن من فتح خط حركات الجيش الايطالي وأمن الطريق الذي تأتي منه القوافل الحاملة للذخائر والمؤن للجيش الايطالي ولوم يتوقف الميرالاي لذلك لكان الجيش الايطالي اضطر أن ينسحب الى (آدي قابا) او الى اسمر

ولما رأى الاحباش ذلك سحبوا جنودهم النازلة على نهر مارب وحودوها فيما وراء (ادوا) ليحجروا الايطالين اليهم

واقعة (أدووا)

وبينا كان الجنرال باراتييري يستعد الانسحاب من سوريا الى ادبفرات اذورد عليه رسالة برقية من ايطاليا تنبيء بقيام الجنرال هوش من نابولي ومعه فرقة كاملة وبضع توابير قاصداً مصوع . أخبرت الحكومة الايطالية الجنرال عن سفر الجنرال هوش الموما اليه وأنا أخفت عنه اقالته من القيادة وتعيين الجنرال بالديسرا مكانه منذ ٢٣ حيث قام بعد من برنديزي قاصداً محل وظيفته . ولكن خبر هذا التعيين شاع في ٢٧ من الشهر بين الضباط في اسمرأ وكان وقتئذ الجنرال باراتييري في سوريا بعيداً عن اسمرأ ولا يعلم ان كان بلغه هذا الخبر ام لا . ولم يشأ هذا الجنرال انتظار وصول الجنود التي سافرت من نابولي بل انه ألف مجلس مشورة من قواده واركان حربه وتفاوضوا في التقهقر او الهجوم على الاحباش وأيهما الافقى . فكانت نتيجة المذاكرة والمداولة ان قرروا الهجوم على الاحباش

وفي ٢٩ الشهر بلغ الجنرال باراتييري من الذين كان أرسلهم للكشف عن مواقع الاحباش ان القسم الصغير من جيش الحبشة وعدده عشرون الفاً نازل في سهل (أبا عزيمة) وان القسم الكبير المؤلف من مائة الف جندي معسكر فيما وراء (أدووا) وعلى ذلك قرر القائد العام الهجوم على معسكر الاحباش فاصدر أمره بسفر جميع القوى الايطالية في مساء اليوم المذكور . فكان فكر القائد العام ان يفاجيء بجيشه في سحر اليوم التالي معسكر الاحباش ويأخذه على غرة

واليك مقدار قوى الجنرال باراتييري حسب ما ذكرها الضباط الايطاليون
١ — اللواء المؤلف من الجنود المتطوعة من الاهالي تحت قيادة الجنرال أبرتون :

٤ اورط من الجنود المتطوعة الاهلية ٣٧٠٠ بندقية

جنرد الرئيس الوطني المسمى او قوله قوساني ٣٧٦ »

| | | |
|-------|---|-------------------------------|
| مدافع | ٦ | بطارية من المدفعيين الوطنيين |
| » | ٨ | بطاريتان من المدافع الايطالية |

٢ — لواء المشاة وقائده الجنرال دابورميديا :

| | | |
|--------|------|---------------------|
| بندقية | ٢٦٤٠ | ٦ اورط جنود ايطالية |
| » | ٦٥٠ | ١ اورطة وطنية |
| » | ٢١٨ | جنود اسعرا |
| مدفع | ١٨ | ٣ بطاريات ايطالية |

٣ — لواء المشاة وقائده الجنرال آلينا :

| | | |
|--------|------|---|
| بندقية | ٢٩٣٠ | ٦ اورط جنود من المشاة الايطالية |
| » | ١١٥٠ | ١ اورطة من الجنود المتطوعة الاهلية مشاة |
| » | ٧٠ | نصف فصيلة من جنود المهندسين |
| مدفع | ١٢ | بطاريتان من المدافع الايطالية |

٤ — لواء المشاة وقائده الجنرال اريموندي :

| | | |
|--------|------|---------------------------------------|
| بندقية | ٢٢٧٣ | ٥ اورط من المشاة الايطاليين |
| » | ٢٣٠ | فصيلة واحدة من الجنود المشاة الاهليين |
| مدفع | ١٢ | بطاريتان من المدافع الايطالية |

واذا أضفنا على القوى المذكورة آنفاً خمسمائة ضابط وخمسمائة من جنود الجاندارمه وغيرها يكون مجموع الجنود الايطالية ١٦٥٠٠ محارب فقط

قامت هذه الحملة الايطالية قاصدة معسكر الاحباش النازل قرب آدروا في ٢٩ شباط (فبراير) ١٨٩٦ في الساعة التاسعة مساءً على الحساب الافرنكي وأخذت تحت السير تحت نور القمر الذي كان بدرأً وجعلت مسيرها على طريق (صور يابوني) مارين بسهل (اتى سبفو) وجبال (ججا) ذات الحزون الكثيرة والمعارض

والمنحدرات فكان الجنود في بعض الاوقات يضطر ان يأخذ بعضهم بيد بعض
ليتمكنوا من السير. وكان لواء الجنرال البرتون في المقدمة وبعده ألوية الجنرالين
اريموندي ودابورميديا وكان لواء الجنرال آينا يسير في المؤخرة. قطعت هذه الحملة
ثمانى ساعات ذاقت فيها أنواع المشاق ووصلت مع بزوغ الفجر الى محل يسمى
(ربي ارين) حيث التقت بالقائد العام الايطالي وباركان حربيه . وهنا تغيرت
الترتيبات الحربية وصار ترتيب صفوف الجنود على الوجه الآتي :

على لواء البرتون ان يسير الى الامام عن طريق شيدان ورننا مع لوائين آخرين
وان يحتل نقط (ربي اريني) و (رابو) وعلى لواء آينا الاحتياطي ان يحتل جهة
الشمال الشرقي من (ربي بوني) التي سيجعل القائد العام مقره فيها . وقد قامت هاته
القوى بما أمرت به واحتلت النقط المذكورة ونزل لواء البرتون على يسار جبل (رابو)
كما ان الالوية الثلاثة الاخرى نزلت وراء هذا الجبل . وأما الجنرال البرتون فانه
ارسل الاورطة الاولى والثانية المؤلفة من الجنود الوطنيين المشاة الى الامام تحت
قيادة البيكباشي تورينو الى ادووا . ووصلت هذه الاورطة بغتة في الساعة السادسة
صباحاً الى امام معسكر الاحباش وأخذت تقذف نيرانها على الاحباش الذين جاوبوها
بالمثل ثم هاجمها مهاجمة شديدة فلم يمض من الزمن الا القليل حتى بادت الاورطة
عن آخرها ولم ينج منها ولا رجل واحد وواصل الاحباش هجومهم الى لواء البرتون
الذي كان سائراً وراء اورطة نوريتو المذكورة فدافع هذا اللواء دفاعاً شديداً ولكن
جموع الاحباش أخذت تزحف عليه من كل صوب كأسراب الغل فأحاطوا باللواء
المذكور . وفي الساعة السابعة ارسل الجنرال البرتون يطلب مدداً من القائد العام ولكن
كتابه لم يصله الا في الساعة التاسعة وعلى ذلك امر الجنرال باراتييري ان يسير اللوائين
الآخرين الى الامام لتعزيز قوى البرتون وامداده فسار الاول تحت قيادة جنرال
بورميديا ولكنه ضل عن الطريق الموصل الى مقر الجنرال البرتون ومشى في وادي مريم
وسافيتو وبذلك انفصل عن الجيش انفصلاً تاماً . أما اللواء الثاني فانه سار قاصداً

جهة اريسن فوجد جميع الاحباش احتلوا جميع المضاب الواقعة في الجهة المحاذية للقوى الايطالية

أما الجنرال البرتون فانه ظل يقاوم الاحباش ويكافحهم مدة حتى نفذت قواه وتكاثرت عليه الجموع فتقهقر منهزماً بمن بقي من لوائه شر هزيمة ومع ذلك فان الجنود الحبشية لم تتركهم بل ثبتت آثارهم وشبعتهم ضرباً وطعنات حتى فنى جميع الضباط ووقع الجنرال البرتون نفسه بين ايدي الاحباش

هذا ما كان من امر الجنرال البرتون وأما الجنرالان اريموندي والهنا فان الاحباش احاطوا بلوائهما ايضاً احاطة السوار بالمعصم واختلط الجيشان اختلاط الحابل بالنابل حتى أدى الكفاح الى التماسك بالايدي والتضارب بالسلاح الابيض حتى وصل الامر الى أن هذين الجنرالين عجزا عن جمع جنودهما بأية وسيلة كانت والتقهقر بهم الى الوراء تخلصاً من فتك الاحباش بهم. وكانت خسائر الايطاليين عظيمة جداً خصوصاً جنود الطوبجية وبالاخص ضباطهم الذين لم يتمكنوا من استعمال مدافعهم ولم يشاؤوا تركها بين ايدي أعدائهم فماتوا جميعهم في سبيل الدفاع عن بطارياتهم وقد كان مع الايطاليين ٥٦ مدفعاً فوق وقع منها ٥٤ غنيمه في ايدي الاحباش وتمزقت صفوف الجنود الايطالية شذر مذر ولم ينفع ما بذله الضباط من السعي في تخفيف وطأة الهزيمة هذا وقد قتل الجنرال اريموندي وكثير من الضباط ومما زاد خسائر الايطاليين تسلط الاهالي عليهم اثناء تقهقرهم. هذا ما اصاب لواء البرتون الذي باد عن آخره ولواء اريمرندي الذي انهزم شر هزيمة. وأما لواء بروميدي الذي كان ضل الطريق وانفصل عن باقي الجيوش فانه بينما كان سائراً في وادي مريم وصافيتو صادف فرقة حبشية قشبت بينه وبينها الحرب فألجأها الى التقهقر حتى اوصلها الى الوادي ولكنه في الساعة الثانية ونصف بعد الظهر وجد نفسه بغتة امام الجيوش الحبشية المطاردة للقوى الايطالية الاخرى المنهزمة. وقد قاوم الجنرال بروميدي هذه القوى الهائلة بشجاعة نادرة لكنه غلب على امره وقتل هو واكثر ضباطه والتي الفشل في صفوف لوائه

فانهزمت الجنود وتشتت هذا اللواء ايضاً وأصابه ما أصاب لواء الجنرال اريموندي وفرّ من نجا من الموت الى جهة (آدي اورجي) وأخذ الاحباش يتبعون آثار المنهزمين طول النهار . وفي المساء جمع بعض الذين نجوا من مخالب الموت ما بقي من الجنود الايطالية وعادوا الى اسمرأ . وأما القائد العام الجنرال باراتيري فانه كان يشاهد من الهضبة التي كان اتخذها كمقر له ما أصاب جيشه من الهزائم والمصائب ولما تم القضاء على الجيش كله عاد في المساء الى اسمرأ عن طريق (انتشيفو) وقد احصى خسائر الايطالين في هذه الوقائع فوجد انها تزيد على سبعة آلاف شخص بين قتيل وحرج . أما هذا الجنرال اي القائد العام فقد حوكم فيما بعد أمام مجلس حربي ولكنه خرج بريء الساحة

وبعد انتهاء الحرب عقد الامبراطور منليك مجلساً مؤلفاً من الرؤوس لتعيين العقاب اللازم ايقاعه بالاسرى الوطنيين الذين هم من اهل البلاد وخدموا بالجيش الطلياني . وأراد الامبراطور المحبول على الرحمة والشفقة ان يكون عقاب هؤلاء خفيفاً ولكن بناء على اصرار الامبراطورة والرؤوس فقد تقرر معاملتهم معاملة خائن الوطن وصدر الحكم عليهم بقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى حسب المادة التي تنص عن خائن الوطن من قانون (فتا نفوس) ونفذ هذا الحكم فيهم في الحال . وأما الاسرى من الايطالين فان البعض منهم ألحقوا في خدمة أكبر الجيش كهادة هذه البلاد كانت نتيجة هذا الانهزام ان دفعت ايطاليا الى الجيش غرامة حربية عظيمة وتخلت عن جميع المواقع والبلاد التي كانت احتلتها في مقاطعة تيغري



يوم الاربعاء ٧ تموز (يوليو)

وصلنا اليوم الى السويس فودعنا ربان البارجة وسائر الركاب وخرجنا الى البر
حيث نزلنا في فندق قوتينا تال الواقع على الترعَة

يوم الخميس ٨ منه

سافرنا اليوم من هنا على قطار الساعة الواحدة بعد الظهر عن طريق الاسماعيلية
ومنها الى الاسكندرية أقمنا يومين وفي يوم السبت ركبنا الباخرة چنجاچيف
الروسية قاصدين الاستانة العلية فبلغناها بعد ظهر يوم الجمعة الموافق ١٦ تموز (يوليو)
وبذلك تمت رحلتنا التي استغرقت ثلاثة شهور كاملة



مشاهير الاحباش

لقمان الحبشي

وهو مشهور بفرط التعقل والحكمة وقد أشار الله في القرآن الكريم الى مواظب لقمان الحبشي التي ألقاها على ابنه . وقد اتخذ بعضهم حكماً لقمان دليلاً على نبوته ولكن أغلب المفسرين قالوا ان هذه الحكمة هي بلاغة وفصاحة لسان وأثر من آثار العقل والفضل واصابة الرأي . والحقيقة انه مختلف فيه هل هو نبي أو ولي . والقول الاخير هو الأرجح وقد روى بعض المحدثين منهم ابن مردويه باسناده الى أبي هريرة وابن عساکر باسناده الى عبد الرحمن بن يزيد وجابر أن لقمان حبشي

بلال الحبشي مؤذن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

كان مولى عبد الله بن جدعان في مكة المكرمة وقد أسلم على يدي النبي عليه الصلاة والسلام ولذلك كان سيده يعذبه انتقاماً منه ولما بلغ هذا الخبر أبا بكر الصديق اشتراه من عبد الله وأعتقه لوجه الله . وبلال الحبشي ممن صاحب سيدنا محمد وكان يؤذن بالصلاة بين يديه وقد روى عنه أحاديث عديدة ووجد مع الرسول صلى الله عليه وسلم في أغلب غزواته . ثم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ذهب مع الحبشي الذي أرسله عمر رضي الله عنه في زمن خلافته لفتح الشام واستقر في دمشق بعد فتحها واتخذها مقاماً له وفيها توفي عن عمر ناهز الستين ودفن في مقبرة الباب الصغير . وقبره معروف الى يومنا هذا يزوره الناس ويتبركون به رضي الله عنه وعن جميع الصحابة الكرام

مهجع الحبشي

كان مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد أسلم وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وحضر واقعة بدر وقتل فيها

نفيح بن مروح الحبشي

هو مولى الحرث بن كلدة الثقفي ولما حوصرت الطائف كان نفيح فيها فتدلى من السور بجبل وبكرة وذهب الى الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلم وتشرف بصحبته وقد أطلق عليه لقب أبو بكرة نسبة للبكرة التي استعملها عند نزوله من سور الطائف وقت الحصار . وقد بقي نفيح رضي الله عنه على الحياض في واقعة الجمل ولم يشترك بالحرب مع أحد المتقاتلين . وتوفي في البصرة سنة ٥٦ ودفن فيها وله من العقب ولدان الواحد يسمى عبد الله والآخر سليم

شقران الحبشي

وأصل اسمه صالح بن عدي ولقبه الشقران . كان في بادئ الامر مولى عبد الرحمن بن عوف واشتراه فيما بعد النبي عليه الصلاة والسلام وأعتقه عقب واقعة بدر وقد حضر هذا الصحابي رضي الله عنه وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كما انه كان من جملة الذين قاموا بتكفينه وتجهيزه ودفنه . وقد استمرت ذريته موجودة الى زمن الخليفة هارون الرشيد العباسي

ذو معجر الحبشي

هو ابن أخي أصحمة نجاشي الحبشة وقد كان بين الاثنين وسبعين حبشياً الذين حضروا من الحبشة مع سيدنا جعفر . وكان لهذا الصحابي حب للنبي صلى الله عليه وسلم وملازمة له كان يظن انه أحد مواليه وما كان يفارق النبي ولا لحظة واحدة بل كان دائماً في خدمته الشريفة . وقد روى بعض الاحاديث وتوفي في دمشق في الستين من عمره

ذو مهدم الحبشي

وهو أيضاً من الاحباش الذين أتوا مع سيدنا جعفر وتشرفوا بصحبة النبي وقد كان هذا الصحابي يومئذ في قصائده التي ينشدها أمام النبي ان أصل الاحباش من أولاد هود الذين مروا من جزيرة العرب الى الساحل الافريقي

خالد بن رباح الحبشي

هو أخو بلال الحبشي المار ذكره وقد كان توطن في قرية داريا قرب دمشق الشام

ذودجن الحبشي وغيره

هو من الاحباش الذين أتوا مع سيدنا جعفر وقد صحب النبي أيضاً ومن الذين أتوا مع جعفر من الحبشة وتشرفوا بصحبة النبي ذو مناصب الحبشي وخالد بن الحواري الحبشي

أسلم الحبشي

كان عند أحد يهود خيبر في أيام حصار هذه المدينة وقد وفد أثناء الحصار على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم اشترك في قتال خيبر وقتل وكان بين اظهار اسلامه ووفاته ساعتان فقط

يسار الحبشي

كان عند رجل من يهود خيبر يقال له عامر فأسلم وقتل أثناء الحصار أيضاً

وحشي بن حرب الحبشي

كان قبل اسلامه مولى جبير بن مطعم . وقد كان بين المشركين في واقعة أحد وهو الذي قتل سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ووفد بعد ذلك

على النبي في المدينة المنورة وأسلم هناك وهو الذي قتل في خلافة أبي بكر الصديق
مسيمة الكذاب الذي ادعى النبوة في اليمامة

عاصم الحبشي

مولى زراعة الشفري وقد أهداه سيده الى النبي صلى الله عليه وسلم

ناثل الحبشي

وهو أبو ايمن أحد الصحابة الكرام ورواة الحديث

لقيط الحبشي

من موالي النبي عليه الصلاة والسلام

يسار الحبشي

القائم بكمنس المسجد النبوي وأمر نظافته . وروى أبو هريرة ان النبي أتى
على يسار أمامه

جعال الحبشي

هو من الذين حضروا غزوات النبي وقتلوا في أحداها

ابرهة بن صباح الحبشي

والدة هذا الصحابي هي بنت ابرهة الاشرم صاحب الفيل المشهور وملك اليمن .
وكان ابرهة بن صباح من رجال أصمحة نجاشي الحبشة فوفد على النبي هو وسبعة من
رفاقه ودخلوا في الاسلام

اسلم ابو خالد الحبشي

مولى سيدنا عمر بن الخطاب وقد روى أحاديث كثيرة عن كثير من الصحابة
الكرام وكان أطول الصحابة عمراً لانه بلغ من العمر ١١٤ سنة وتوفي في زمن مروان
بن الحكم

أيمن الحبشي

أبو عبد الواحد ومولى عبد الله بن عمرو الخزومي وقد روى عن جابر بن عبد الله الانصاري

أنجشه الحبشي

لقبه أبو ماريه وهو من الذين نالوا شرف الصحبة وقد حضر حجة الوداع مع فخر الرسل سيدنا محمد وكان يلازمه أين ما ذهب ويحدي في الطريق للجمال لتسير بسرعة . ويوجد كثير من الاحباش غير الذين ذكروا ممن نالوا صحبة النبي ولكن لم تحفظ أسماءهم

وهذه أسماء الصحابيَّات المطهرات من الحبشيات :

بركة ام ايمن الحبشية

جارية سيدنا عبد الله بن عبد المطلب وهي التي قامت بخدمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد ولادته وتربيته حتى شب وقد أعتقها سيدنا محمد بعد زواجه بالسيدة خديجة رضي الله تعالى عنها وكان يحبها كوالدته ويقول ذلك أمام الناس وبعد عتاقها زوجها النبي صلى الله عليه وسلم من زيد بن حارثة أحد مواليه فولدت له اسامة بن زيد . وقد كان سيدنا محمد يتردد كثيراً الى منزل بركة ام ايمن لزيارتها كذلك كان الخلفاء الاربعة بعد وفاة النبي يزورونها اتباعاً لما كان سنه النبي على نفسه من زيارتها

سعترة الحبشية

هي من اماء بني أسد وقد ألم بها مرض فأتت وشكت ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فدعى لها بالشفاء

بركة الحبشية

هي أمة أم حبيبة محدى زوجات النبي وقد جاءت معها من الحبشة

غفيرة بنت رباح الحبشية

أخت بلال الحبشي مؤذن الرسول عليه الصلاة والسلام

نبعة الحبشية

هي أمة أم هانئ إحدى زوجات الرسول وبنت أبي طالب . وقد كانت في

خدمة النبي عليه الصلاة والسلام

واليك أسماء بعض التابعين والتابعات من الاحباش :

عبد الله الحبشي

هو ابن النجاشي اصمحه المعاصر للنبي صلى الله عليه وسلم وقد ولد في الحبشة
وسماه جعفر باسم ابنه عبد الله الحديث الولادة . وقد أرضعته زوجة جعفر الموما اليه
ولما شب عبد الله بن جعفر وعبد الله الحبشي أحبا بعضهما وكانت المودة بينهما متبادلة

حميس الحبشي

ذكره بعض المؤرخين في عداد الصحابة الكرام والبعض ذكره في عداد التابعين

الفقهاء عطاء بن رباح الحبشي

وهو مولى أبي مسرة الفهري وكان من أجلة الفقهاء والزهاد . وقد روي عنه
أحاديث كثيرة . وكان مفتي مكة المشرفة في زمانه . وقد أثنى الامام أبو حنيفة
والحسن البصري والامام ابن مالك عليه . وكان سليمان بن عبد الملك الخليفة الاموي
يحضر حلقة درسه هو وابنه الذي كان من جملة تلاميذه . وتوفي في مكة سنة ١١٤

وهو في التسعين من عمره قضاها بنشر العلم والتعليم

أبرهة الحبشية

وهي أمة اصمحة النجاشي وقد كانت واسطة للمخابرة بين النجاشي المشار اليه
وبين حبيبة أم المؤمنين . ولما تم أمر عقد نكاح أم حبيبة على النبي أهدتها أم حبيبة

هدايا فاخرة فلم تقبلها

وهذه أسماء الصحابة الكرام الذين ولدوا من حبشيات :

أسامة بن زيد

أشهر شعراء العرب ومن أحفاد امرؤ القيس المشهور . والدته بركة أم أيمن مربية النبي عليه الصلاة والسلام . وتوجد أحاديث كثيرة تدل على عظم محبة النبي لأسامة وقد ولاه قيادة الجيش الذي سيره الي الشام وكان وقتئذٍ عمر أسامة ثمانى عشرة وقد سقط أسامة يوماً فخرج وجهه وقام النبي بمعالجته حتى شفي كما انه أردفه مرة وراءه على الفرس التي كان راكباً عليها

ولم يحضر أسامة حروب علي رضي الله عنه لانه كان حمل مرة على أحد المشركين فلما رأى المشرك ذلك نطق بالشهادتين ومع ذلك ضربه أسامة ضربة قضت عليه فوبخه النبي على فعله هذا . وقد روى أبو عثمان الهندي وعبد الله بن عبد الله وكثير من المحدثين أحاديث كثيرة بالاسناد الى أسامة وقد مات سنة ٥٤ من الهجرة في محل يسمى الجرف قرب المدينة المنورة ودفن في المدينة

أيمن بن عبيد بن عمرو

ابن بركة الحبشية السابق ذكرها وهو أخو أسامة من والدته وكان موثقاً باحضار ما يلزم لوضوء النبي صلوات الله عليه توفي في غزوة حنين

فيروز الديلمي

ابن أخت أصمحة النجاشي ويكنى بأبي عبد الله وأبي عبد الرحمن . وهو الذي قتل الأسود العنسي الذي ادعى النبوة في اليمن . وقد مات في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه

وهذه أسماء بعض أعيان المسلمين الذين ولدوا من أمهات حبشيات :

عبد الله بن قيس بن عبد الله بن زيد بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، جعفر بن اسماعيل بن موسى بن جعفر

الصادق ، عبد الله بن حمزة بن موسى بن جعفر ، سليمان بن حسن بن عقيل بن أبي طالب ، ابراهيم بن حسن بن عقيل بن أبي طالب ، محمد بن ابراهيم بن حسن بن أبي طالب ، جعفر بن ابراهيم بن عقيل بن أبي طالب ، العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عيسى بن جعفر المنصور ، جعفر بن جعفر المنصور ، هبة الله بن ابراهيم بن المهدي ، العباس بن المعتصم ، الخليفة مقتضي لامر الله . ويوجد غير ذلك كثير من الذين أمهاتهم من الحبشيات

وهذه أسماء بنات الصحابة الكرام الذين هاجروا الى الحبشة وقد ولدن فيها :

آمنة أم خالد القرشية

هي بنت خالد بن سعيد بن العاصي وقد ولدت في الحبشة وعادت مع من عاد الى المدينة من الصحابة . وقد تزوجت من الزبير بن العوام ورزقت منه عمراً وخالداً وكنت بأم خالد . روى عنها بعض المحدثين مثل موسى بن عقبة و ابراهيم بن عقبة وكريب بن سليمان الكندي وهصعب بن عبد الله وغيرهم أحاديث كثيرة

زينب بنت الحرث

ولدت في الحبشة وتوفيت هناك أيضاً اثر شربة ماء

زينب بنت عبد الله أبي سلمة

هي بنت أم سلمة احدى زوجات النبي الطاهرات . وقد ولدت في الحبشة وسميت (برة) ولكن النبي عليه الصلاة والسلام غير اسمها فيما بعد وأطلق عليها اسم زينب . وكانت مشهورة بعلم الفقه

عائشة بنت الحرث

ولدت في الحبشة وكانت بين الصحابة الكرام الذين عادوا الى المدينة

وهذه أسماء أولاد الصحابة المذكور الذين ولدوا في الحبشة :

من بني هاشم غوث بن جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب
ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ومن بني عبد شمس محمد بن أبي حذيفة بن عتبة
وعبد الله بن عثمان بن عفان

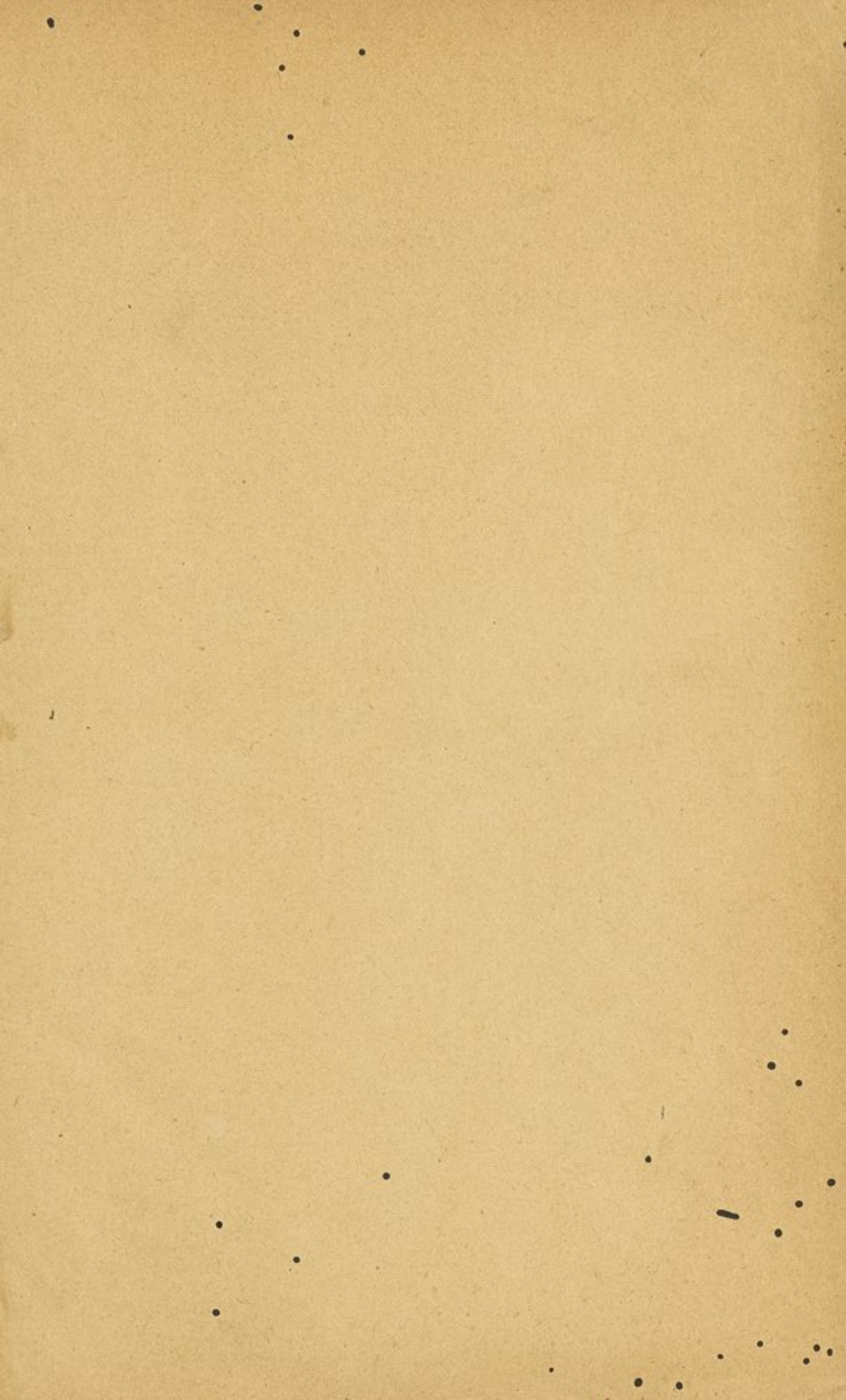
وهذه أسماء من توفي في الحبشة من الصحابة الكرام :

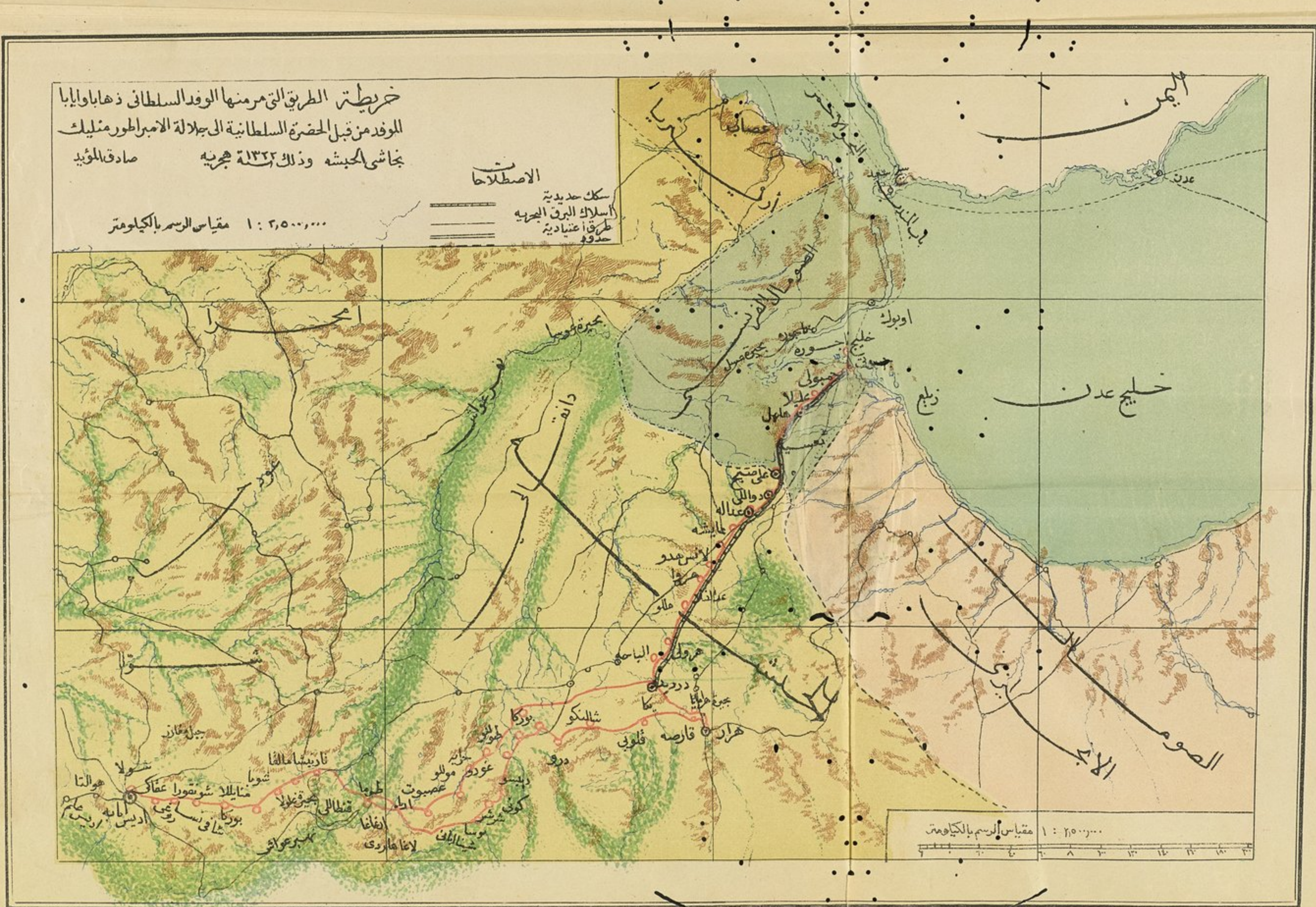
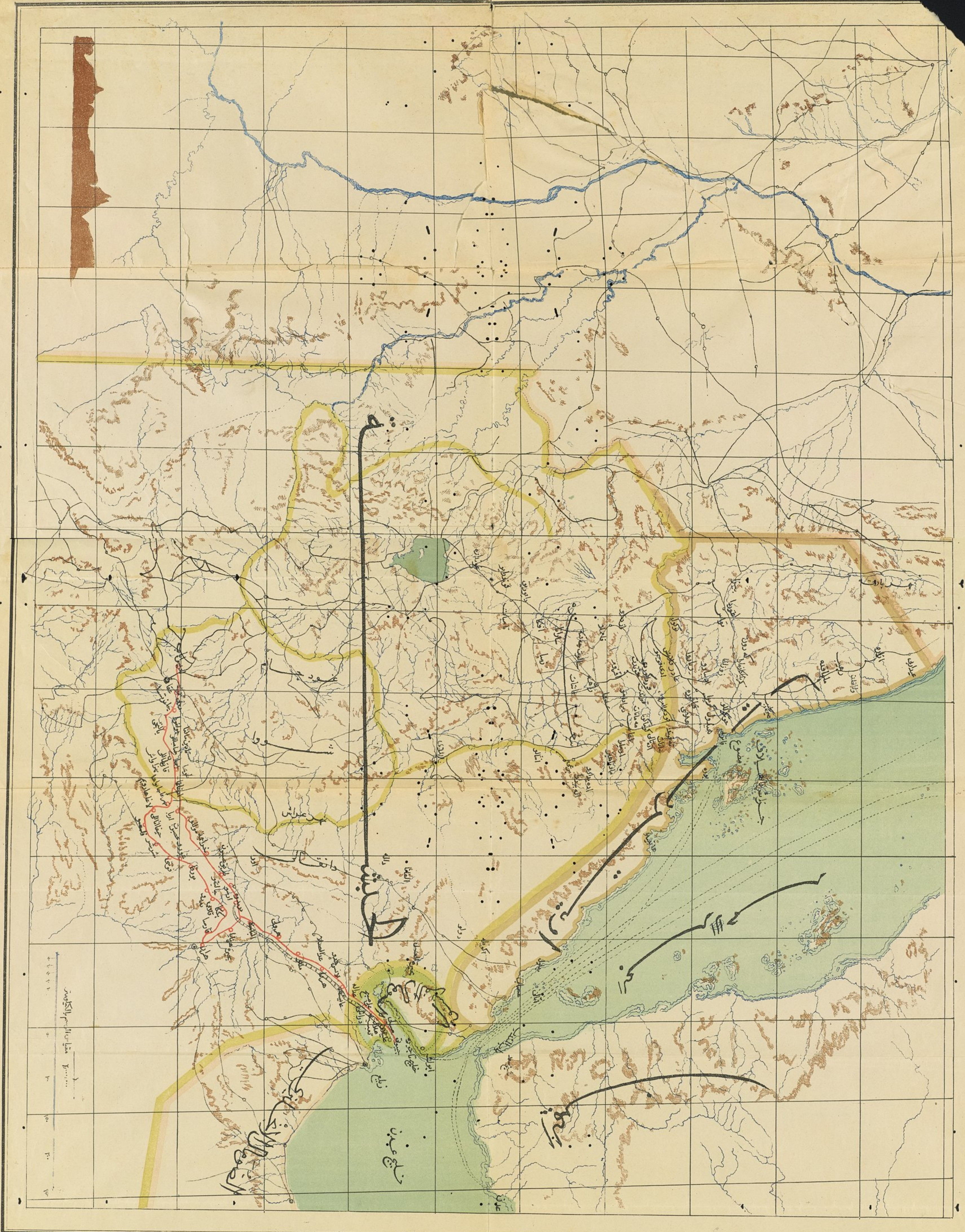
من بني أسد ابن عبد العزى بن قصي . وعمرو بن أمية بن الحرث بن أسد ومن بني
جهم - حاطب بن الحرث وأخو خطاب بن الحرث . ومن بني سهم - عبد الله بن الحرث
بن قيس . ومن بني عدي - فروة بن عبد العشرى بن حرثان . وعدي بن فضالة . ومن بني
زهرة - المطلب بن أزهر بن عوف وأخوه طيب بن أزهر بن عوف . ومن بني تيم
موسى بن الحرث بن خالد وأمه ريطة بنت الحرث بن جبيهة وأختها عائشة بنت الحرث
وزينب بنت الحرث وزينب صفران بن أمية الكتابي وفاطمة زوجة عروة بن سعيد
ابن العاص وأم حرملة بنت عبد الأسد وزوجة جهم بن قيس
ومن بني عبد شمس - سعيد بن خالد بن سعيد وأخته آمنة بنت خالد بن سعيد
ومن بني مخزوم - زينب بنت أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد وعبد الله بن عباس بن
أبي ربيعة وعمر بن عبد الله ومن بني زهرة عبد الله بن عبد المطلب بن أزهر ومن
بني تيم - موسى بن الحرث بن خالد وأخواته عائشة وفاطمة وزينب . ومن بني جهم -
الحرث بن حاطب بن الحرث والحرث بن سفيان بن معمر ومحمد بن خطاب بن الحرث
ومن بني عامر - سليط بن سليط بن عمرو

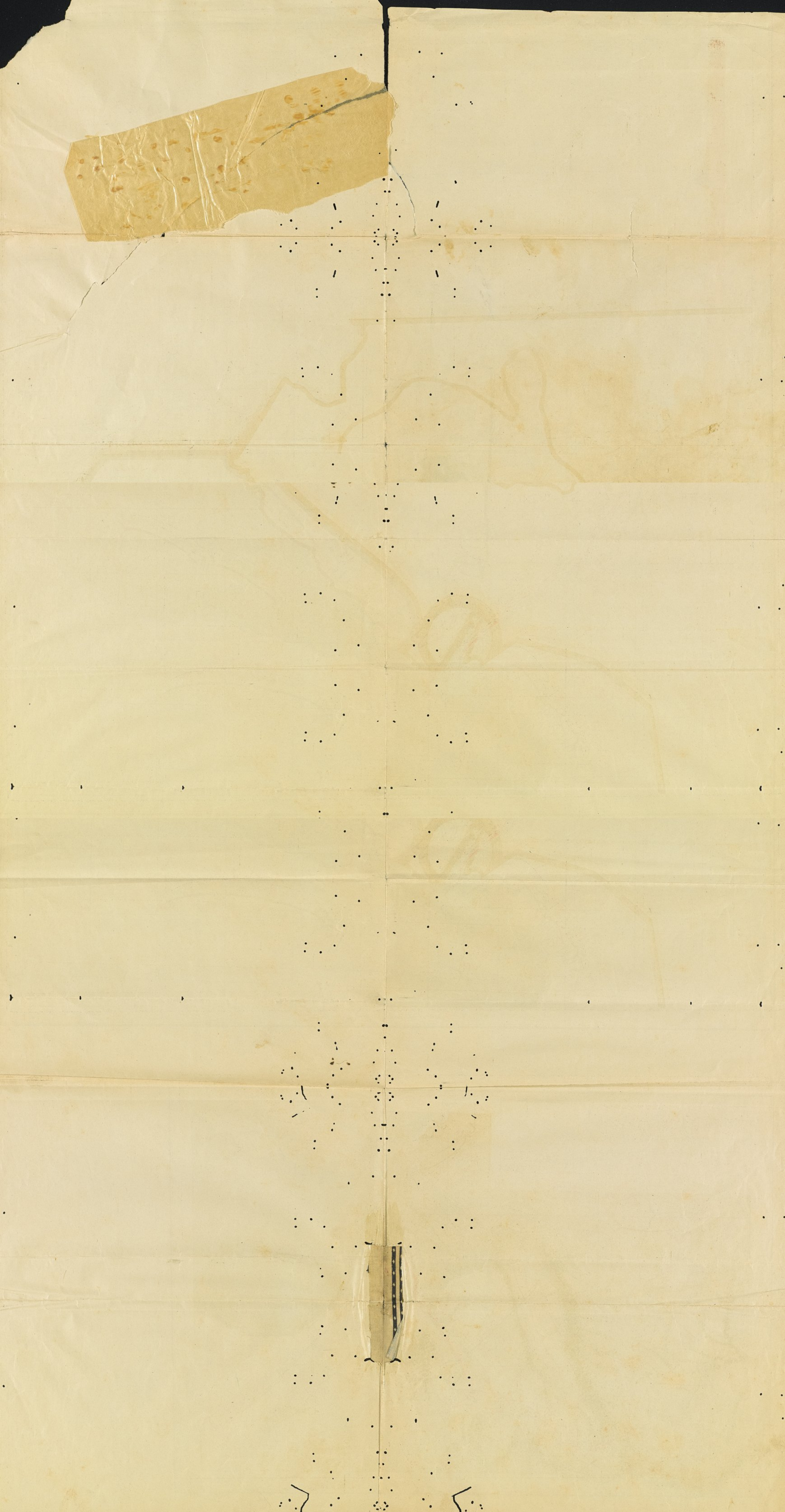
تمت الرحلة

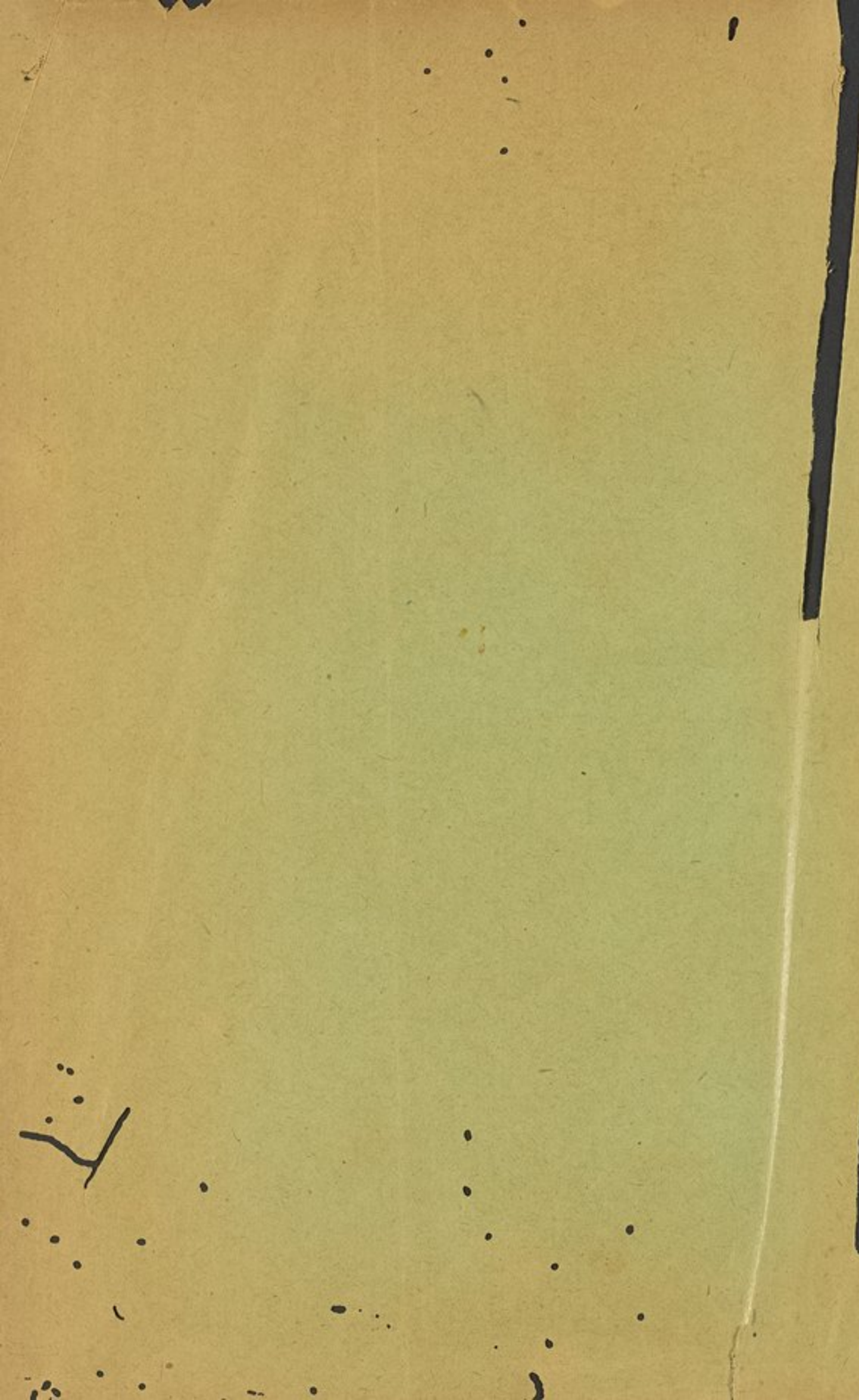
| صواب | صحيحة | سطر | خطاً |
|-----------------------------------|-----------------------|-----|------|
| حمبولي | صحبولي | ١ | ٢٨ |
| ومن جلود الحيوانات | ومن الحيوانات | ٣ | ٣١ |
| دوانلي | دادانلي | ١٧ | ٣٩ |
| تير بوشون | تير بون | ١٦ | ٥٤ |
| طاحتها | طبحتها | ٢٢ | ٥٥ |
| الغاللا | الغاللا | ٢ | ٥٧ |
| ألوان في كل | لون فضي | ٢٢ | ٦٥ |
| الشمسية | التسمية | ٢٣ | ٦٥ |
| شما | شحما | ٧ | ٧٩ |
| دجاج فرعون | بيج | ٨ | ٨٧ |
| تيفري | تيفري | ١١ | ٩١ |
| الايانو | الايانو | ٨ | ١٠٤ |
| آمي | آمي | ٥ | ١٠٨ |
| چفا ايناني | چفا ايناني | ١٤ | ١٠٩ |
| قالسو | قالو | ١٧ | ١١٠ |
| اصفا | اصفا | ٣ | ١١٣ |
| الفا | الفا | ٣ | ١١٤ |
| التوكي | النوكي | ٧ | ١١٥ |
| اواش | اواس | ١٦ | ١١٥ |
| وعلى الشجرة قرب القرعة خرقة معلقة | وتحت الشجرة على الارض | ٢١ | ١١٦ |
| | خرقة مفروشة | | |

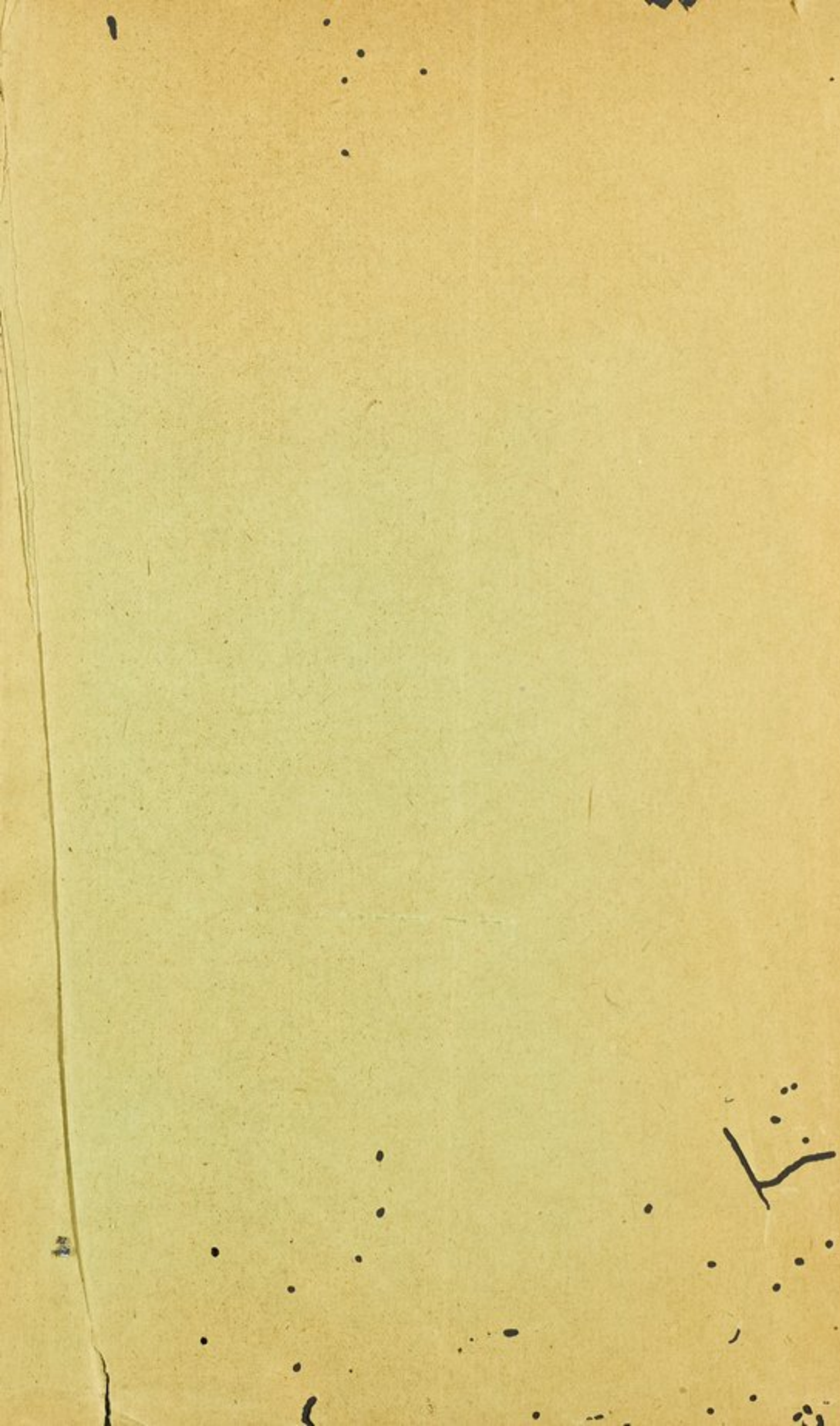
| صواب | صحيفة | سطر | خطاً |
|--------------------------|-------|-----|----------------------|
| الغاليه | ١١٧ | ٢٢ | القابلة |
| عروسي | ١١٩ | ١٧ | عروس |
| مئات | ١٢١ | ٨ | أوف |
| تحيه فيدنسا | ١٢٤ | ١ | تينجه فيدنسا |
| ارغان | ١٤٨ | ٦ | ارغامق |
| تابانا | ١٤٩ | ١٤ | تابانا |
| ليالبلبا | ١٥٠ | ٨ | لا ليلابا |
| الغاليين | ١٥١ | ٦ | الغاليين |
| نغوس | ١٥٦ | ٢٢ | نغوس |
| نغوس نغستي | ١٥٦ | ٢٢ | نغوسي نفسي |
| ترجمان الموسيو ليشين | ١٥٦ | ٩ | الموسيو ليشين ترجمان |
| دابغلو | ١٦٢ | ٢٠ | دابغلو |
| كما تباع عندنا القضامه | ١٦٢ | ٩ | كما يباع عندنا |
| الجبل | ١٦٢ | ١ | الجبل |
| قوقسا | ١٦٤ | ١٧ | قوقسان |
| وللو | ١٩٣ | ٢ | دالو |
| بناية (اي بناء) | ٢١٩ | ٦ | مرآة |
| ثالث ثلاثة احد ملوك شووا | ٢٢٤ | ٩ | ثالث ملوك شووا |
| لقامعسو | ٢٥٢ | ١ | لقامعو |
| افانغوس | ٢٦٨ | ١٩ | افانغوس |
| فوق الصفر | ٢٧١ | ٢٠ | فوق الصخر |
| الموسيو مارشال | ٢٧٤ | ٠٣ | المسيو شارل |











Library of



Princeton University.

Princeton University Library



32101 077778957